المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه



مجلة الدراسات القرآنية

مجلة علمية دورية محكمة

موضوعات العدد الخامس

ذو الحجة ١٤٣٠هـ
نوفمبر ٢٠٠٩ م

ردمد ٣٥١٥-١٦٥٨
ISSN.1658-3515
رقم الإيداع ١٤٢٨/٢١٩٠


بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد وشروط النشر

مجلة الدراسات القرآنية مجلة دورية تصدر عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه. وتعنى بالبحوث العلمية، وفق الأمور الآتية:

- أن يكون البحث متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- أن تتحقق له السلامة اللغوية.
- مراعاة علامات الترقيم.
- ألا يكون قد سبق نشره.
- ألا يكون مستلاًّ من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.
- توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً ، وتضبط الحواشي آليا لا يدوياً .
- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث.
- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط الملحق في مكانها المناسب.
- ترفق جميع الصور والرسوم المتعلقة بالبحث واضحة جلية.
- ألا تزيد صفحات البحث عن ثمانين صفحة (A٤) ولا تقل عن عشرين صفحة.
- أن يكون خط الأصل (١٨) وخط الهامش (١٤) ، ونوع الخط (Arabic Traditional).
- تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

- يرفق الباحث ثلاث نسخ مطبوعة، مع ملخص لا يزيد على صفحة واحدة.
- تُحكَّم البحوث والدراسات المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل.
- تُعاد البحوث معدلة على قرص حاسوبي.
- لا تعاد البحوث والدراسات إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- للمجلة الحق في نشر البحث على الموقع الإلكتروني للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه بعد إجازته للنشر.
- يُعطى الباحث نسختين من المجلة وخمس مستلات من بحثه.

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم
رئيس هيئة التحرير على النحو التالي:

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص. ب: ١٧٩٩٩ الرياض: ١١٤٩٤
هاتف وناسوخ ٢٥٨٢٧٠٥
البريد الإلكتروني: quranmag@gmail.com

عنوان الجمعية

ص - ب: ١٧٩٩٩ - الرياض - ١١٤٩٤ هاتف: ٢٥٨٢٦٩٥ - ٢٥٨٢٧٥٣

موقع الجمعية

www.alquran.org.sa

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يكافأ النعم ، ويدفع النقم ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فبلادنا – المملكة العربية السعودية – تعيش نشاطاً وحراكاً علمياً كبيراً بإنشاء جامعات جديدة ، وتوسع الجامعات القائمة ، وتكاثر الجمعيات العلمية في مختلف العلوم والمعارف ، وما يعقد من ندوات ومؤتمرات ، وما يصدر من بحوث ومؤلفات .

وفي مقدمة هذه الجمعيات حضوراً ونشاطاً الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه فها هي تضع بين الباحثين والقراء المكرمين العدد الخامس من مجلتها (مجلة الدراسات القرآنية) وهي مجلة علمية دورية محكمة ، تعني بكل ما يتعلق بالدراسات القرآنية ويصب في خدمة القرآن الكريم وعلومه من دراسات وبحوث علمية تخصصية عصرية وتراثية ،والأمل أن يجد القارئ فيها ما ينشده من بحوث رصينة ، وموضوعات حية ، تثري ثقافته ، وتسد حاجته ، وتحقق تطلعه ، ولا يمكن للمجلة أن تحقق ذلك إلا بحرص الباحثين على انتقاء الموضوعات ، وعمق الدراسات ، وتعاون الفاحصين على تمحيص تلك البحوث ، وتدقيقها ، والارتقاء بها . وهو ما نأمله منهم ، ونظنه فيهم ، وتؤكد المجلة على أمل آخر يتمثل بالتزام الشروط الفنية والطباعية للمجلة لما لذلك من أثر ملموس في تيسير العمل وتسهيله ، وتخفيف الجهد وتوفيره ، وتسريع صدور العدد في أقرب المدد .

ولا بد في هذا المقام من شكر الباحثين على اختيارهم مجلتهم العلمية – مجلة الدراسات القرآنية – لنشر نتاجهم فيها فهي منهم ، ولهم ، وبهم .

والشكر موصول للفاحصين المتعاونين مع المجلة في تقويم بحوثها والرقي بها ، كما أشيد بجهد العاملين في الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم في إدارتها الجديدة في حرصها وحماسها لتطوير العمل ، وإتمام المسيرة الخيرة لهذه الجمعية خلفاً للمجلس السابق الذي بذل جهده في بناء الجمعية كياناً ومكانة فللجميع جزيل الشكر والدعاء بعظيم الأجر .

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل ، والثناء العاطر لمعالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية **الأستاذ الدكتور / سليمان بن عبد الله أبا الخيل** على دعمه للجمعية ، وتشجيعه للمجلة ، ودعمه لها ، فالجامعة هي الحاضنة والراعية للجمعية والمجلة ، وكل ذلك بدعم غير محدود وتوجيه سديد رشيد من خادم الحرمين الشريفين **الملك / عبد الله بن عبد العزيز** ، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي **الأمير / سلطان بن عبد العزيز** ، ونائبة الثاني صاحب السمو الملكي **الأمير / نايف بن عبد العزيز** ، وصاحب السمو الملكي **الأمير / سلمان بن عبد العزيز** أمير منطقة الرياض ورئيس شرف أعضاء الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه ، فلهم من الدعاء أخلصه ومن الثناء أعطره ، ومن الشكر أتمه وأجزله على دعم الجمعية وتشجيع المجلة .

والشكر لله أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً على ما أسبغ من نعم ، ودفع من نقم .
وفق الله الجميع لكل خير وسداد ، وهدى ورشاد .

رئيس تحرير المجلة
أ . د / محمد بن عبد الرحمن الشائع

المحتويات

مسـائل في الاسـتعاذة

د / عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الخضيري

- عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم .
- حصل على درجة الماجستير من كلية الشريعة بالرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- له من المؤلفات : الأمثال القرآنية . الكبر في ضوء القرآن . وقفات مع آيات الإفك . أحكام اللعان في ضوء القرآن

المقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد :

فإن للاستعاذة شأناً عظيماً ، وقدراً جسيماً ؛ إذ الأخطار التي تكتنف الإنسان كثيرة ، والشرور التي تتربص به عظيمة ، فإبليس يكيد له ، وشياطين الإنس والجن تستفزه وتزين له ، والنفس أمارة بالسوء ، ولا يعصم من ذلك إلا اللجوء إلى الله ، والاستجارة به ، واللياذ بحماه .

والاستعاذة من العبادات التي يجب تجريدها لله ، فلا يجوز صرفها لغيره ؛ إذ هي من فروع توحيد الألوهية ، فلا يستعاذ بغير الله فيما لا يدفعه إلا هو تعالى . وقد أمر سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين معه باللجوء إليه والاستجارة به ، فقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل :٩٨) وقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ (المؤمنون: ٩٧ ، ٩٨) ، وفي المقابل ذكر ﷻ حال أقوام عاذوا بغيره فلم يزدادوا بذلك إلا ضلالاً وخسراناً وذعراً وتخويفاً ، فقال ﷻ : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (الجن:٦) .

وللاستعاذة كثير من الأحكام والمسائل المتعلقة بها كأهميتها ، وحقيقتها، وصيغها، ومواضعها ، وحكمها ... وفي هذا البحث محاولة لجمع هذه التفصيلات ودراستها . وقد جعلته في اثنتي عشرة مسألة ، كما يلي :

المسألة الأولى : في فضل الاستعاذة ، وما ورد في ذلك من النصوص .

المسألة الثانية : في معنى الاستعاذة ، وتعريف كل لفظ من ألفاظها .

المسألة الثالثة : في صيغها الواردة في الكتاب والسنة وكلام السلف .

المسألة الرابعة : في بيان أركان الاستعاذة .

المسألة الخامسة : في تقرير عدم قرآنيتها .

المسألة السادسة : في ذكر موضعها من القراءة .

المسألة السابعة : في حكمها عند قراءة القرآن في الصلاة وخارجها .

المسألة الثامنة : في حكم تكرار الاستعاذة في الصلاة .

المسألة التاسعة : هل الاستعاذة للصلاة أو للقراءة ؟

المسألة العاشرة : في حكم الاستعاذة من حيث الجهر والإخفاء .

المسألة الحادية عشرة : هل يستعيذ المأموم في الصلاة الجهرية ؟

المسألة الثانية عشرة : في ذكر المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة .

وقد سلكت في بحث هذه المسائل منهج التتبع والاستقراء لما ذكره أهل العلم، راجعاً في مسائل الخلاف إلى المصادر المعتمدة في كل مذهب ، ذاكراً أدلة كل قول، مرجحاً ما وافق الدليل وقواعد الدين ، مع الحرص في ذلك كله على الموضوعية والتجرد .

وأما الأحاديث الواردة فما كان منها في الصحيحين معاً فإني أكتفي بذلك عن الاستقصاء في تخريجه والحكم عليه ، وإن لم يكن كذلك حرصت على تخريجه من دواوين السنة المعتمدة ، ذاكراً حكم العلماء عليه إن وجد .

هذا والله المسؤول أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه ، صواباً على سنة رسوله ﷺ، إنه جواد كريم .

المسألة الأولى : فضل الاستعاذة .

ورد في فضل الاستعاذة أحاديث عدة ، منها : حديث سليمان بن صُرَد ﷺ قال: استَبَّ رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه فنظر إليه النبي ﷺ فقال : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبي ﷺ فقال : أتدري ما قال رسول الله ﷺ آنفاً ؟ قال : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . فقال له الرجل : أمجنوناً تراني؟!(١)

ومنها : حديث عثمان بن أبى العاص ﷺ أنه أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يَلْبِسُهَا عليّ . فقال رسول الله ﷺ : " ذاك شيطان يقال له خنزب(٢) فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتْفِل على يسارك ثلاثاً " . قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني . (٣)

وفي المعنى نصوص كثيرة يأتي ذكرها إن شاء الله في الحديث عن المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة .

المسألة الثانية : معنى الاستعاذة .

الاستعاذة في كلام العرب : الاستجارة والتحيز إلى الشيء ، على معنى الامتناع به من المكروه ؛ يقال : عُذت بفلان واستعذت به ؛ أي لجأت إليه ، وهو عياذي ؛

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ٢٢٦٧ ح ٥٧٦٤ ، ومسلم ٨/ ٣١ ح ٦٨١٣ .

(٢) قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم ١٤/ ١٩٠ : (أما خنزب فبخاء معجمة مكسورة ثم نون ساكنة ثم زاي مكسورة ومفتوحة . ويقال أيضاً : بفتح الخاء والزاي ، حكاه القاضي . ويقال أيضاً : بضم الخاء وفتح الزاي ، حكاه ابن الأثير في النهاية ، وهو غريب) .

(٣) أخرجه مسلم ٧/ ٢٠ ح ٥٨٦٨ ، والإمام أحمد ٢٩/ ٤٢٩ ح ١٧٨٩٧ وصححه شعيب الأرنؤوط ، والحاكم في مستدركه ٤/ ٢٤٤ ح ٧٥١٤ وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وعبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٨٥ ح ٢٥٨٢ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ٥١ ح ٢٣٦٠٠ ، والطبراني في الكبير ٩/ ٥٢ ح ٨٣٦٦ .

أي ملجئي . وأعذت غيري به وعوّذته بمعنًى . ويقال : عَوْذٌ بالله منك ؛ أي أعوذ بالله منك .[(١)] ومثله : عِياذ ومَعاذ . قال ﷻ عن يوسف ﷺ : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ (يوسف : ٢٣ ، ٧٩) ؛ أي أعوذ بالله .[(٢)]

قال ابن فارس : (العين والواو والذال أصل صحيح يدل على معنى واحد ، وهو الالتجاء إلى الشيء ..)[(٣)]

وقال الراغب : (العوذ : الالتجاء إلى الغير والتعلق به . يقال : عاذ فلان بفلان .. والعُوْذَة : ما يعاذ به من الشيء ، ومنه قيل : للتميمة والرقية : عوذة . وعَوَّذه : إذا وقاه) .[(٤)]

وعلى هذا فمعنى أعوذ بالله : أعتصم به وألتجئ إليه وأستجير به من الشيطان الرجيم . ويدخل في ذلك ما ذكره المفسرون وأهل اللغة من معان أخرى ، كالتحرز بالله والتحيز إليه والاستنصار به والاستعانة والتعلق والامتناع واللياذ بجنابه .[(٥)(٦)]

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٦٤ .

(٢) انظر مادة (عوذ) في النهاية واللسان .

(٣) معجم مقاييس اللغة ، مادة (عوذ) .

(٤) المفردات مادة (عوذ) .

(٥) فرق ابن كثير رحمه الله في تفسيره ١/ ١١٤ بين العياذ واللياذ ، فقال : (والعياذة تكون لدفع الشر ، واللياذ يكون لطلب الخير ، كما قال المتنبي :
يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به ممن أحاذره)
وهذا التفريق بين اللفظين لم يره صاحب لسان العرب ، بل قال في مادة (عوذ) : (والملاذ مثل المعاذ) . ولعل هذا أظهر ، وأما بيت المتنبي فليس فيه إلا استعمال كل واحد من اللفظين في أحد معنييه .

(٦) انظر في هذه المعاني : مادة (عوذ) في المفردات والنهاية واللسان ، تفسير الطبري ١/ ١١١ ، تفسير البغوي ٥/ ٤٣ ، تفسير القرطبي ١/ ٦٤ ، زاد المسير ١/ ٧ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٤ .

أعوذ بالله : أي مستعيناً به من الشيطان الرجيم . ويجوز أن تكون الباء للإلصاق. قال ابن كثير : (الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر) . [1]

الله : علم على ربنا ﷻ خاص به ، لا يسمى به غيره . قال تعالى : ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ (مريم : ٦٥) . أي : تسمى باسمه الذي هو الله . وهو أعرف المعارف[2] وهو أصل أسماء الله الحسنى وأجمعها ، حتى قيل : إنه اسم الله الأعظم[3] ؛ ولهذا تأتي الأسماء تابعة له ، وأوصافاً له ، ومضافة إليه . قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (الحشر : ٢٢-٢٤). وقال ﷻ: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ (غافر : ٢). وقال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ (الأعراف : ١٨٠).

ولهذا أيضاً يقال : الرحمن والرحيم من أسماء الله ، ولا يقال : الله من أسماء الرحمن أو من أسماء الرحيم .

وقد اختلف أهل العلم في اسم الله هل هو مرتجل أو مشتق ؟ فقيل : هو مرتجل موضوع للذات عَلَم ، وأل فيه لازمة له ، لا للتعريف . بدليل دخول حرف

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١١٤ .
(٢) انظر : بدائع الفوائد ١/ ٢٧ ، مدارج السالكين ١/ ٣٢ .
(٣) انظر : تفسير القرطبي ١/ ٧٢ .

النداء عليه ، كقولك : يا الله ، وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام للتعريف ، ولهذا لا تقول : يا الرحمن ولا يا الرحيم ، كما تقول يا الله ، فدل على أنهما من أصل الكلمة . وبدليل أنه لا يثنى ولا يجمع . وإلى هذا ذهب الشافعي والجويني والغزالي ، وهو مروي عن الخليل وسيبويه . [١]

وذهب الأكثرون إلى أن هذا الاسم مشتق ، مع اختلاف بينهم في اشتقاقه وأصله على أقوال ، أولها ـ وهو الراجح ـ أنه مشتق من (أَلَه) بمعنى عَبَد . يقال: أله الرجل يأْلَه إِلَهَةً : إذا عبد وتنسك . قال رُؤْبَة بن العَجَّاج [٢]:

لله در الغانيات المُدَّهِ[٣] سبَّحنَ واسترجَعْن من تَأَلُّهي أي : من تعبدي وطلبي الله بعملي . [٤] ومن هذا المعنى قراءة : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ (الأعراف:١٢٧)، قال ابن عباس رضي الله عنهما : وعبادتك . [٥]

وأصله إِلَه فأدخلت عليه الألف واللام وحذفت الهمزة . قال سيبويه : مثل الناس أصله أناس . [٦]

والثاني : أنه مشتق من (لاه) ودخلت عليه الألف واللام للتعظيم . واحتجوا له بقول ذي الإصبع العدواني :

لاهِ ابنُ عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياني فتخزوني[٧]

---

(١) انظر : تفسير البغوي ١/ ٥٠ ، زاد المسير ١/٨ ، ٩ ، تفسير القرطبي ١/ ٧٢ ، ٧٣ ، تفسير ابن كثير ١/ ١٢٣ .

(٢) ديوانه : ١٦٥ ، ومعجم مقاييس اللغة مادة (أله) ، واللسان مادة (مده) .

(٣) المده : قال في اللسان مادة (مده) : (مَدَهَه يَمْدَهُه مَدْهاً مثل مَدَحَه والجمع المُدَّه) . وعلى هذا فالمده في البيت بمعنى الممدوحات بجمالهن .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١/ ١٢٣ ، زاد المسير ١/ ٩ ، تفسير ابن كثير ١/ ١٢٣ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ١/ ٧٣ .

(٦) انظر : المرجع السابق ١/ ٧٢ .

(٧) انظر : تفسير القرطبي ١/ ٧٢ ، تفسير ابن كثير ١/ ١٢٣ ، التحرير والتنوير ١/ ١٦٢ .

أي لله ابن عمك .

والثالث : أنه مشتق من (وَلَه) إذا تحير ، والوله : ذهاب العقل ، يقال : رجل وَالِهٌ وامرأة وَالهة ووَالِهٌ وولهى . فالله ﷻ تتحير الألباب في عظمته وفي حقائق صفاته . فعلى هذا أصل (إلاه) (ولاه) ، والهمزة مبدلة من واو ، كما أبدلت في إشاح وشاح ، وإسادة وسادة . [(١)]

والرابع : أن الله تعالى سمي إلهاً لأن الخلق يتألهون إليه في حوائجهم ، ويتضرعون إليه عند شدائدهم ، مأخوذ من قولهم : أَلِهَ الرجلُ يَأْلَه إذا فزع من أمر نزل به فاستعاذ بالله ؛ فَأَلَهَهُ ؛ أي أجاره . فالمجير لكل الخلائق هو الله سبحانه ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ (المؤمنون : ٨٨) . [(٢)]

والخامس : أنه مشتق من لاه ؛ بمعنى : علا وارتفع . والعرب تقول لكل شيء مرتفع : لاهاً ، فكانوا يقولون للشمس إذا طلعت : لاهت . [(٣)]

والسادس : أن أصله لاه مصدر لاهَ يَلِيْهُ لَيْهًا ولاهاً إذا احتجب ، سمي به الله تعالى ، ثم أدخلت عليه الألف واللام . [(٤)]

والسابع : أنه مشتق من أَلِهْتُ إلى فلان ، أي : سكنت إليه ، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته ؛ لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره . قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد : ٢٨) . [(٥)]

والثامن : أن اشتقاقه من أَلِه الفصيل إذا وَلِعَ بأمه ، والمعنى أن العباد مُوْلَهُوْن مُولَعُون بالتضرع إليه في كل الأحوال . [(٦)]

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١/ ٧٢ ، تفسير الرازي ١/ ١٣٤ ، تفسير ابن كثير ١/ ١٢٣ .
(٢) انظر : تفسير القرطبي ١/ ٧٣ ، تفسير الرازي ١/ ١٣٥ ، تفسير ابن كثير ١/ ١٢٤ .
(٣) انظر : تفسير القرطبي ١/ ٧٣ ، تفسير الرازي ١/ ١٣٤ .
(٤) انظر : تفسير الرازي ١/ ١٣٥ ، تفسير ابن كثير ١/ ١٢٤ .
(٥) انظر : تفسير الرازي ١/ ١٣٤ ، تفسير ابن كثير ١/ ١٢٤ .
(٦) انظر : تفسير الرازي ١/ ١٣٥ ، تفسير ابن كثير ١/ ١٢٤ .

والتاسع : أن هذا اللفظ ليست عربياً ، بل عبرانياً أو سريانياً ، فإنهم يقولون إلهاً رحماناً ومرحياناً ، فلما عرب جعل ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.[١] وقد أنكر هذا الرازي [٢] ، ووافقه ابن كثير [٣] .

وإذا ترجح أن اسم الله تعالى مشتق من أَلَهَ بمعنى عَبَدَ ؛ فإن معنى (الله) حينئذ: المألوه المعبود الذي تعبده الخلائق وتتأله له محبة وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب . [٤] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فإن الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته لأنه المألوه المعبود الذي تألهه القلوب وترغب إليه وتفزع إليه عند الشدائد) . [٥]

وقال رحمه الله : (والإله هو الذي يستحق أن تألهه القلوب بالحب والتعظيم والإجلال والإكرام والخوف والرجاء فهو بمعنى المألوه وهو المعبود الذي يستحق أن يكون كذلك) . [٦]

الشيطان : مفرد الشياطين ، وقد اختلف في اشتقاقه على قولين ، أولهما : أنه مأخوذ من شَطَن بمعنى : بَعُد . يقال : شطنت داره ، أي : بعدت . وبئر شَطُون، أي : بعيدة القعر . [٧] قال النابغة الذبياني [٨] :

نأت بسعاد عنك نَوَىً شَطُون فبانت والفؤاد بها رهين

---

(١) انظر : تفسير الرازي ١/ ١٣٦ ، تفسير ابن كثير ١/ ١٢٤ ، التحرير والتنوير ١/ ١٦٢ .

(٢) في تفسيره ١/ ١٣٦ .

(٣) في تفسيره ١/ ١٢٤ .

(٤) انظر : مدارج السالكين ١/ ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ٨٨ .

(٦) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ١٦٩ . وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم : ٤٦١ .

(٧) انظر : انظر مادة (شطن) في معجم مقاييس اللغة والمفردات والنهاية ، تفسير الطبري ١/ ١١٢ ، تفسير البغوي ١/ ٨٣ ، تفسير القرطبي ١/ ٦٤ ، زاد المسير ١/ ٣٤ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٥ .

(٨) ديوانه : ٣٦٢ .

أي : أن الوجه الذي نوته وقصدته بعيد . [١]

وعلى هذا يكون الشيطان على وزن فيعال من شطن ، والنون فيه أصلية . قال ابن فارس : (الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح يدل على البعد) . [٢] وقد سمي الشيطان شيطاناً لبعده عن الحق وتمرده ، وبعده عن الخير والرحمة . [٣]

والقول الثاني : أن الشيطان مأخوذ من شاط يشيط إذا هلك ، وشاط إذا احترق، وشيطت اللحم إذا دخنته ولم تنضجه ، واشتاط الرجل إذا احتدّ غضباً . [٤] قال الأعشى :

قد نَخْضِب العَيرَ من مكنون فائله وقد يَشِيط على أرماحنا البطلُ [٥]

أي : يهلك . قال ابن فارس : (الشين والياء والطاء أصلٌ يدلُّ على ذَهاب الشيء، إمّا احتراقاً وإما غَيْرَ ذلك) . [٦]

وعلى هذا يكون الشيطان على وزن فعلان ، والنون فيه زائدة ، وسمي بذلك لكونه مخلوقاً من النار ، كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾(الرحمن : ١٥) . أو لاختصاصه بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة وامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام . [٧]

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١/ ١١٢ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، مادة (شطن) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١/ ١١٢ ، تفسير البغوي ١/ ٨٣ ، تفسير القرطبي ١/ ٦٤ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٥ .

(٤) انظر مادة (شيط) في النهاية واللسان ، ومادة (شطن) في المفردات ، زاد المسير ١/ ٣٥ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٥ ، التحرير والتنوير ١/ ٢٨٦ .

(٥) انظر : اللسان مادة (شيط) . والعير : السيد ، والمكنون : الدم . والفائل : عرق يجري من الجوف إلى الفخذ .

(٦) معجم مقاييس اللغة : مادة (شيط) .

(٧) انظر : المفردات : مادة (شطن) ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٥ .

وقد ذهب ابن عاشور إلى أن اسم الشيطان غير مشتق ، وأنه معرب من لغة سابقة ، فقال : (وعندي أنه اسم جامد شابه في حروفه مادة مشتقة ودخل في العربية من لغة سابقة ؛ لأن هذا الاسم من الأسماء المتعلقة بالعقائد والأديان ، وقد كان لعرب العراق فيها السبق قبل انتقالهم إلى الحجاز واليمن ، ويدل لذلك تقارب الألفاظ الدالة على هذا المعنى في أكثر اللغات القديمة . وكنت رأيت قول من قال : إن اسمه في الفارسية سيطان) . (١)

والقول الأول في هذه المسألة هو الصحيح . وقد حكى سيبويه عن العرب قولهم : تشيطن فلان ، إذا فعل أفعال الشياطين . وهذا واضح في كونه مشتقاً من (شطن) ولو كان من (شاط) لقالوا : تشيّط . (٢)

قال ابن جرير الطبري بعدما اعتمد القول الأول : (ومما يدلّ على أن ذلك كذلك ، قولُ أميّة ابن أبي الصَّلْت :

أَيُّمَا شاطِنٍ عَصَاه عَكاهُ(٣)   ثُم يُلْقَى في السِّجْن والأَكْبَالِ

ولو كان فَعلان ، من شاطَ يشيط ، لقال : أَيُّما شائط ، ولكنه قال : أيما شاطنٍ ، لأنه من شَطَن يَشْطُنُ ، فهو شاطن) . (٤)

و(أل) في لفظ (الشيطان) للجنس ؛ فيشمل اللفظ كل متمرِّد عات من الجن والإنس والدوابِّ وكل شيء . وهذا قول الأكثرين . (٥) وقيل : (أل) فيه للعهد

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١/ ٦٤ .

(٣) عكاه : شدَّ وثاقه . انظر اللسان : مادة (عكا) .

(٤) في تفسيره ١/ ١١٢ . وانظر : تفسير القرطبي ١/ ٦٤ ، زاد المسير ١/ ٣٤ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٥ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١/ ١١١ ، تفسير البغوي ١/ ٦٨ ، المحرر الوجيز ١/ ٥٠ ، تفسير القرطبي ١/ ٦٤ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٥ ، التحرير والتنوير ٢/ ٢٠٢ .

؛ فيكون المراد إبليس الذي هو أصل الشياطين وآمرهم ، فكل ما ينشأ من وسوسة الشياطين فهو راجع إليه لأنه الذي خطا الخطوات الأولى . (١)

والأقرب الأول ، ولهذا جمع في قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴾ (المؤمنون : ٩٧) . وبمقتضاه يكون الشيطان من الإنس والجن كما قال ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام : ١١٢) . فجعل من الإنس شياطينَ ، مثلَ الذي جعل من الجنّ .

ويكون أيضاً من الدواب ؛ فعن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخِرَة الرَّحْل فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود " . قلت : يا أبا ذر ، ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر ؟ قال : يا ابن أخي سألت رسول الله ﷺ كما سألتني ، فقال : " الكلب الأسود شيطان " . (٢)

وعن زيد بن أسلم عن أبيه " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب بِرْذَونًا فجعل يتبخْتر به ، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا ، فنزل عنه ، وقال : ما حملتموني إلا على شيطان ، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي " . (٣)

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ٢/ ٢٠٢ .

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ٥٩ ح ١١٦٥ ، وابن حبان ٦/ ١٤٤ ح ٢٣٨٣ ، وابن خزيمة ٢/ ٢٠ ح٨٣٠ ، وأبو داود ١/ ٢٤٤ ح ٧٠٢ ، والترمذي ٢/ ١٦١ ح ٣٣٨ ، والنسائي ٢/ ٦٣ ح ٧٥٠ ، وابن ماجه ١/ ٣٠٦ ح ٩٥٢ ، والإمام أحمد ٣٥/ ٢٥٠ ح ٢١٣٢٣ ، وابن أبي شيبة ١/ ٢٥١ ح ٢٨٩٦ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ١١١ ، ونقله ابن كثير في تفسيره ١/ ١١٥ وقال : إسناده صحيح .

الرجيم : فعيل بمعنى مفعول ، كقتيل بمعنى مقتول . مأخوذ من رَجَم يَرْجُم رَجْماً ، فهو مرجوم ورجيم . وأصل الرجم : الرمي بالحجارة . قال ابن فارس : (الراء والجيم والميم أصلٌ واحدٌ يرجِع إلى وجهٍ واحد ، وهو الرَّمْي بالحجارة، ثم يستعار ذلك) . [1] والرجم يكون بمعنى القتل واللعن والطرد والشتم . وقد قيل هذا كله في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء : ١١٦) . وقوله ﷻ : ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ (مريم:٤٦). [2]

وعلى هذا فالرجم كما يكون بالفعل يكون أيضاً بالقول ، والشيطان مرجوم فعلاً وقولاً ؛ فهو مرجوم بالفعل بطرده من الجنة وإهباطه إلى الأرض وإبعاده من رحمة الله ومن الخير كله ، كما قال تعالى : ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الحجر:٣٤، ٣٥) . وقال تعالى : ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ (الأعراف :١٣).

وهو مرجوم فعلاً بالشهب كما قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ (الملك : ٥) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (الصافات: ٦ ـ ١٠) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (الحجر : ١٦ ـ ١٨) .

---

(١) معجم مقاييس اللغة : مادة (رجم) .

(٢) زاد المسير ١/ ٣٧٧ ، تفسير القرطبي ١/ ٦٤ ، لسان العرب : مادة (رجم) .

وهو مرجوم قولاً بلعن الله له وطرده إياه من الجنة ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (ص : ٧٧ ، ٧٨) . [١]

وقيل : الرجيم فعيل بمعنى فاعل ، أي : رجيم بمعنى راجم ؛ وذلك أنه يرجم الناس بالوساوس ، ويزين لهم طرق الشر ، ويستفزهم لمعصية الله ، ويصدهم عن الخير، ويكيد لهم بأنواع المكايد . والقول الأول أشهر وأصح . [٢]

وجملة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) جملة خبرية تفيد الطلب ، ومجيئها في صيغة الخبر أبلغ في الدلالة على المقصود . قال ابن القيم رحمه الله : (فإن قلت : فلم دخلت السين والتاء في الأمر من هذا الفعل كقوله : فاستعذ بالله ولم تدخل في الماضي والمضارع بل الأكثر أن يقال : أعوذ بالله وعذت بالله دون أستعيذ واستعذت ؟ قلت : السين والتاء دالة على الطلب ، فقوله : أستعيذ بالله أي أطلب العياذ به ، كما إذا قلت : أستخير الله أي أطلب خيرته ، وأستغفره أي أطلب مغفرته ، وأستقيله أي أطلب إقالته ، فدخلت في الفعل إيذاناً لطلب هذا المعنى من المعاذ . فإذا قال المأمور : أعوذ بالله ، فقد امتثل ما طلب منه ؛ لأنه طلب منه الالتجاء والاعتصام . وفرق بين نفس الالتجاء والاعتصام وبين طلب ذلك ، فلما كان المستعيذ هارباً ملتجئاً معتصماً بالله أتى بالفعل الدال على ذلك دون الفعل الدال على طلب ذلك فتأمله . وهذا بخلاف ما إذا قيل : استغفر الله ، فقال : أستغفر الله ؛ فإنه طلب منه أن يطلب المغفرة من الله ، فإذا قال : أستغفر الله ؛ كان ممتثلاً ؛ لأن المعنى أطلب من الله تعالى أن يغفر لي . وحيث أراد هذا المعنى في الاستعاذة فلا ضير أن يأتي بالسين ؛ فيقول : أستعيذ

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١/ ١١٢ ، المحرر الوجيز ١/ ٥٠ ، زاد المسير ١/ ٣٧٧ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٦ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١١٦ .

بالله تعالى ، أي أطلب منه أن يعيذني . ولكن هذا معنى غير نفس الاعتصام والالتجاء والهرب إليه ؛ فالأول مخبر عن حاله وعياذه بربه ، وخبره يتضمن سؤاله وطلبه أن يعيذه . والثاني طالب سائل من ربه أن يعيذه كأنه يقول : أطلب منك أن تعيذني ؛ فحال الأول أكمل) . [١]

المسألة الثالثة : صيغ الاستعاذة .

الصيغة المشهورة في التعوذ هي (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) . وقد دل لها الكتاب والسنة ، فأما الكتاب فقوله ﷻ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل : ٩٨) . وأما السنة فقوله ﷺ في الرجل الذي احمر وجهه من شدة الغضب : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . [٢]

وهذه الصيغة هي اختيار أبي حنيفة [٣] ، والشافعي [٤] ، وأحمد بن حنبل [٥] وجمهور أهل العلم [٦] وأكثر القراء [٧] .

الصيغة الثانية : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .

ويدل لها قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف : ٢٠٠) . وقوله ﷻ : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٢) سبق الحديث كاملاً مع تخريجه .

(٣) انظر : بدائع الصنائع ١/ ٢٠٣ .

(٤) انظر : الأم ١/ ١٠٧ ، المجموع ٣/ ٢٧٠ ، المهذب ١/ ٧٢ ، روضة الطالبين ١/ ٢٤٠ .

(٥) انظر : الإنصاف ٢/ ٤٧ ، المغني ١/ ٢٨٣ ، الفروع ١/ ٣٦٢ ، كشاف القناع ١/ ٣٣٥ .

(٦) انظر : المحرر الوجيز ١/ ٨ ، تفسير القرطبي ١/ ٦٢ .

(٧) انظر : النشر في القراءات العشر ١/ ٢٤٣ ، المبسوط ١/ ١٣ .

﴿ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (فصلت : ٣٦) . كما يدل لها حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : " كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبر ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . ثم يقول : لا إله إلا الله ثلاثاً . ثم يقول : الله أكبر كبيراً ثلاثاً ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . ثم يقرأ " . [١]

وهذه الصيغة مروية عن الإمام أحمد [٢] وبعض الشافعية [٣] وطائفة من القراء [٤] .

ولا يشكل عليها ما روي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال : قلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي النبي ﷺ :" يا ابن أم عبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني جبريل ... " [٥] فإنه حديث لا يصح ، قال عنه أبو شامة المقدسي [٦] : (لا أصل له في كتب الحديث) . [٧] وقال الشاطبي في حرز الأماني [٨] :

---

(١) أخرجه ابن خزيمة ١/ ٢٣٨ ح ٤٦٧ ، وأبو داود ١/ ٢٦٥ ح ٧٧٥ واللفظ له ، والترمذي ٢/ ٩ ح ٢٤٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣٥ ح ٢١٨٥ ، والإمام أحمد ١٨/ ٥١ ح ١١٤٧٣ ، وعبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٧٥ ح ٢٥٥٤ . وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ١/ ٢٧٠ ح ١٢١٧.

(٢) انظر : الإنصاف ٢/ ٤٧ ، المغني ١/ ٢٨٣ .

(٣) انظر : المجموع ٣/ ٢٧٠ ، روضة الطالبين ١/ ٢٤٠ .

(٤) انظر : النشر في القراءات العشر ١/ ٢٤٩ .

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره ١/ ٦٢ .

(٦) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ، أبو القاسم ، شهاب الدين ، أبو شامة . مؤرخ ، محدث ، باحث . أصله من القدس ، ومولده في دمشق ، وبها منشأه ووفاته . ولي بها مشيخة دار الحديث الأشرفية . ولقب أبا شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر . مات سنة ٦٦٥هـ. من مؤلفاته : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، ومفردات القراء ، ومختصر تاريخ ابن عساكر ، وإبراز المعاني وهو شرح للشاطبية . انظر : بغية الوعاة : ٢/ ١٢ ، الأعلام ٣/ ٢٩٩ .

(٧) إبراز المعاني من حرز الأماني ١/ ٩٢ .

(٨) الوافي في شرح الشاطبية : ٤١ ، ٤٢ .

إذا ما أردتَ الدهرَ تقرأُ فاستعِذْ جِهاراً من الشيطان بالله مُسْجَلا
على ما أتى في النحل يُسْراً وإن تَزِد لربك تنزيهاً فلستَ مُجَهَّلا
وقد ذكروا لفظ الرسول فلم يَزِد ولو صح هذا النقلُ لم يُبْقِ مُجْمَلا[١]

ثم إن حديث ابن مسعود هذا معارض بما هو أصح منه، وهو حديث أبي سعيد المتقدم ، وفيه التصريح بجواز الزيادة على الصيغة الواردة في سورة النحل.

الصيغة الثالثة : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . [٢] ويدل لها حديث أبي سعيد المتقدم .

الصيغة الرابعة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم . ودليلها الجمع بين أدلة الصيغتين الأولى والثانية . وقد قرأ بها نافع وابن عامر والكسائي [٣] واختارها سفيان الثوري [٤] والإمام أحمد في رواية [٥] .

---

(١) قوله : جهاراً ، أي تعوذاً معلَناً غير خفي . وقوله : مسجلاً ، أي مطلقاً لجميع القراء في جميع القرآن ، لا يختص ذلك بقارئ دون غيره ، ولا بسورة ولا بحزب ولا بآية دون باقي السور والأحزاب والآيات ، وهذا بخلاف البسملة . قوله : على ما أتى في النحل يسراً ، أي تعوّذ تعوذاً مطابقاً للفظ الوارد في سورة النحل ؛ فإن ذلك سهل ميسور لقلة كلماته . قوله : وإن تزد لربك تنزيهاً فلست مجهلاً ، أي إن زدت على هذا اللفظ الوارد ما يفيد تعظيم الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به ، كأن تقول : أعوذ بالله السميع العليم ، أو أعوذ بالله العظيم ؛ فلست منسوباً إلى الجهل بفعلك ذلك ؛ لورود العمل به . قوله : وقد ذكروا لفظ الرسول .. إلخ أي أن بعض القراء والمحدثين ذكروا أن الرسول ﷺ لم يزد على لفظ سورة النحل شيئاً وأنكر الزيادة على ابن مسعود ﷺ ، ولو صح هذا لذهب إجمال الآية واتضح معناها وتعين لفظها فلا يجوز العدول عنه . انظر : إبراز المعاني ١/ ٩٠ ، الوافي في شرح الشاطبية : ٤٢ .

(٢) همز الشيطان : الموتة ، بضم الميم ؛ وهي الخنق ، نوع من الجنون والصرع . ونفخه : الكبر ، ونفثه : الشعر . انظر : النهاية : مادة (همز) ، ومادة (نفخ) ، ومادة (نفث) .

(٣) انظر : المبسوط ١/ ١٣ ، النشر ١/ ٢٥٠ .

(٤) انظر : المجموع ٣/ ٢٧١ .

(٥) انظر : الإنصاف ٢/ ٤٧ ، المغني ١/ ٢٨٣ .

الصيغة الخامسة : اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه. ويدل لها حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : " اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه " . (١)(٢)

ومع هذه الصيغ الصحيحة المأخوذة من الأدلة الشرعية(٣) ، وردت صيغ أخرى مروية عن السلف وبعض أهل العلم، ومنسوبة لبعض القراء، منها :

ـ ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم . (٤)

ـ أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم . (٥)

ـ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم . (٦)

ـ أعوذ بالله العظيم السميع العليم من الشيطان الرجيم . (٧)

ـ أعوذ بالله العلي من الشيطان الغوي . (٨)

ـ أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم . (٩)

---

(١) أخرجه ابن خزيمة ١/ ٢٤٠ ح ٤٧٢ ، وابن ماجه ١/ ٢٦٦ ح ٨٠٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣٦ ح ٢١٨٦ ، والإمام أحمد ٦/ ٣٨٠ ح ٣٨٣٠ ، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند : صحيح لغيره ، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ٦/ ١٧ ح ٢٩١٢٣ ، والحاكم ١/ ٣٢٥ ح ٧٤٩ وصححه وأقره الذهبي ، وأخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ٢٦٢ ح ٩٣٢٢ ، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٢/ ٥٥ .

(٢) هذه صيغ الاستعاذة الواردة عند القراءة ، وسيأتي في المسألة الثانية عشرة عند الحديث عن المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة صيغ أخرى مقيدة بحالات معينة .

(٣) روي عن النبي ﷺ في الاستعاذة صيغ أخرى ، مثل : أعوذ بالله من الشيطان ، من غير ذكر الرجيم ، واللهم أعذني من الشيطان الرجيم ، واللهم اعصمني من الشيطان الرجيم ، واللهم إني أعوذ بك من إبليس وجنوده . وقد أعرضت عن ذكرها في المتن لضعف أحاديثها .

(٤) وهي مروية عن أبي هريرة ﷺ . انظر : النشر في القراءات العشر ١/ ٢٨٥ .

(٥) وهي مروية عن ورش وقنبل وأهل الشام . انظر : المرجع السابق ١/ ٢٨٦ .

(٦) وهي مروية عن الحسن البصري والإمام أحمد في رواية . انظر : المرجع السابق ١/ ٢٨٦ ، الإنصاف ٢/ ٤٨ ، المغني ١/ ٢٨٣ .

(٧) وهي مروية عن حفص . انظر : المبسوط ١/ ١٣ .

(٨) انظر : المجموع ٣/ ٢٧٠ .

(٩) وهي مروية عن ابن كثير المكي . انظر النشر في القراءات العشر ١/ ٢٨٦ .

ـ أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي .[١]

ـ أعوذ بالله القادر من الشيطان الغادر .[٢]

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأستفتح الله وهو خير الفاتحين .[٣]

ـ أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم .[٤]

ـ أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد .[٥]

ـ رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم .[٦]

ـ أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين وأعوذ بالله أن يحضرون .[٧]

وهذا الاختلاف في صيغ الاستعاذة يدل على أن الأمر فيها واسع ، وأنه لا حرج على القارئ أن يأخذ بأي منها ، ولهذا قال الشاطبي ـ فيما تقدم ـ : (وإن تزد لربك تنزيهاً فلست مجهلا) . ومع هذا فالاقتصار على ما ثبت عن النبي ﷺ أولى .

المسألة الرابعة : أركان الاستعاذة .

للاستعاذة أركان ثلاثة : مستعيذ ، ومستعاذ به ، ومستعاذ منه .[٨] فأما المستعيذ ؛ فهو المؤمن الذي لجأ إلى الله تعالى ، واستجار به ، وعاذ بحماه ؛ عالماً بأنه

---

(١) وهي مروية عن أبي السماك . انظر : النشر في القراءات العشر ١/ ٢٨٤ .

(٢) وهي مروية عن شبل بن حميد . انظر : المرجع السابق ١/ ٢٨٤ .

(٣) وهي مروية عن حمزة . انظر : المرجع السابق ١/ ٢٨٦ .

(٤) وهي قول محمد بن سيرين ، واختيار حمزة . انظر : المبسوط ١/ ١٣ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ١/ ٦٢ .

(٦) أخرجها عبد الرزاق في مصنفه عن طاووس ٢/ ٨٤ ح ٢٥٧٨ .

(٧) أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه عن محمد بن سيرين ١/ ٢١٥ ح ٢٤٥٩ .

(٨) انظر : بدائع الفوائد ٢/ ٤٢٦ . وقد ذهب الرازي في تفسيره ١/ ٥٦ إلى أن أركان الاستعاذة خمسة : الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ به والمستعاذ منه والشيء الذي لأجله تحصل الاستعاذة . وما اعتمدته في المتن أولى ؛ فإن ما جعله الركن الأول وهو الاستعاذة ، أي صيغتها ؛ مشتملة على بقية الأركان . وما جعله ركناً خامساً وهو مقصود الاستعاذة ، داخل في المستعاذ منه ؛ لأنه إنما يستعاذ منه لدفع شره .

لا يعصم من الشر غيره ، ولا ينجي من المهالك سواه . وهو بهذا يمتثل أمر ربه في قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ (المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨) ، ويقتدي بالرسول ﷺ الذي عمل بمقتضى ما أُمِر به ؛ فعاذ بربه ولجأ إليه ، وأعاذ به أهله ، فعن ابن عباس رضي اللهَّ عنهما قال : " كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة " . [1]

والركن الثاني : المستعاذ به ، وهو الله ﷻ ، الذي يعيذ من التجأ إليه ، ويجير من استجار به ، ويكفيه ما أهمه . والاستعاذة به سبحانه مما لا يقدر عليه سواه من مقتضيات التوحيد ولوازمه ، فلا يستعاذ من ذلك بغيره . ثم الاستعاذة تكون بأسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا ، وأكثر ما وردت به نصوص القرآن الاستعاذة باسم ﴿الله﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٦) ، وقوله ﷻ : ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ (غافر : ٥٦) ، وقوله سبحانه عن موسى ﵇ : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾ (البقرة : ٦٧) .

ومن الكثير أيضاً الاستعاذة باسم ﴿الرب﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ (الفلق : ١) ، وقوله ﷻ عن موسى ﵇: ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ (الدخان : ٢٠) . أو بالضمير العائد إلى الرب ، كقوله تعالى عن نوح ﵇ : ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (هود:٤٧) .

(١) أخرجه البخاري ٣/ ١٢٣٣ ح ٣١٩١ ، وأبو داود ٢/ ٦٤٨ ح ٤٧٣٧ ، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٥٠ ح ١٠٨٤٤ ، وابن ماجه ٢/ ١١٦٤ ح ٣٥٢٥ ، والإمام أحمد ٤/ ٢٥٣ ح ٢٤٣٤ ، وابن أبي شيبة ٥/ ٤٧ ح ٢٣٥٧٧ .

وقوله سبحانه عن امرأة عمران : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران : ٣٦) .

أما اسم الرحمن فلم ترد الاستعاذة به في القرآن إلا مرة واحدة ، في قوله تعالى عن مريم عليها السلام : ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ (مريم:١٨).

والركن الثالث : المستعاذ منه ، وهو الشيطان الرجيم . وقد تقدم في معنى الاستعاذة أنه شامل لكل متمرِّد عات من الجن والإنس والدوابِّ . فالاستعاذة منه تعني الاستعاذة من جميع الشرور .

المسألة الخامسة : الاستعاذة ليست من القرآن .

حكى ابن عطية[1] والقرطبي[2] إجماع أهل العلم على أن الاستعاذة ليست آية من القرآن . فالوارد في القرآن أمر الله بها في قوله ﷻ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل : ٩٨) . وفرق بينها وبين الأمر بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (الاستعاذة ليست بقرآن ولم تكتب في المصاحف وإنما فيه الأمر بالاستعاذة وهذا قرآن) .[3]

المسألة السادسة : موضع الاستعاذة من القراءة .

احتج بعض أهل العلم بظاهر قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل :٩٨) على أن الاستعاذة تكون بعد الفراغ من

---

(١) في تفسيره ١/ ٤٨ .

(٢) في تفسيره ١/ ٦٢ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٢/ ٣٥١ .

القراءة . وقد روي ذلك عن أبي هريرة ﷺ[1] ، واستغربه ابن كثير[2] . وروي عن أصحاب ابن مسعود ﷺ[3] ، وعن محمد بن سيرين[4] ، وإبراهيم النخعي[5]، وداود الظاهري[6] ، وحكاه ابن العربي عن الإمام مالك واستغربه. [7] وروي أيضاً عن أبي حاتم السجستاني[8] . وأما القراء فلم ينقل القول بذلك عنهم إلا ما روي عن حمزة . [9]

وحجة هؤلاء أن الفاء في قوله ﷻ : ﴿فاستعذ﴾ للتعقيب ، فتكون الاستعاذة بعد القراءة . وأما فائدتها فهي دفع الإعجاب الذي قد يعلق بالنفس فيكون محبطاً للعمل . [10]

---

(١) انظر : تفسير الرازي ٩/ ٤٦٤ ، تفسير القرطبي ١/ ٦٣ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٠ ، المجموع ٣/ ٢٧١ ، النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٢ .

(٢) في تفسيره ١/ ١١٠ .

(٣) أخرجه عنهم عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٨٧ ح ٢٥٩٤ .

(٤) ذكره عنه : النووي في المجموع ٣/ ٢٧١ ، وابن الجزري في النشر ١/ ٢٩٢ . وسيأتي أن مذهبه الجمع بين التعوذ قبل القراءة وبعدها .

(٥) أخرجه عنه عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٨٧ ح ٢٥٩٣ . وانظر : المجموع ٣/ ٢٧١ ، النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٢ .

(٦) انظر : تفسير الرازي ٩/ ٤٦٤ ، تفسير القرطبي ١/ ٦٣ ، بدائع الصنائع ١/ ٢٠٢ ، النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٢ .

(٧) قال رحمه الله في أحكام القرآن ٥/ ٢٢٦ : (ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية : ﴿ فإذا قرأت القرآن ﴾ الآية قال : ذلك بعد قراءة أم القرآن لمن قرأ في الصلاة . وهذا قول لم يرد به أثر ، ولا يعضده نظر ؛ فإنا قد بينا حكم الآية ، وحقيقتها فيما تقدم ، ولو كان هذا كما قال بعض الناس إن الاستعاذة بعد القراءة لكان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة لا تشبه أصول مالك ، ولا فهمه ، والله أعلم بسر هذه الرواية) . وانظر : تفسير القرطبي ١/ ٦٣ .

(٨) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١١٠ ، النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٢ .

(٩) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١١٠ ، النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٢ .

(١٠) انظر : تفسير الرازي ١/ ٥٢ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٠ .

أما مذهب الجمهور فهو الاستعاذة قبل القراءة ، وجعلوا قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل : ٩٨) بمعنى : إذا أردت أن تقرأ ؛ فأوقع الماضي موقع المستقبل . ومثله قوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ (المائدة : ٦) أي : إذا أردتم القيام إلى الصلاة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ (الأحزاب : ٥٣) أي : إذا أردتم سؤالهن . [(١)]

وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ، وكل فعلين تقاربا في المعنى جاز تقديم أيهما شئت ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ (النجم : ٨) ؛ أي : فتدلى ثم دنا . [(٢)] ومثله قوله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ (القمر:١) . [(٣)] وعلى هذا القول لا حاجة إلى التقدير .

وذهب الطبري إلى أن المعنى : إذا كنت يا محمد قارئًا القرآن ؛ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وضعف القول بالتقديم والتأخير ، فقال : (لأن ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن ، ولكن معناه ما وصفناه) . [(٤)]

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٧/ ٢٩٣ ، تفسير البغوي ٣/ ٢٠ ، تفسير الرازي ١/ ٥٢ ، زاد المسير ١/ ٧، تفسير القرطبي ١/ ٦٢ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١١ ، أضواء البيان ٢/ ٤٤٣ .

(٢) هذا محمول على أحد التفسيرين لهذه الآية ، وهو أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام على صورته قد سد الأفق ؛ فخر مغشياً عليه ، فتدلى جبريل عليه السلام ؛ أي نزل على صورة الآدميين ، ودنا من النبي ﷺ وضمه . انظر : تفسير البغوي ٧/ ٤٠١ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١/ ٦٢ .

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ٢٩٣ .

والحكمة من تقديم الاستعاذة دفع وساوس الشيطان عند القراءة ، وإذهاب كيده وتلبيسه . قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ (الحج:٥٢)

فلأجل هذه العلة أمر بالاستعاذة قبل القراءة . [١] يضاف إلى ذلك (أنها طهارة الفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث ، وتطييب له ، وتهيؤ لتلاوة كلام الله تعالى ؛ فهي التجاء إلى الله تعالى ، واعتصام بجنابه من خلل يطرأ عليه أو خطأ يحصل منه في القراءة وغيرها ، وإقرار له بالقدرة). [٢]

وهذا القول للجمهور في كون الاستعاذة قبل القراءة هو الصحيح ، وهو مقتضى السنة الثابتة ؛ فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : " كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبر ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . ثم يقول : لا إله إلا الله ثلاثاً . ثم يقول : الله أكبر كبيراً ثلاثاً ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . ثم يقرأ " . [٣]

وحكى بعض أهل العلم الإجماع عليه ، مضعفاً المروي عن السلف بخلافه . قال ابن الجزري : (وهو ـ أي محل الاستعاذة ـ قبل القراءة إجماعاً ، ولا يصح قول بخلافه عن أحد ممن يعتبر قوله) . [٤]

وقال مكي بن أبي طالب : (فإن قيل : فإن ظاهر النص أن يتعوذ القارئ بعد القراءة لأنه قال : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ (النحل : ٩٨) والفاء بعد

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١١١ .
(٢) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٤ .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٢

ما قبلها تتبعه ، هو أصلها . فالجواب أن المعنى على خلاف الظاهر ، معناه : فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ، ودل على ذلك الإجماع أن الاستعاذة قبل القراءة ، ودليل هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾ (الأعراف : ٤) فوقع في ظاهر التلاوة أن مجيء البأس بعد الهلاك ، وليس المعنى على ذلك ، إنما معناه : وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا . فمجيء البأس بعد إرادة الهلاك ، وقبل الهلاك . وكذلك التعوذ المأمور به يكون بعد إرادة القراءة ، وقبل القراءة على أصل الفاء) . [1]

وفي هذه المسألة قول ثالث ، وهو أن الاستعاذة تكون قبل القراءة وبعدها . ولعل من قال بهذا أراد الجمع بين القولين السابقين وأدلتهما ؛ فيقرأ الاستعاذة قبل القراءة بمقتضى الخبر ، وبعدها بمقتضى القرآن . [2] وهذا القول مروي عن محمد بن سيرين . [3]

المسألة السابعة : حكم الاستعاذة عند القراءة .

اختلف العلماء في حكم الاستعاذة عند القراءة ، فذهبت طائفة إلى وجوب ذلك في الصلاة وخارجها . وهذا قول عطاء[4] والثوري[5] وإحدى الروايتين عن داود[6] ، واختاره ابن حزم الظاهري[7] . ودليلهم على الوجوب ظاهر قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل : ٩٨) .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٩ ، ١٠ .

(٢) انظر : تفسير الرازي ١/ ٥٢ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١١ .

(٣) أخرجه عنه عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٨٦ ح ٢٥٩٠ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١/ ٢١٥ ح ٢٤٥٩ . وانظر : المحلى ٣/ ٢٥٠ .

(٤) أخرجه عنه عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٣٨ ح ٢٥٧٤ . وانظر : المحلى ٣/ ٢٥٠ ، المبسوط ١/ ١٣، تفسير الرازي ١/ ٥٣ ، تفسير القرطبي ١/ ٦٢ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٣ .

(٥) انظر : المجموع ٣/ ٢٧٢ .

(٦) انظر : المجموع ٣/ ٢٧٢ .

(٧) في المحلى ٣/ ٢٥٠ .

فإنه أمر ، والأمر يقتضي الوجوب . واحتجوا لذلك أيضاً بفعل النبي ﷺ فإنه كان يداوم على الاستعاذة قبل القراءة ، ويأمر أصحابه بذلك ، وقد صح إجماع جميع قراء المسلمين منذ عهد النبي ﷺ جيلاً بعد جيل على الابتداء بالتعوذ متصلاً بالقراءة قبل الأخذ في القراءة . [1] واحتجوا أيضاً بأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب . وبأنها تدرأ شر الشيطان ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . [2]

وينبني على هذا القول أن القارئ إذا نسي التعوذ فإنه يقطع قراءته ، ويتعوذ ، ثم يبدأ من حيث وقف . هذا إن كان خارج الصلاة ، فإن كان في الصلاة ونسي التعوذ حتى ركع ؛ أعاد متى ذكر فيها وسجد للسهو ، إن كان إماماً أو منفرداً . فإن كان مأموماً ألغى ما قد نسي إلى أن ذكر ، وإذا أتم الإمام قام يقضي ما كان ألغى ، ثم سجد للسهو . [3]

وقال ابن سيرين إذا تعوذ الرجل مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب . [4] وقال بعضهم : كانت واجبة على النبي ﷺ دون أمته . [5]

والذي عليه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن الاستعاذة مستحبة قبل القراءة ، سواء أكان ذلك في الصلاة أم خارجها[6] ، إلا ما حكي عن مالك فإنه لم ير الاستعاذة في الصلاة المكتوبة ، ورآه في قيام رمضان في أول ليلة منه . [7]

---

(١) انظر : المحلى ٣/ ٢٥٠ ، المبسوط ١/ ١٣ ، أضواء البيان ٢/ ٤٣٤ .

(٢) انظر : تفسير الرازي ١/ ٥٣ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٣ .

(٣) انظر : المحلى ٣/ ٢٥٠ .

(٤) انظر : تفسير الرازي ١/ ٥٣ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٣ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١١٣ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٧/ ٢٩٣ ، المغني ١/ ٢٨٣ ، تفسير البغوي ٥/ ٤٢ ، المجموع ٣/ ٢٧١ ، بدائع الصنائع ١/ ٢٠٢ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٣ ، أضواء البيان ٢/ ٤٣٤ .

(٧) انظر : تفسير القرطبي ١/ ٦٢ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٣ .

وقد ذهبوا إلى أن الأمر في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل:٩٨) مصروف عن الوجوب إلى الاستحباب بدليلين:
أولهما : فعل النبي ﷺ فإنه كان يقرأ كثيراً من الآيات في حديثه لأصحابه ، ولم يذكر أنه كان يستعيذ قبلها ، فدل ذلك على عدم الوجوب . [١]
والآخر : أن النبي ﷺ علَّم المسيء صلاته ما يكفيه في الصلاة ، ولم يرو عنه أنه أمره بالتعوذ [٢] ؛ فدل على عدم وجوبه ، وأن الصلاة لا تفسد بتركه . [٣]

وهذا القول للجمهور في حكم الاستعاذة حكى الإجماع عليه غير واحد من أهل العلم ، فقال الطبري : (لا خلاف بين الجميع ، أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم قبل قراءته أو بعدها أنه لم يضيع فرضاً واجباً) . [٤]

وقال السرخسي بعد ما ذكر القول بالوجوب : (وهو مخالف لإجماع السلف فقد كانوا مجمعين على أنه سنة) . [٥]

وينبني على هذا القول أن القارئ إذا ترك الاستعاذة سهواً أو عمداً فلا حرج عليه ، لكن يستحب له أن يأتي بها في أثناء القراءة ؛ لأنه لما كان الإتيان بها قبل القراءة للاستحباب لم تسقط بتركها ، فإن تركها حتى فرغ سقطت. [٦]

---

(١) انظر : تفسير الآلوسي ١٤/ ٢٢٩ .

(٢) أخرج البخاري ١/ ٢٦٣ ح ٧٢٤ ، ومسلم ٢/ ١٠ ح ٩١١ عن أبي هريرة ﷺ :" أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى فسلم على النبي ﷺ فرد وقال : ارجع فصل فإنك لم تصل . فرجع يصلي كما صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال : ارجع فصل فإنك لم تصل. ثلاثاً . فقال : والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني ؟ فقال : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القران ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً وافعل ذلك في صلاتك كلها " .

(٣) انظر : الأم ١/ ١٠٧ ، المجموع ٣/ ٢٧٢ .

(٤) في تفسيره ١٧/ ٢٩٣ .

(٥) في المبسوط ١/ ١٣ .

(٦) انظر : كشاف القناع ١/ ٤٣٠.

وإن قطع القراءة في غير الصلاة قطع ترك وإهمال استحب له أن يعيد التعوذ إذا رجع إليها ، وإن قطعها لعذر عازماً على إتمامها إذا زال العذر ؛ كتناول شيء أو إعطائه، أو إجابة سائل ، أو عطاس أونحوه ؛ كفاه التعوذ الأول ؛ لأنها قراءة واحدة . [1]

المسألة الثامنة : حكم تكرار الاستعاذة في الصلاة .

اختلف العلماء في الاستعاذة ، هل تكون في كل ركعة ، أو في الركعة الأولى فقط . فقيل : يكتفى باستعاذة واحدة ، في الركعة الأولى . وبه قال أبو حنيفة[2]، والشافعي في أحد الوجهين عنه[3] ، وأحمد في رواية[4] . وهو قول عطاء والحسن والنخعي والثوري[5] .

فإن تركها في الركعة الأولى ؛ استحب له أن يستعيذ في الركعة الثانية ، سواء أكان تركه لها سهواً أم عمداً ؛ لأنها مشروعة عند القراءة ، والركعة الثانية وما بعدها فيها قراءة . وهذا بخلاف الاستفتاح ، فلو تركه في الركعة الأولى لم يأت به بعدها ؛ لأنه مشروع في أول الصلاة ، فيسقط بفوات محله . [6] وذهب ابن قدامة إلى أنه إن نسي التعوذ حتى شرع في القراءة لم يعد إليه ؛ لأنه سنة فات محلها . [7]

(١) انظر : المجموع ٣/ ٢٧١ ، كشاف القناع ١/ ٤٣٠ .
(٢) انظر : بدائع الصنائع ١/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
(٣) انظر : الأم ١/ ١٠٧ ، المجموع ٣/ ٢٧١ ، روضة الطالبين ١/ ٢٤١ ، تفسير الرازي ١/ ٥٣ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٣ .
(٤) انظر : الكافي ١/ ١٤٠ .
(٥) انظر : المجموع ٣/ ٢٧٢.
(٦) انظر : المجموع ٣/ ٢٧٠ ، كشاف القناع ١/ ٣٥٦ .
(٧) المغني ١/ ٢٨٣ .

واحتج القائلون بهذا القول بأدلة ، أولها : حديث أبي هريرة ﷺ قال : "كان رسول الله ﷺ إذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة بـ ﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ ولم يسكت " . [١]

والثاني : أن الصلاة جملة واحدة فإذا أتى بالاستعاذة في أولها كفى . [٢]

والثالث : أن الأصل هو العدم ، وما لأجله أمرنا بذكر الاستعاذة هو قوله ﷻ :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ (النحل : ٩٨) وكلمة إذا لا تفيد العموم . [٣]

قال ابن القيم رحمه الله : (والاكتفاء باستعاذة واحدة أظهر للحديث الصحيح - وذكر حديث أبي هريرة ﷺ - ثم قال : وإنما يكفي استعاذة واحدة لأنه لم يتخلل القراءتين سكوت بل تخللهما ذكر فهي كالقراءة الواحدة إذا تخللها حمد الله أو تسبيح أو تهليل أو صلاة على النبي ﷺ ونحو ذلك) . [٤]

والقول الثاني في هذه المسألة هو استحباب التعوذ في كل ركعة . وبه قال ابن سيرين والنخعي[٥] ، وهو الوجه الثاني في مذهب الشافعي ، وصححه النووي ، فقال : (الأصح في مذهبنا استحبابه في كل ركعة) [٦] ، وهو رواية عن الإمام أحمد . [٧] واحتجوا لذلك بأمرين :

أولهما : أن قراءة كل ركعة مستقلة برأسها ، فتشرع الاستعاذة قبلها .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٩٩ ح ١٣٨٤ .

(٢) انظر : الكافي ١/ ١٤٠ .

(٣) انظر : تفسير الرازي ١/ ٥٣ .

(٤) زاد المعاد ١/ ٢٣٢ .

(٥) انظر : المجموع ٣/ ٢٧٢ ، تفسير القرطبي ١/ ٦٢ .

(٦) انظر : المجموع ٣/ ٢٧٢ .

(٧) انظر : زاد المعاد ١/ ٢٣٢ .

والآخر : أن قوله ﷻ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ فيه ترتيب للحكم على الوصف المناسب ، وهذا يدل على العلية ؛ فيلزم أن يتكرر الحكم بتكرر العلة .[1]

المسألة التاسعة : هل الاستعاذة للصلاة أو للقراءة ؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين ، أولهما أن الاستعاذة في الصلاة إنما هي للصلاة نفسها ، وهو قول أبي يوسف من الحنفية [2] وعلى هذا يتعوذ المأموم وإن كان لا يقرأ ، ويتعوذ في العيد بعد تكبيرة الإحرام وقبل تكبيرات العيد .[3]

والقول الآخر ، وهو الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة في الصلاة للقراءة .[4]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (والصواب أن الاستعاذة لا تشرع إلا لمن قرأ ، فإن اتسع الزمان للقراءة استعاذ وقرأ وإلا أنصت) .[5]

المسألة العاشرة : حكم الاستعاذة من حيث الجهر والإخفاء .

الذي عليه الجمهور هو الجهر بالاستعاذة في غير الصلاة ، في أول السورة وفي أثنائها .[6] وقد حكي الإجماع على ذلك ، فقال أبو عمر الداني : (ولا أعلم خلافاً بين أهل الأداء في الجهر بها عند افتتاح القرآن وعند الابتداء برؤوس الأجزاء وغيرها) .[7] وقال النووي : (ويجهر القارئ خارج الصلاة باتفاق القراء) .[8]

---

(١) انظر : تفسير الرازي ١/ ٥٣ .

(٢) انظر : بدائع الصنائع ١/ ٢٠٣ .

(٣) انظر : تفسير الرازي ١/ ٥٤ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٤ .

(٤) انظر : تفسير الرازي ١/ ٥٤ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٤ .

(٥) مجموع الفتاوى ٢٣/ ٢٨٢ .

(٦) انظر : التيسير ١/ ١٤ ، إبراز المعاني ١/ ٩٠ ، النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٠ ، إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٢ .

(٧) التيسير ١/ ١٤ .

(٨) المجموع ٣/ ٢٧١ .

قالوا : وفائدة ذلك إظهار شعار القراءة ، كالجهر بالتلبية وتكبيرات العيد ، ولأنه يفضي إلى إنصات السامع للقراءة من أولها فلا يفوته شيء منها ، وهذا بخلاف ما لو أخفيت . ثم إن في الجهر بها إغاظة للشيطان ، ودفعاً لوساوسه ، وتعليماً للجاهل . وقد وقر في النفوس أنها ليست من القرآن ، فلا محذور في الجهر بها . [١] ويستثنى من هذا الحكم من يقرأ سراً ، أو وسط جماعة يتدارسون القرآن ولم يكن هو المبتدئ بالقراءة ؛ فإنه حينئذ يخفي الاستعاذة . [٢]

وروي عن نافع أنه كان يخفي الاستعاذة في جميع القرآن ، وروي عن حمزة ثلاثة أوجه : الإخفاء مطلقاً ، والتخيير بين الجهر والإخفاء ، والجهر أول الفاتحة فقط ، ثم الإخفاء بعد ذلك في سائر القرآن . [٣] قالوا : وإنما أخفيت الاستعاذة لئلا يظن ظان أو يتوهم متوهم أنها من القرآن، أو أنها فرض لازم . [٤]

والصحيح ما عليه الجمهور ، بل أنكر الحفاظ المحققون ما عداه ، وضعفوا المروي فيه عن القراء . قال الشاطبي رحمه الله :

وإخفاؤه فَصْلٌ أَباهُ وُعَاتُنا وكم من فَتًى كالمَهْدَوِي فيه أَعْمَلا[٥]

---

(١) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ١١ ، النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٠ .

(٢) انظر : الوافي في شرح الشاطبية : ٤٤ .

(٣) انظر : التيسير ١/ ١٤ ، إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٢ ، الوافي في شرح الشاطبية : ٤٤ .

(٤) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ١١ .

(٥) انظر : الوافي في شرح الشاطبية : ٤٣ . والمعنى : أن إخفاء التعوذ حكم رده الوعاة وهم العلماء الحفاظ الأثبات ، ولم يأخذوا به ، بل أخذوا بالجهر به في جميع القرآن ، ولكل القراء . والمهدوي هو أبو العباس أحمد بن عمار المقرئ المفسر المتوفى سنة ٤٣٠ هـ فإنه أعمل فكره في تصحيح الإخفاء وتقريره والقراءة والإقراء به .

وأما في الصلاة فالذي عليه الجمهور عدم الجهر بالاستعاذة . وبهذا قال أبو حنيفة [١] ، وأحمد بن حنبل[٢] ، وهو الراجح من مذهب الشافعي[٣] ، وقول مالك في قيام رمضان . [٤]

وقال بعض أهل العلم : يجهر بالاستعاذة في الصلاة . وهذا منسوب لأبي هريرة ﷺ . [٥] وهو وجه في مذهب الشافعي . [٦]

وقال ابن أبي ليلى : (الإسرار والجهر سواء ، وهما حسنان) . [٧] وهذا وجه ثالث في مذهب الشافعي . [٨]

والصحيح ما عليه الجمهور من عدم الجهر بها ، إلا لمصلحة ظاهرة ، كتعليم جاهل أو نحو ذلك . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في إمام يجهر بالاستعاذة : (إذا فعل ذلك أحياناً للتعليم ونحوه فلا بأس بذلك ، كما كان عمر بن الخطاب يجهر بدعاء الاستفتاح مدة ، وكما كان ابن عمر وأبو هريرة يجهران بالاستعاذة أحياناً . وأما المداومة على الجهر بذلك فبدعة مخالفة لسنة رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين ؛ فإنهم لم يكونوا يجهرون بذلك دائماً ، بل لم ينقل أحد عن النبي ﷺ أنه جهر بالاستعاذة . والله أعلم) . [٩]

---

(١) انظر : المبسوط ١/ ١٣ .
(٢) انظر : كشاف القناع ١/ ٣٣٥ .
(٣) انظر : المجموع ٣/ ٢٧٢ .
(٤) انظر : النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٠ .
(٥) انظر : الأم ١/ ١٠٧ ، المجموع ٣/ ٢٧٢ .
(٦) انظر : روضة الطالبين ١/ ٢٤١ .
(٧) انظر : المجموع ٣/ ٢٧٢ .
(٨) انظر : روضة الطالبين ١/ ٢٤١ ، النشر في القراءات العشر ١/ ٢٩٠ ، تفسير ابن كثير ١/ ١١٣ .
(٩) مجموع الفتاوى ٢٢/ ٤٠٥ .

المسألة الحادية عشرة : هل يستعيذ المأموم في الجهرية ؟

هذه المسألة اختلف فيها العلماء على أقوال ثلاثة ، هي ثلاث روايات عن الإمام أحمد .[(١)] فقيل : يستعيذ مطلقاً ، وقيل : لا يستعيذ مطلقاً ، وقيل إن سمع الإمام لم يستعذ ، وإن لم يسمعه استعاذ . وقد صحح شيخ الإسلام ابن تيمية القول بعدم الاستعاذة ؛ لكونه يشغل عن الاستماع والإنصات المأمور به ، فليس له أن يشتغل عما أمر به بشيء من الأشياء .[(٢)]

والخلاف في هذه المسألة ينبني على الخلاف في حكم قراءة المأموم خلف الإمام في الجهرية ، فمن رأى وجوب قراءة الفاتحة عليه استحب له التعوذ قبلها، ومن لم ير ذلك كره له التعوذ .

المسألة الثانية عشرة : مواضع الاستعاذة .

تشرع الاستعاذة في مواضع كثيرة ، منها :

١ـ عند قراءة القرآن ، سواء أكان ذلك في الصلاة أم خارجها ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل : ٩٨) .

ولحديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : " كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبر ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . ثم يقول : لا إله إلا الله ثلاثاً . ثم يقول : الله أكبر كبيراً ثلاثاً ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . ثم يقرأ ".[(٣)]

(١) انظر : الإنصاف ٢/ ٢٣٣ ، المحرر ١/ ٦٠ ، مجموع الفتاوى ٢٣/ ٢٨٠ .

(٢) في مجموع الفتاوى ٢٣/ ٢٨٠ . وانظر في هذا الخلاف : المحلى ٣/ ٢٥٠ ، بدائع الصنائع ١/ ٢٠٢، ٢٠٣ ، المجموع ٣/ ٢٧٠ .

(٣) سبق تخريجه .

٢. عندما يلبس الشيطان على المسلم صلاته ، ويحول بينه وبينها ؛ لحديث عثمان بن أبي العاص ﷺ أنه أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يَلْبِسُهَا عليّ . فقال رسول الله ﷺ : " ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتْفِل على يسارك ثلاثاً". قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني . (١)

٣. عند نزغ الشيطان ووسوسته ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف:٢٠٠) . وقوله ﷻ : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾ (المؤمنون :٩٧ ، ٩٨) . وهذا الموضع عام يشمل جميع شرور الشيطان .

٤. عند حصول الوساوس في دين المسلم ومعتقده ؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : " يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته " . (٢)

٥. عند دخول المسجد ؛ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قال : " أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم " . (٣)

٦. مع أذكار الصباح والمساء ، وقبل النوم ؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن أبا بكر الصديق ﷺ قال : يا رسول الله ، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال : " قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) أخرجه البخاري ٣/ ١١٩٤ ح ٣١٠٢ ، ومسلم ١/ ٨٤ ح ٣٦٢ .
(٣) أخرجه أبو داود ١/ ١٨٠ ح ٤٦٦ . وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ١/ ٦٥ ح٧٤٩.

أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه . قال : قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك " . [١]

٧- عند الغضب ؛ لحديث سليمان بن صُرَد ﷺ قال : استَبَّ رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه فنظر إليه النبي ﷺ فقال : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبي ﷺ فقال : أتدري ما قال رسول الله ﷺ آنفاً؟ قال : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . فقال له الرجل : أمجنوناً تراني؟! [٢]

٨- عند سماع نهيق الحمير ونباح الكلاب ؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً " . [٣]

وحديث جابرﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله من الشيطان فإنهن يرين ما لا ترون " . [٤]

---

(١) أخرجه ابن حبان ٣/ ٢٤٢ ح ٩٦٢ ، وأبو داود ٢/ ٧٣٧ ح ٥٠٦٧ ، والترمذي ٥/ ٤٦٧ ح ٣٣٩٢ وصححه الألباني ، والنسائي في الكبرى ٦/ ١٩٨ ح ١٠٦٣١ ، والدارمي ٢/ ٣٧٨ ح ٢٦٨٩ وصححه حسين سليم أسد في تعليقه على الدارمي ، وأحمد ١/ ٢٢٧ ح ٦٣ وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند ، والبخاري في الأدب المفرد ١/ ٤١٢ ح١٢٠٢ ، وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٣٥ ح ١٩٨٣٢ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه البخاري ٣/ ١٢٠٢ ح ٣١٢٧ ، ومسلم ٨/ ٨٥ ح ٧٠٩٦ .

(٤) أخرجه أبو داود ٢/ ٧٤٨ ح ٥١٠٣ ، وأحمد ٢٢/ ١٨٧ ح١٤٢٨٣ وحسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ٤٢٣ ح ١٢٣٤ ، والحاكم ٤/ ٣١٦ ح ٧٧٦٢ وقال : صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٠١ ح ٢٩٨٠٦ . وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم : ٦٢٠ .

٩- عندما يرى المسلم رؤيا يكرهها ؛ لحديث أبي قتادة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " الرؤيا من الله والحُلْم من الشيطان فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضرَّه " . [١]

١٠- عند الفزع ؛ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون " . [٢]

١١- إذا نزل منزلاً ؛ لحديث خولة بنت حكيم السلمية قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من نزل منزلاً ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك " . [٣]

١٢- إذا دخل الخلاء ؛ لحديث أنس بن مالك ﷺ قال : " كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث " . [٤]

١٣- عند رقية المسلم نفسه إذا اشتكى ألماً ؛ لحديث عثمان بن أبى العاص الثقفي ﷺ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم . فقال له

---

(١) أخرجه البخاري ٣/ ١١٩٨ ح ٣١١٨ ، ومسلم ٧/ ٥١ ح ٦٠٣٧ .

(٢) أخرجه أبو داود ٢/ ٤٠٥ ح ٣٨٩٣ ، والترمذي ٥/ ٥٤١ ح ٣٥٢٨ ، والنسائي في الكبرى ٦/ ١٩٠ ح ١٠٦٠١ ، وأحمد ١١/ ٢٩٥ ح ٦٦٩٦ وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند : يحتمل التحسين بشواهده ، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ٤٤ ح ٢٣٥٤٧ . وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم : ٧٠٣ .

(٣) أخرجه مسلم ٨/ ٧٦ ح ٧٠٥٣ ، وابن خزيمة ٤/ ١٥٠ ح ٢٥٦٦ ، والترمذي ٥/ ٤٩٦ ح ٣٤٣٧ ، والنسائي في الكبرى ٦/ ١٤٤ ح ١٠٣٩٤ ، وأحمد ٤٥/ ٨٧ ح ٢٧١٢٠ ، والطبراني في الكبير ٢٤/ ٢٣٧ ح ٢٠٦٢٤ .

(٤) أخرجه البخاري ١/ ٦٦ ح ١٤٢ ، ومسلم ١/ ١٩٥ ح ٨٥٧ .

رسول الله ﷺ : " ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : باسم الله ، ثلاثاً . وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر " . [١]

١٤ـ عند النوم ؛ لما أخرجه مسلم[٢] قال : حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : " اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر ". وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ " .

وفي الجملة فإنه ينبغي للمسلم أن يستعيذ بالله تعالى من جميع الشرور ، وأن يلجأ إليه مستجيراً به من كل ما أهمه ، في كل حين ، وفي كل مكان . قال ابن القيم رحمه الله عن المعوذتين : (إن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النَفَس والطعام والشراب واللباس) . [٣]

---

(١) أخرجه مسلم ٧/ ٢٠ ح ٥٨٦٧ ، وابن حبان ٧/ ٢٣٠ ح ٢٩٦٤ ، والنسائي في الكبرى ٦/ ٢٤٨ ح ١٠٨٣٩ ، وابن ماجه ٢/ ١١٦٣ ح ٣٥٢٢ ، والطبراني في الكبير ٩/ ٤٥ ح ٨٣٥٩ .

(٢) في صحيحه ٨/ ٧٨ ح ٧٠٦٤ .

(٣) بدائع الفوائد ٢/ ٤٢٦ .

الخاتمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد : فقد تبين لي من خلال هذا البحث المختصر في موضوع الاستعاذة ما يلي :

١ـ فضل الاستعاذة ، وشدة حاجة المسلم إليها في أموره كلها .

٢ـ للاستعاذة صيغ كثيرة ، منها ما هو ثابت بالنص ، ومنها ما هو مبني على الاجتهاد والنظر ، مما يدل على أن الأمر فيها واسع ، وأنه لا يلزم التقيد بصيغة معينة .

٣ـ للاستعاذة أركان ثلاثة : مستعيذ ، ومستعاذ به ، ومستعاذ منه .

٤ـ أجمع أهل العلم على أن الاستعاذة ليست من القرآن ، وأن الذي في القرآن هو الأمر بها .

٥ـ تكون الاستعاذة قبل القراءة ، سواء أكان ذلك في الصلاة أم خارجها ، على الصحيح من أقوال أهل العلم ، بل حكي إجماعاً .

٦ـ جمهور العلماء على استحباب الاستعاذة قبل القراءة، وأن ذلك ليس فرضاً.

٧ـ يكفي في الصلاة استعاذة واحدة ، لأن القراءة فيها بمنزلة القراءة الواحدة . وقيل : لكل ركعة قراءة مستقلة ؛ فيستعاذ في كل ركعة .

٨ـ يجهر بالاستعاذة قبل القراءة في غير الصلاة على الصحيح من أقوال أهل العلم ، وحكي إجماعاً . أما في الصلاة فالصحيح عدم الجهر بها إلا لحاجة .

٩ـ تشرع الاستعاذة في مواضع كثيرة ؛ كقراءة القرآن ، وعند وسوسة الشيطان في الصلاة وخارجها ، وعند دخول المسجد ، ومع أذكار الصباح والمساء ، وعند الغضب ، وحال الفزع ... وغير ذلك .

قائمة المصـادر

١ـ إبراز المعاني من حرز الأماني ، وهو شرح الشاطبية ، أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي .

٢ـ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي ، تحقيق : أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ .

٣ـ أحكام القرآن لابن العربي محمد بن عبد الله الأندلسي ، دار الكتب العلمية .

٤ـ الأدب المفرد ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ .

٥ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ .

٦ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ .

٧ـ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٩٩٢م .

٨ـ اقتضاء الصراط المستقيم ، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩هـ .

٩ـ الأم ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ .

١٠ـ الإنصاف ، أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

١١ـ بدائع الصنائع ، علاء الدين الكاساني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .

١٢ـ بدائع الفوائد ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، تحقيق : هشام عطا وآخرين ، مكتبة الباز ، مكة .

١٣ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤هـ.

١٤ـ التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .

١٥ـ تفسير الآلوسي ، وهو روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل محمود بن شكري الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٦ـ تفسير البغوي ، وهو معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد النمر وآخرين، دار طيبة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ .

١٧ـ تفسير الرازي ، وهو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .

١٨ـ تفسير الطبري ، وهو جامع البيان في تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .

١٩ـ تفسير القرطبي ، وهو الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

٢٠ـ تفسير ابن كثير ، وهو تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تحقيق : سامي السلامة ، دار طيبة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ .

٢١ـ التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .

٢٢ـ درء تعارض العقل والنقل ، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد سالم، دار الكنوز الأدبية ، الرياض ، ١٣٩١هـ .

٢٣ـ ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : محمد عاشور ، الجزائر ، ١٩٧٦م .

٢٤ـ روضة الطالبين ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ .

٢٥ـ زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ .

٢٦ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٢٧ـ سنن البيهقي الكبرى ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد عطا ، دار الباز ، مكة، ١٤١٤هـ .

٢٨ـ سنن الترمذي ، وهي الجامع الصحيح ، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق : أحمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٩ـ سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق : فواز زمرلي وخالد العلمي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

٣٠ـ سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، بيروت .

٣١ـ سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت .

٣٢ـ سنن النسائي ، وهي المجتبى من السنن ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .

٣٣ـ سنن النسائي الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : د . عبد الغفار البنداري وسيد حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .

٣٤ـ شرح النووي لصحيح مسلم ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ، نشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض .

٣٥ـ صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ .

٣٦ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ .

٣٧ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ .

٣٨ـ صحيح ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٠هـ .

٣٩ـ صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار الجيل، بيروت .

٤٠ـ الفروع ، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي ، تحقيق : أبو الزهراء القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

٤١ـ الكافي ، أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٤٢ـ كشاف القناع ، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، تحقيق : هلال مصيلحي ، دار الفكر ، بيروت، ١٤٠٢هـ .

٤٣ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ .

٤٤ـ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت، الطبعة الأولى .

٤٥ـ المبسوط ، شمس الدين السرخسي ، دار المعرفة ، بيروت .

٤٦ـ المجموع ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٧م .

٤٧ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي النجدي ، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين .

٤٨ـ المحرر في الفقه ، مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .

٤٩ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الغرناطي الأندلسي ، المجلس العلمي بفاس .

٥٠ـ المحلى ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي ، تحقيق : أحمد شاكر ، دار الفكر .

٥١ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ .

٥٢ـ المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .

٥٣ـ مسند الإمام أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ .

٥٤ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ .

٥٥ـ مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق : كمال الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .

٥٦ـ مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .

٥٧ـ المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .

٥٨ـ معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ .

٥٩ـ المغني ، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

٦٠ـ مفردات ألفاظ القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار القلم ، دمشق.

٦١ـ المهذب ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، دار الفكر ، بيروت
٦٢ـ النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن الجزري ، دار الفكر .
٦٣ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق : طاهر الزاوي ، محمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .
٦٤ـ الوافي في شرح الشاطبية ، عبد الفتاح القاضي ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١هـ .

المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها في سور آل حم

د. هدى بنت دليجان الدليجان

- عضو هيئة التدريس بجامعة الملك فيصل .
- مستشار غير متفرغ بوزارة التعليم العالي .
- مديرة مكتب الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه بالأحساء .
- حصلت على درجة الماجستير من كلية الآداب للبنات بالدمام .
- حصلت على درجة الدكتورة من كلية الآداب للبنات بالدمام .

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله مِنْ شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَاديَ لَهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحدَه لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ محمدا عبدُهُ ورَسُولُهُ ، بَلَّغ الرسَالَة، وَأدَّى الأَمَانَة، وَنَصَحَ الأمة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدِّين . أما بعد :

فقد أنزل الله القرآن الكريم هاديا ودليلا إلى الصراط المستقيم، و فرقانا بين الحق والباطل، فتحدى به الأولين والآخرين من الإنس والجن أجمعين، وجعل هذا الكتاب الكريم معجزا في علومه وبيانه، فكان من وجوه الإعجاز العظيمة ارتباط سوره وآياته بعضها ببعض بروابط عظيمة في اللفظ والمعنى.

من أجل هذا اعتنى بعض المهتمين بعلوم القرآن الكريم من العلماء السابقين والمعاصرين بعلم مناسبة القرآن الكريم، وكان من فوائد هذا العلم الجليل؛ التأكيد على براعة الاستهلال في سور القرآن الكريم في تنوع أساليب فواتح السور الكريمة وتعدد موضوعاتها، وكذلك التأكيد على مناسبة فاتحة السورة لخاتمة السورة نفسها، وقد تناوله بعض المفسرين بالإشارة والتلميح لمناسبة فواتح سور القرآن الكريم لخواتمها، كأحد أساليب البيان العظيم لما في القرآن الكريم من علوم باهرة ومناسبات ظاهرة.

وقد اتفقت سور آل حم في براعة الاستهلال بالحديث عن القرآن الكريم والابتداء بالحرفين(حم)، وأكدت في مضامينها على موضوعات متشابهة، من أجل هذا ارتبطت هذه السور كلها برباط واحد وثيق، فهي كالأسرة الواحدة التي توالت فيها الأجزاء والمقاطع لتخدم غرضا عظيما هو بيان إعجاز القرآن الكريم.

من أجل هذا اخترت موضوع ((المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها في سور آل حم)) للبحث في أسرارها والتدبر في مناسبة الفاتحة للخاتمة في كل سورة من سور آل حم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- إن علم المناسبات القرآنية علم عظيم معجز لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي أسراره، وهو أحد أنواع علوم القرآن الكريم المهمة التي تتعلق ببيان معانيه وتفسير آياته وسوره.
- إن فواتح السور ترتبط بخواتمها في كل سورة بمعان عظيمة ومناسبة دقيقة، وفي هذا دلالة على حسن تناسق القرآن الكريم وكمال ترتيب سوره وآياته، فأحببت لفت الأنظار إليه والاهتمام به، كما اهتم به العلماء السابقون من المفسرين وغيرهم، فقد رأيته مبثوثا في تفاسيرهم ، فأردت جمعه والكتابة فيه.
- إن سور آل حم وحدة مترابطة وأسرة متناسقة، فأردت أن أتدبر هذه السور الكريمة لأبين روعة الإعجاز الإلهي الذي تضمنته كل فاتحة سورة من سور آل حم وارتباطها بخاتمتها المجيدة.
- إن هذا البحث لم يسبق الكتابة فيه بالرجوع إلى كثير من العناوين والموضوعات التي كتبت في التفسير –حسب علمي وإطلاعي-.
- وبسؤال أهل العلم والمختصين فأشاروا علي في الكتابة فيه، فاستعنت بالله الكريم في وضع خطة البحث بحيث تنقسم إلى ما يلي:

خطة البحث:

- المقدمة، وتتضمن :
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

- خطة البحث.
- التمهيد: ويتضمن :

-دراسة سور آل حم، وفيه:

أ-تسميتها. ب-خصائصها.

المبحث الأول: دراسة المقصود من فواتح السور، وخواتم السور، والمناسبة بينهما، والفائدة منها، ويتضمن ما يلي:

أولا- اهتمام العلماء بالكتابة في فواتح وخواتم السور.

ثانيا- المقصود بفواتح السور .

ثالثا- المقصود بخواتم السور .

رابعا- المقصود من المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.

خامسا: الفائدة من البحث في المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها..

المبحث الثاني : دراسة المناسبة بين فواتح سور آل حم وخواتمها في كل سورة منها .

أولا- المناسبة بين فاتحة سورة غافر وخاتمتها.

ثانيا- المناسبة بين فاتحة سورة فصلت وخاتمتها.

ثالثا- المناسبة بين فاتحة سورة الشورى وخاتمتها.

رابعا- المناسبة بين فاتحة سورة الزخرف وخاتمتها.

خامسا- المناسبة بين فاتحة سورة الدخان وخاتمتها.

سادسا-المناسبة بين فاتحة سورة الجاثية وخاتمتها .

سابعا- المناسبة بين فاتحة سورة الأحقاف وخاتمتها.

خاتمة البحث : وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

وأسأل الله العظيم أن يوفقني في هذا البحث لتدبر آيات من القرآن الكريم ، والكتابة فيه على الوجه الذي يرضيه عني ، ويجعل لي من أمري رشدا.

التمهيد

دراسة سور آل حم

سور آل حم هي سبع سور ابتدأت ب (حم) وهي: (غافر- فصلت- الشورى- الزخرف- الدخان- الجاثية- الأحقاف) وهي مرتبة في المصحف، كترتيبها في النزول باتفاق العلماء[١].

قال السيوطي:" ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها، وفي العجائب للكرماني :إنما سميت السور السبع (حم) على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به، و هي إن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب، مع تفاوت المقادير في الطول والقصر، وتشاكل الكلام في النظام"[٢].

تسميتها:

تسمى هذه السور بآل حم والحواميم، قال الأزهري :"وقد قال بعضهم في قول الله:حم معناه: قضى ما هو كائن، وقال آخرون: هي من الحروف المعجمة، وعليه العمل"[٣].

و اختلف العلماء في تسميتها بآل حم أو الحواميم على قولين:

-القول الأول: جواز تسميتها بالاسمين (آل حم) أو (الحواميم)، ويوجه الإمام الطاهر بن عاشور جواز تسميتها بالاسمين بقوله:" ويدعى مجموعها (آل حم)، جعلوا لها اسم (آل) لتآخيها في فواتحها، فكأنها أسرة واحدة، وكلمة

---

(١) انظر: ابن عطية، القاضي أبو محمد الأندلسي، المحرر الوجيز،(٧/ ٤١٨ وما بعدها) وذكر في ذلك: الإجماع على مكية هذه السورة مع بداية كل سورة، وابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن،ص٨٢ .

(٢) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، معترك الأقران في إعجاز القرآن،(١/ ٧٤) .

(٣) الأزهري،أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (٤/ ١٤)، مادة(حم).

(آل) تضاف إلى ذي شرف، وربما جمعت السور المفتتحة بكلمة(حم) فقيل: الحواميم، جمع تكسير على زنة فعاليل، لأن مفرده مفاعيل وزنا، عرض له من تركيب اسمي الحرفين (حا) (ميم) فصارت كالأوزان العجمية مثل: قابيل وراحيل وما هو بعجمي، لأنه وزن عارض لا يعتد به، وجمع التكسير على فعاليل يطرد في مثله، وقد ثبت أنهم جمعوا (حم) على حواميم في أخبار كثيرة عن ابن مسعود وابن عباس وسمرة بن جندب –رضي الله عنهم- "[١].

وكذلك رأيت الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه للأحاديث التي جاء في ذكرها سور آل حم، فيذكر الاسمين دون إيراد للخلاف فيهما [٢].

القول الثاني: لا يصح تسميتها ب (الحواميم)، و قد نقل الإمام ابن كثير كراهية تسميتها بالحواميم فقال:" قد كره بعض السلف، منهم محمد بن سيرين أن يقال(الحواميم) ، وإنما يقال: (آل حم)"[٣].

قال أبو عبيدة: "الحواميم سور في القرآن على غير قياس وأنشد:

وبالطواسين التي قد ثلثت وبالحواميم التي قد سبعت

قال: والأولى أن تجمع بذوات حاميم"[٤] .

الترجيح: أرى –حسب بحثي- أنه يجوز تسميتها بالاسمين بدليل:

أخرج البخاري في صحيحه قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا وائل قال: جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال: ((قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذا كهذ الشعر، لقد عرفت النظائر التي

---

(١) ابن عاشور، الطاهر محمد، التحرير والتنوير، (٢٤/ ٧٦-٧٧)(بتصرف يسير) .

(٢) انظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري،(٢/ ٢٥٩).

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي،تفسير القرآن العظيم،(٧/ ١٢٦) .

(٤) أبو عبيد، القاسم بن سلام، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، تحقيق: أحمد بن عبدالواحد الخياطي، (٢/ ٦٥)، والطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق:محمود شاكر، حاشية (٢٤/ ٤٨) .

كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل، سورتين من آل حم في كل ركعة))[١].

وأخرج البخاري في صحيحه قال: حدثنا عبدان عن أبي بن حمزة، عن الأعمش، عن شقيق قال: قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((لقد تعلمت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة، فقام عبدالله ودخل معه علقمة، وخرج علقمة فسألناه، فقال : عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود، آخرهن من الحواميم،(حم الدخان، وعم يتساءلون)))[٢].

وفي هذه الرواية "شقيق هو ابن سلمة، وهو أبو وائل، مشهور بكنيته أكثر من اسمه"[٣]، وفي ورود الاسمين كما في الحديثين عن راو واحد دلالة على جواز تسميتها بالاسمين، ولم يرد النهي عن تسميتها بالحواميم، فلا ما نع من ذلك، والله أعلم.

خصائصها:

عن ابن عباس وجابر بن زيد رضي الله عنهم قال: ((إن الحواميم نزلت عقب الزمر، وإنها نزلت متتاليات كترتيبها في المصحف :المؤمن (غافر)، ثم السجدة(فصلت)،ثم الشورى، ثم الزخرف ، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ولم يتخللها نزول غيرها))[٤].

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((آل حم~ ديباج القرآن))[٥]، ووقفه الحاكم على ابن مسعود[٦].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، كتاب الأذان، (١٠٦) الجمع بين السورتين في ركعة، والقراءة بالخواتم،..،ح(٧٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب(٦)تأليف القرآن،ح(٤٩٩٦).

(٣) العسقلاني، فتح الباري،(٩/ ٤٢).

(٤) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن،(٣/ ٣٢٠).

(٥) أخرجه أبو عبيد، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، (٢/ ٦٥)، وقال عنه الإمام الألباني:موضوع عن أنس، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير،ح(٢٧٩٩) (٣/ ١١٤).

(٦) الحاكم، أبو عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين،(٢/ ٤٣٧).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ((إن لكل شيء لبابا، ولباب القرآن آل حم~، أو قال الحواميم))(١).

وقال الإمام ابن عطية في وصف موضوعات سور آل حم:" إنها خلت من الأحكام، وقصرت على المواعظ والزجر، وطرق الآخرة محضا، وأيضا فهي قصار لا يلحق القارئ فيها سآمة"(٢).

فالوحدة الموضوعية لسور آل حم تربط هذه السور معا برباط وثيق، فهي تعنى بأصول العقيدة كسائر السور المكية، لذا جاءت آياتها عميقة في إثبات وحدانية الله، وتنزيل القرآن، والبعث، ووصف ملائكة العرش، ووصف الصراع بين الحق و أهل الباطل (٣).

---

(١) أخرجه أبو عبيد، فضائل القرآن،(٢/ ٦٤) .
والآثار الواردة في فضائل آل حم لم يرفعها الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهي موقوفة، وتوقف في صحتها كثير من العلماء، والله أعلم.

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٧/ ٤١٨).

(٣) انظر: الزحيلي،(أ.د) وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،(٢٤/ ٦٩).

المبحث الأول

المقصود من فواتح السور، وخواتم السور، والمناسبة بينهما، والفائدة منها.

أولا: الكتابة في فواتح و خواتم السور:

يعد الإمام الزركشي (ت:٧٩٤هـ) ممن تكلم في هذا العلم من علوم القرآن الكريم، بل أفرد للفواتح والخواتم مبحثين في كتابه البرهان في علوم القرآن وهو:"النوع السابع: في أسرار فواتح السور"[(١)]، "والنوع الثامن في خواتم السور ذكر فيه بعض خواتم السور وفائدته، وجعل تحته:

فصل: [في مناسبة فواتح السور وخواتمها]، وفصل[في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة السورة التي قبلها]"[(٢)] .

يقول أحد الباحثين في علوم القرآن الكريم:"خواتم السور روح التأصيل في البرهان واضحة جدا، ولم يسبق الزركشي أحد في أسلوب عرضه في هذا النوع، ومادته فيها إبداع واستقلالية، وحسن نظر، إذ لم يسم أحدا سوى الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) في الكشاف[(٣)]، والكواشي(ت:٦٨٠هـ) في تفسيره[(٤)]،

(١) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن ،(١/ ١٦٤وما بعدها) .
قال المحقق: وألف في الفواتح ابن أبي الاصبع كتابا سماه(الخواطر السوانح في أسرار الفواتح)، ونقل عنه السيوطي في الإتقان.

(٢) الزركشي، البرهان ،(١/ ١٨٢وما بعدها) .

(٣) تتبعت تفسير الكشاف لسور آل حم ، فلم أقف له على ذكر للمناسبات في السور أو الخواتم، والله أعلم .

(٤) الإمام أحمد بن يوسف بن حسن أبو العباس الكواشي، المفسر الشافعي، له كتاب التفسير الكبير والتفسير الصغير،ولد سنة (٥٩٠هـ)،انظر: طبقات المفسرين للداودي،١/ ٩٨ .

اللذين نقل عنهما من تفسيريهما، وقد ضم تفسير الفخر الرازي(ت:٦٠٦هـ) بعض اللفتات التي تتعلق بخواتم السور"[1].

وقد اعتنى الإمام ابن الزبير الثقفي (ت: ٧٠٨هـ) في كتابه البرهان في تناسب سور القرآن بالحديث عن المناسبة بين السور والآيات [2]، ولم يفصل في فواتح وخواتم السور بل ذكرها إجمالا في مناسبة السورة، وتبعه على ذلك الإمام البقاعي(ت:٨٨٥هـ) في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ثم أفرد الإمام السيوطي(ت:٩١١هـ) الاهتمام بالفواتح والخواتم في كتابه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع[3]، ونبه على ذلك في كتابه المشهور الإتقان في علوم القرآن.

ثانيا- المقصود من فواتح السورهي :

من الفاتحة،"وفاتحة الشيء أوله، وفواتح القرآن: أوائل السور، الواحدة: فاتحة، وأم الكتاب يقال لها:فاتحة القرآن" [4].

---

(١) حيدر ،(د) حازم سعيد، علوم القرآن بين البرهان والإتقان(دراسة موازنة)، ص٥٤٨-٥٤٩(بتصرف) .

(٢) انظر : آل هويمل (د)، إبراهيم بن سليمان، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، بحث منشور مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس والعشرون، المحرم١٤٢٠هـ،ص٩٣-١٤٠.

(٣) وهو كتاب صغير في عدد صفحاته، عظيم في العلم الذي بحث فيه، وهو مخطوط، اعتنى به وحققه: د. محمد يوسف الشربجي، ونشر في الأحمدية، وهي مجلة علمية محكمة تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، العدد الرابع،جمادى الأولى/ ١٤٢٠هـ-أغسطس/ ١٩٩٩م، ص٧٣-١١٢.
وذكر السيوطي –رحمه الله– في هذا الكتاب المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، وذكر في ذلك المناسبة في سور آل حم، واختار ما يناسب الافتتاحية من الخواتم بحسب منتصف السورة، وعلق على ذلك المحقق، انظر: ص٩٧-٩٨.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة(فتح)(١٠/ ١٧٢) .

وفواتح السور هي : الآية أو الآيات التي تفتتح بها السورة.
قال الإمام الزركشي:" وقد افتتح سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام، لايخرج شيء من السور عنها، وذكرها بالتفصيل وهي:الاستفتاح بالثناء، الاستفتاح بحروف التهجي، الاستفتاح بالنداء، والاستفتاح بالجمل الخبرية، الاستفتاح بالقسم، الاستفتاح بالشرط، الاستفتاح بالأمر، الاستفتاح بالاستفهام، الاستفتاح بالدعاء، والاستفتاح بالتعليل"[1].

ثالثا- المقصود من خواتم السور:

الخواتم هي من الفعل ختم ، قال ابن سيده: ختم الشيء يختمه، ختما : بلغ آخره، وختم الله له بخير، وخاتِم كل شيء: وخاتمته:عاقبته وآخره، واختتمت الشيء: نقيض افتتحه، وخاتمة السورة: آخرها، ولا تجمع خاتما على خواتيم إلا اضطرارا، وفي التنزيل العزيز﴿ خِتَـٰمُهُۥ مِسۡكٌ ﴾ [المطففين:٢٦] :أي آخره[2].

ولم يعرض العلماء من قبل تعريفا لخواتم السور في علوم القرآن، مع أهميته، وذلك لتحديد الضابط الذي يبني عليه الباحث اختياره لهذه الخاتمة[3].

والذي أراه أنه يمكن تعريف خواتم السور بأنها : المقطع الذي يقع في آخر الآيات من السورة سواء كانت آية واحدة أم مجموعة آيات.

وقد اختلف العلماء في تحديد خواتم السور، فمنهم من قال بالمقطع الذي يتضمن ختام السورة، ومنهم من قال بالآية الأخيرة التي تجمع لباب السورة وتربط أولها بآخرها.

(١) الزركشي، البرهان ،(١/ ١٦٤-١٨١) (باختصار) .
(٢) ابن منظور، لسان العرب،مادة (ختم)،(٤/ ٢٥) .
(٣) حيدر ، علوم القرآن،ص٦٢٥ .

ومن المعلوم أن خواتم السور هي نهاية السورة التي بعدها يبتدأ بسورة أخرى ويستفتح بعدها ب بسم الله الرحمن الرحيم كما هو مكتوب ومقروء في المصاحف المتواترة إلا ما كان من سورة الأنفال وافتتاح سورة براءة بدون بسملة.

فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان النبي ﷺ لا يعلم ختام السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم))[(١)].

من أجل هذا لا يمكن تحديد الخواتم بآيات أو آية، والقطع بذلك تأولا ، لعدم وجود نص في ذلك، لكن يجب الوقوف على معاني خواتم السور، سواء كانت آيات متعددة مثل خواتم سورة البقرة، وخواتم سورة آل عمران وغيرهما، أم كانت آية كما في سورة النساء وغيرها.

وأكد علماء علوم القرآن الكريم كالزركشي والسيوطي وابن عقيلة وغيرهم في الكلام على فواتح و خواتم السور، وعدوه من أنواع علوم القرآن الكريم، قال الإمام الزركشي في البرهان بعد الحديث عن مناسبة فواتح السور لخواتمها:"وقد أتينا على نصف القرآن ليكون مثالا لمن نظر في بقيته"[(٢)].

رابعا- المقصود من المناسبة بين الفواتح والخواتم في السورة هي:

الرابطة التي تربط بين فاتحة السورة وخاتمتها.

قال الإمام العز بن عبد السلام : " المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام في أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره"[(٣)].

وقد جعل الدكتور الهويمل المناسبة في القرآن الكريم أنواعا بقوله:،"يمكن أن نقسم المناسبات إلى قسمين:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين،(١/ ٣٥٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) الزركشي، البرهان، (١/ ١٨٥) .

(٣) المرجع السابق، والسيوطي، الإتقان (٣/ ٣٢٠).

١-المناسبات في السورة الواحدة. ٢- المناسبات بين السور.

ولكل قسم من هذه الأقسام جزئيات تندرج تحته:

فالقسم الأول يندرج فيه:

أ- المناسبة بين اسم السورة ومحورها.

ب- المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة.

ت- المناسبة بين الآيات.

ث- المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها" [١].

قال الإمام السيوطي في الإتقان:" المناسبة في اللغة: المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين وضده، ونحوه ، وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[٢].

والمتتبع لكتاب الإمام السيوطي مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع يلحظ عدم تخصيص المناسبة بين الفواتح والخواتم بضابط أو معيار معين، بل الأمر عنده نسبي، وإنما كان يبحث في المناسبة بين اللفظ الذي يأتي في الافتتاحية وما يشاكله من اللفظ المقارب له في الخاتمة ولو كانت في منتصف السورة [٣] .

وقد ذكر علماء علوم القرآن الكريم كالزركشي والسيوطي–تحديدا– المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، إلا أنهم اقتصروا على بعض السور، ولم يستوعبوه

---

(١) الهويمل، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين،ص١٠٩.

(٢) السيوطي، الإتقان،(٣/ ٣٢٠) .

(٣) انظر: الشربجي، حاشية تحقيق مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، الأحمدية،ص٩٠.

كله، وهذا يدل دلالة على أصل هذا العلم والحاجة إلى التوسع في مباحثه، وهذا الذي عليه الاختيار في هذا البحث في دراسة المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.

خامسا: الفائدة من البحث في المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.

قدمت –سابقا– أن علم المناسبات في القرآن الكريم علم عظيم،"فمن علم أن القرآن الكريم كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك"(١).

وحيث إن علم المناسبات يربط أجزاء القرآن الكريم بعضه ببعض، ومرجعه إلى الفهم والتدبر لقلة النصوص والآثار فيه، وخوفا من الوقوع في التأويل مما أعرض عنه بعض المفسرين تنزها من الوقوع في التفسير بالرأي المذموم ، ويؤكد ذلك بعض الباحثين بقوله:" وقلة اعتناء المفسرين بهذا العلم إنما يعود أساسا لدقته، ولما يستجره من التكلف، فيما خفي من بعض وجوه المناسبة بين الآي أو السور "(٢).

وقد بنى القرآن الكريم كل سورة من سوره على معنى عظيم وجعل خاتمة السورة مرتبطة بفاتحتها ، وتحديد المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها علم جليل(٣)، وذلك لوجود معنى رابط بينهما ؛ عام أو خاص، لفظي أو عقلي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم بين الأفكار والموضوعات في الآيات، وذلك بحسب ما يعرف من الروابط في علم المناسبات، وفي ذلك خير كثير لمن تأمله وتدبره في التوصل إلى المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، وقد بين الإمام الزركشي العلاقة بين الفواتح والخواتم في السورة بقوله :"هي مثل الفواتح في الحسن، لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع

---

(١) السيوطي، الإتقان، (٣/ ٣٢٠) .

(٢) الفلاح،(د)سعيد بن جمعة، مقدمة البرهان في تناسب سور القرآن ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير ،ص٦٦ .

(٣) ابن عقيلة، محمد بن أحمد المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن،(٦/ ٣٠٤) .

إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى يرتفع معه للنفوس تشوف النفس إلى ما يذكر بعد، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ، ووعد ووعيد إلى غير ذلك" [١].

ويرى الدكتور الهويمل أن:" المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها واضح غاية الوضوح، فلا تكاد تجد سورة إلا وبين فاتحتها وخاتمتها مناسبة ظاهرة"[٢].

والمناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها يجعل أجزاء الكلام في السورة الواحدة بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط بين فاتحة السورة وخاتمتها، والوحدة الموضوعية للسورة، ويصير مجموع السورة كالبناء الواحد المحكم المتلائم الأجزاء، وهذا من أسرار القرآن الكريم.

---

(١) انظر: الزركشي، البرهان،(١/ ١٨٢)، والسيوطي، الإتقان (٣/ ٣٢٠).

(٢) الهويمل، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين،ص١١٣.

المبحث الثاني
دراسة المناسبة بين فواتح سور آل حم وخواتمها في كل سورة منها [1]

أولا: المناسبة بين فاتحة سورة غافر وخاتمتها

افتتح الله سورة غافر بأول آية {حم} وذكر بعدها تنزيل الكتاب وصفته جل جلاله، قال تعالى ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر:١-٢].

فقد جاءت هذه الافتتاحية الكريمة لسورة غافر لما تضمنته هذه السورة من الحديث عن المتكبرين والمجادلين، قال الإمام البقاعي: " ذكر من أسمائه هذين الاسمين العظيمين ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ تنبيها على انفراده بموجبهما، وأنه العزيز الحق القاهر للخلق لعلمه تعالى بأوجه الحكمة التي خفيت عن الخلق"[2].

فالاستفتاح بتنزيل الكتاب دلالة قوية على عظمة هذا الكتاب وما فيه من الأخبار والأحكام والأوامر والنواهي، قال الإمام أبو جعفر بن الزبير:" لما تضمنت سورة غافر بيان حال المعاندين، وجاحدي الآيات، وأن ذلك ثمرة تكذيبهم وجدلهم، وكان بناء السورة على هذا الغرض بدليل افتتاحها وختمها "[3].

لأن السورة اشتملت على موضوعين رئيسين وهما:

الأول: في بيان دلائل الإلوهية وكمال القدرة والرحمة والحكمة.

والآخر: في التهديد والوعيد.

---

(١) لم التزم بما جاء في كتاب الإمام السيوطي،مراصد المطالع في تناسب السور والمقاطع لاختلاف المنهج الذي اتبعته في تحديد خاتمة السورة بالمقطع الأخير من السورة، وقد نبهت على المواضع التي وافقت فيها اختيار الإمام السيوطي، وأسأل الله الرشد والسداد.

(٢) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٦/ ٤٨٣)(بتصرف) .

(٣) المرجع السابق، (٦/ ٥٤٩) .

فقال تعالى في خاتمة سورة غافر:

﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر].

فالرابط بين موضوع السورة وخاتمتها البديعة عظيم، وذلك لأن هذه الخاتمة لها متعلق كبير بتهديد الكفار الذين يجادلون في آيات الله، المتكبرين على رسله الكافرين به، فلم يك ينفعهم إيمانهم حين حلول البأس، مع إقرارهم بوحدانية الله وكفرهم بشركائهم من دونه، لكن الأوان قد فات.

((فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا)) في هذه الآية يذكر الله بأسه الذي يأخذ به المكذبين، قال الإمام الطبري: "فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل، وعذابه قد حل، لأنهم صدقوا حين لا ينفع التصديق مصدقا، إذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه، أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته"[(١)].

وهذا هو الختام البديع الذي يناسب جو السورة وطابعها الأصيل في ختم أعمال المتكبرين المجادلين بالخسارة الأكيدة، وهي سنة الله العادلة مع جميع الأمم التي تكبرت وجادلت، لم ينفعهم إيمانهم لما رأوا العذاب، قال تعالى ﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾.

ويوضح الإمام ابن الزبير في بيان مناسبة قوله تعالى { فلا يغررك تقلبهم في البلاد} وخاتمة السورة بقوله:"وكأنه في معرض إذا كانت العاقبة لك ولأتباعك فلا عليك من تقلبهم في البلاد، ثم بين تعالى أن حالهم في هذا كحال الأمم

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٢٤/ ١٠٤).

قبلهم، وجدالهم في الآيات كجدالهم، وأن ذلك لما حق عليهم من كلمة العذاب، وسبق لهم في أم الكتاب"(١).

من أجل هذه المناسبة قال الإمام البقاعي:" وقد التف آخرها بما بين من كمال العزة وتمام القدرة وشمول العلم مما رتب من أسباب الهداية والإضلال والإشقاء والإسعاد والنجاة والإهلاك بأولها أي التفاف، واكتنفت البداية والنهاية بيان ذلك، مع ما اشتمل عليه الوسط أيضا منه أعظم اكتناف"(٢).

ويكفي في الدلالة على عظم منة الله ونعمته على جميع عباده الإتيان في فاتحة السورة بقوله تعالى {ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير}،قال الإمام القرطبي:" وأصل الطول : الإنعام والفضل، يقال منه: اللهم طل علينا أي أنعم وتفضل، قال ابن عباس رضي الله عنهما{ذي الطول} ذي النعم، وقال مجاهد: ذي الغنى والسعة، وقال الماوردي: والفرق بين المن والتفضل:أن المن عفو عن ذنب، والتفضل إحسان غير مستحق، والطول مأخوذ من الطول كأنه طال بإنعامه على غيره، وقيل: لأنه طالت مدة إنعامه،{إليه المصير} أي المرجع"(٣).

فكأنما أراد الله بهذه الافتتاحية التنبية على منته وفضله بتلك النعم العظيمة من الهداية والتوبة على من تاب ومغفرة الذنوب، والتذكير بشديد عقابه وأنه إليه المرجع والمصير ، من أجل هذه الفاتحة جاء التذكير بهذه الخاتمة البديعة.

" فالسورة تتحدث عن الإيمان والطغيان، وحال المتكبرين والمتجبرين في الأرض، وبأس الله الذي يأخذهم بالدمار والتنكيل، ولعله مما يتفق مع هذه

(١) ابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن ، ص١٥٨.

(٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٦/ ٥٤٦) .

(٣) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن،(١٥/ ٢٥٦)(بتصرف).

السمة افتتاح السورة بقوله ((غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لاإله إلا هو إليه المصير)) " [١].

فالله الذي أنزل الكتاب، هو العزيز الذي لا يغلب، العليم الذي لا تخفى عليه خافية، وهو يغفر الذنوب جميعا، ويقبل التوبة عن عباده قبل وقوع العذاب عليهم، وهذا من منته وفضله على عباده، ومع ذلك فهذه سنة الله الخالدة في الأولين والآخرين، فإذا جاء العذاب لم يقبل منهم إيمان ولا توبة، وخسر الكافرون المجادلون المتكبرون أعظم خسارة .

ثانيا: المناسبة بين فاتحة سورة فصلت وخاتمتها [٢]

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [فصلت:١-٥] .

قررت هذه السورة في استهلالها موقف المشركين المعاندين من القرآن الكريم والنبوة بسبب الجهل الذي يغلف قلوبهم، والوقر الذي يغشى آذانهم، والحجاب الذي ضربوه على أنفسهم عن رؤية الآيات البينات، قال تعالى ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [فصلت: ٤-٥].

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن،(٥/ ٣٠٦٥)(بتصرف).

(٢) ذكر الإمام السيوطي في مراصد المطالع قال: فصلت في أولها{ فأعرض أكثرهم}[٤]، وفي آخرها{أعرض ونأ بجانبه}[٥١].

فهذه السورة الكريمة تعالج قضية كبيرة هي قضية الوحي وما يتعلق به من الإيمان بقضايا العقيدة الكبرى كالإلوهية والنبوة والكتب السماوية والحياة الآخرة، فقد تضمن الوحي الإخبار بهذه الأمور العظيمة، فمن أنكرها يوصف بأشد الصفات القبيحة في حواسه، وهو من كان قلبه في أكنة، وفي آذانه وقر، وجعل بينه وبين الحق حجابا كثيفا من الضلال والجحود.

قال الإمام ابن الزبير موضحا حال هذه السورة الكريمة:" وتضمنت هذه السورة العظيمة من بيان عظيم الكتاب وجلالة قدره وكبير الرحمة به ما لا يوجد في غيرها من أقرانها، كما أنها في الفصاحة تبهر العقول بأول وهلة، ولا يمكن للعربي الفصيح في شاهد برهانها أدنى توقف، ولا يجول في وهمه إلى معارضة بعض آياتها أدنى تشوف"(١).

من أجل هذا كانت هذه السورة شاملة لكل ما يراد تفصيله عن قضية الوحي، فهي تفتتح به في تفصيل ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

قال الإمام الطبري:" فصلت آيات هذا الكتاب قرآنا عربيا لقوم يعلمون اللسان العربي، {بشيرا}لهم يبشرهم إن هم آمنوا به، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة، {ونذيرا}يقول: ومنذرا من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله في عاجل الدنيا وخلود الأبد في نار جهنم في أهل الآخرة، {فأعرض أكثرهم} يقول تعالى ذكره: فاستكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله، وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم، الذين أنزل هذا القرآن بشيرا لهم ونذيرا، وهم

(١) ابن الزبير،البرهان في تناسب سور القرآن،ص١٥٩ .

قوم رسول الله ﷺ،{فهم لا يسمعون}يقول: فهم لا يصغون له فيسمعوا إعراضا عنه واستكبارا"[١].

وختمت هذه السورة الكريمة بقوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ [فصلت:٥٢-٥٤].

فيتبين من هذا التذييل الرائع للسورة الكريمة ارتباط أولها بآخرها، بقوله { قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم }كأنها الآية في سياق قوله جل جلاله { تنزيل من الرحمن الرحيم}، فارتباط الفاتحة بالخاتمة للوحدة الموضوعية المتناسقة بين أجزاء السورة الكريمة، ثم أوجب الله تعالى التأمل والتفكر في الآيات والأنفس، ليعلموا أن القرآن حق منزل من عند الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

قال الإمام الطاهر بن عاشور في الخاتمة الكريمة: " استئناف ابتدائي متصل بقوله{ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم} إلى قوله { لفي شك منه مريب} فهذا انتقال إلى المجادلة في شأن القرآن رجع به إلى الغرض الأصلي من هذه السورة، وهو بيان حقية القرآن وصدقه، وصدق من جاء به، وهذا استدعاء ليعملوا النظر في دلائل صدق القرآن مثل إعجازه واتساقه، وتأييد بعضه بعضا ، وكونه مؤيدا للكتب قبله، وكون تلك الكتب مؤيدة له"[٢].

---

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٢٤/ ١٠٦).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٥/ ١٦) .

وهذا الختام يناسب حال المشركين الذين أعرضوا عن الآيات بسبب إدعاءهم ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ ﴾.

"والواقع أن هذه السورة منذ مطلع السورة إلى ختامها أمام مؤثرات تجول بالإنسان في ملكوت السموات و في الأرض، وفي أغوار النفس، وفي عالم القيامة، ويجري سياق السورة بموضوعاتها في شوطين اثنين متماسكي الحلقات:

الشوط الأول: يبدأ بالآيات التي تتحدث عن تنزيل الكتاب وطبيعته وموقف المشركين منه.

الشوط الثاني: يتحدث عن آيات الله من الليل والنهار والشمس والقمر والملائكة، ويلي هذا: الحديث عن الذين يلحدون في آيات الله وفي كتابه.

وتختم السورة بوعد من الله أن يكشف للناس عن آياته في الأنفس والآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"(١).

قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ۝٥٤ ﴾ [فصلت :٥٣-٥٤].

فهذه الخاتمة فيها لطائف جليلة بالدعوة إلى رؤية علامات وحدانية الله وقدرته من إجراء الأمور وخوارق العادات من المعجزات البينات والكرامات مايشهد المرء بأنه الحق.

قال الإمام القرطبي :" وقيل المعنى: سيرون ما أخبرهم به النبي ﷺ من الفتن وأخبار الغيوب{حتى يتبين لهم أنه الحق}فيه أربعة أوجه؛ أحدها: أنه

(١) قطب، في ظلال القرآن (٥/ ٣١٠٦)(بتصرف).

القرآن، والثاني: الإسلام جاءهم به الرسول ﷺ، ودعاهم إليه، والثالث: أن ما يريهم الله ويفعل من ذلك هو الحق، والرابع: أن محمد ﷺ هو الرسول الحق"[١].

ولامانع من الجمع بين هذه الأقوال جميعا بالعود إلى الفاتحة الكريمة والاستهلال بالحديث عن القرآن الكريم الكتاب المفصل الذي بلغه الرسول الأمين وما جاء به من الشرائع الكاملة {كتاب فصلت آياته} فكلها حق يجب الإيمان به.

قال الطاهر بن عاشور في خاتمة السورة: " تذييلان للسورة وفذلكتان[٢] افتتحا بحرف التنبيه اهتماما بما تضمناه، فأما التذييل الأول فهو جماع ما تضمنته السورة من أحوال المشركين المعاندين إذ كانت أحوالهم المذكورة فيها ناشئة عن إنكارهم البعث، فكانوا في مأمن من التفكير فيما بعد هذه الحياة، فانحصرت مساعيهم في تدبير الحياة الدنيا، وانكبوا على ما يعود عليهم بالنفع فيها، وأما التذييل الثاني: فهو جامع لكل ما تضمنته السورة من إبطال لأقوالهم وتقويم لاعوجاجهم، لأن ذلك كله من آثار علم الله تعالى بالغيب والشهادة، وتأكيد الجملتين بحرف التأكيد مع أن المخاطب بهما لا يشك في ذلك لقصد الاهتمام بهما، واستدعاء النظر لاستخراج ما تحويانه من المعاني والجزئيات، وأطلق الشك على جزمهم بعدم البعث لأن جزمهم خلي عن الدليل الذي يقتضيه، وبهاتين (الفذلكتين) آذن بانتهاء الكلام فكان من براعة الختام"[٣].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(١٥/ ٣٢٥).

(٢) فذلكة: كثر استعمال الطاهر بن عاشور- رحمه الله – لهذه الكلمة في تفسيره، ولم يستعملها غيره من المفسرين –فيما أعلم-، ولم أجد لها أصلا، انظر: ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، وابن منظور،لسان العرب.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير،(٢٥/ ٢٢) (بتصرف) .

فالدعوة الكريمة بالنظر والتدقيق في الآيات المذكورة في الآفاق وفي الأنفس للوصول إلى نتيجة مهمة؛ وهي اجتثاث الشك من النفوس، فتتوجه إلى الإيمان بالله تعالى، الذي أنزل هذا الكتاب مفصلا، وهذا من أعظم الإعجاز في التفاف المعاني بعضها مع بعض، أما إذا لم يتمكنوا من تلبية هذه الدعوة بالنظر في الأنفس والآفاق، ورؤية قدرة الله عز وجل عليهم، فسيبقون في شكهم وارتيابهم وإعراضهم وكفرهم.

ثالثا: المناسبة بين فاتحة سورة الشورى وخاتمتها [(١)]

﴿ حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤ ﴾ [سورة الشورى:١-٤].

ابتدأت هذه السورة في أسرة آل حم بالحرفين حم، وخصت هذه السورة بالحروف المقطعة عسق، على افتتاحية الحواميم دون غيرها، ويوجه الطاهر بن عاشور هذا الموضع بقوله:" وخصت بزيادة {عسق} على أوائل السور من آل حم، ولعل ذلك لحال كانوا عليه من شدة الطعن في القرآن وقت نزول السورة، فكان التحدي لهم بالمعارضة أشد، فزيد في تحديهم من حروف التهجي"[(٢)].

قال تعالى﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾، فقد ذكر في هذه الافتتاحية الكريمة الإشارة إلى أمر عظيم وهو الوحي، وذكر

---

(١) ذكر السيوطي في مراصد المطالع،الشورى في أولها{ كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك}[٣]،وفي آخرها{ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا}[٥٢] ،وهو الاختيار الذي تبعته فيه .

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير،(٢٥/ ٢٦).

وجه الشبه بين وحي الله إلى رسوله الأمين نبينا محمد ﷺ والرسل السابقين الذين اصطفاهم الله تعالى لرسالته واختصهم بوحيه، ثم ذكر الاسمين الكريمين (العزيز الحكيم) لبيان الغرض من هذه السورة الكريمة وهو: " الإشارة إلى تحدي المعاندين بأن يأتوا بسورة مثل سور القرآن الكريم"[١].

واختتمت السورة بمقطع عظيم قال تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى:٥٢-٥٤].

{وَمَا كَانَ } (الواو واو العطف) فكأنما عطف على ما سبق من حكاية أقوالهم الباطلة، وهو عود إلى إبطال شبه المشركين التي أشار الله تعالى إليها في قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

قال تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

والآية صريحة في أن هذه الأنواع الثلاثة أنواع لكلام الله تعالى الذي يخاطب به عباده.

قال الدكتور الزحيلي:" وفي هذه الآية توضيح أن الوحي إلى النبي ﷺ بالقرآن المشتمل على الشرائع التي تصلح البشر، وتهديهم إلى الحق، هو مثل

(١) المرجع السابق .

الوحي إلى الأنبياء السابقين، وهذا الختام للسورة مشابه لما بدئت به لينسجم البدء والختام"[١] .

بل في الخاتمة الكريمة تفصيل لما أجمل في فاتحة السورة من كيفية الوحي إلى الأنبياء السابقين بالتعريف بأنواعه وأقسامه، فذكرت الآية الأنواع الثلاثة للوحي وهي:

الأول- وهو الإلهام والقذف بمعان تلقى في القلب يقظة في الغالب أو في المنام، كرؤيا إبراهيم الخليل عليه السلام ذبح ولده، وقد يطلق الوحي على الإلهام المجرد، كما أوحي إلى أم موسى.

الثاني- سماع كلام من وراء حجاب: بأن يسمعه النبي من غير واسطة متيقنا أنه كلام الله من حيث لا يرى، كما كلم موسى عليه السلام ربه، وسماه وحيا .

الثالث: إرسال رسول: وهو إرسال رسول من الملائكة وهو الملك الموكل بالوحي جبريل -عليه السلام-، فيوحي ذلك الملك إلى الرسول من البشر بأمر الله وتيسيره ما شاء أن يوحي، كما كان جبريل عليه السلام ينزل على الأنبياء بالوحي[٢] .

قال تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أن النبي محمد ﷺ قد أعطي أنواع الوحي الثلاثة المذكورة في الآية السابقة، "فقد كان أهم غرض في هذه السورة إثبات كون القرآن وحيا من الله إلى محمد ﷺ، كما أوحي من قبله للرسل، كان العود إلى ذلك من قبيل رد العجز على الصدر"[٣] .

---

(١) الزحيلي، التفسير المنير،(٢٥/ ١٠٦) .

(٢) انظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي(معالم التنزيل)،(٧/ ٢٠٠).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير،(٢٥/ ١٤٠).

﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ قال الإمام الطبري:" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ، ماكنت تدري يا محمد أي شيء الكتاب ولا الإيمان الذين أعطيناكهما،{ولكن جعلناه نورا} يقول:ولكن جعلنا هذا القرآن وهو الكتاب نورا، يعني:ضياء للناس، يستضيئون بضوئه الذي بين الله فيه، وهو بيانه الذي بين فيه، مما لهم فيه في العمل به الرشاد، ومن النار النجاة {نهدي به من نشاء} نهدي بهذا القرآن،{والهاء} في قوله{به} من ذكر الكتاب، ويعني: نسدد إلى سبيل الصواب"(١).

﴿ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾

ففي هذه الآيات الكريمة سمى الله القرآن روحا فبه تحيا القلوب والأرواح، وبه تصلح حال الدنيا والآخرة، ثم سماه نورا ليستضيء به من أراد أن يسلك طريق الحق، وهو صراط الله المستقيم، ثم وصف هذا الصراط في خاتمة جميلة ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ قال الإمام السعدي:" أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته،﴿ ألا إلى الله تصير الأمور} أي: ترجع جميع أمور الخير والشر فيجازي كلا بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر ﴾ (٢).

فالغرض من إيراد صفة الصراط في خاتمة السورة بأنه صراط الله الذي له ما في السموات والأرض عودا على ما ذكره في فاتحة السورة﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ ففيهما إثبات القدرة النافذة

---

(١) الطبري، جامع البيان،(٢٥/ ٥٦).

(٢) السعدي،عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ص٧٠٨ .

والحق الكامل بأن يعبد وحده دون سواه، وإبطال قول من يعبد غير الله، وأن كل من في السموات و من في الأرض فهو ملك لله ، ومن الواجب عليهم اتباع صراطه الذي بينه لهم، ثم قال ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ أي: هو الملك العلي العظيم ، الذي يصير إليه الخلائق ، وتصعد إليه الأعمال، فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب.

رابعا : المناسبة بين فاتحة سورة الزخرف وخاتمتها (١)

افتتحت هذه السورة الكريمة بمجموعة من الآيات العظيمة: قال تعالى﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥ ﴾[الزخرف:١-٥]

فهذه الافتتاحية الكريمة لسورة الزخرف تتضمن الإشادة والتمجيد للكتاب العزيز والثناء عليه، وعضد ذلك بالقسم به بقوله:{ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ ﴾[الزخرف:١-٤].

إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ }

(١) ذكر السيوطي في مراصد المطالع خاتمتين قال: في أولها{ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم}[٩]،وفي آخرها { ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض}[٨٧]، وفي أولها{صفحا}[٥]وفي آخرها{فاصفح عنهم} وقد اخترت الخاتمة الثانية لمناسبتها للمنهج المتبع.

فوصف الله تعالى القرآن العظيم بصفته المعلومة لدى عقلاء القوم، وهو كونه عربيا، ثم وصفه بصفة غير معلومة، وهي من الغيب المستور وهي: { وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم}،وهو وصف عظيم للوح المحفوظ.

قال الإمام ابن كثير في تفسير الآية:" بين شرفه في الملأ الأعلى، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض، فقال تعالى{وإنه} أي القرآن، { في أم الكتاب} أي اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس ومجاهد،{لدينا} أي عندنا، قاله قتادة وغيره،{لعلي} أي ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل قاله قتادة،{حكيم} أي محكم بريء من اللبس والزيغ، فالملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى، لأنه نزل عليهم، وخطابه متوجه إليهم، فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم، والانقياد له بالقبول والتسليم"[١]. ثم قال تعالى في الآية التي تليها:

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾

قال الإمام ابن الزبير في هذه الآية:" لما أوضح الله عظيم حال الكتاب وجليل نعمته به، أردف ذلك بذكر سعة عفوه، وجميل إحسانه إلى عباده، ورحمتهم بكتابه، مع إسرافهم وقبح مرتكبهم "[٢].

فالآية الكريمة تخبر عن حالة شنيعة يطالب بها هؤلاء القوم المعاندون الجاحدون أي: "أفنضرب عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون، فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون"[٣].

وقد روى الإمام البخاري في صحيحه في تفسير الآية " {أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين} :مشركين، والله لو أن هذا القرآن رفع،

---

(١) ابن كثير،تفسير القرآن العظيم،(٧/ ٢١٨).

(٢) ابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن،ص١٦٢ .

(٣) الطبري، جامع البيان،(٢٥/ ٥٩) .

حيث رده أوائل هذه الأمة لهلكوا،{فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين} عقوبة الأولين"(١).

ثم قال تعالى في الخاتمة الكريمة:﴿ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[الزخرف:٨٨-٨٩].

فقد تضمنت هذه الخاتمة الكريمة شكاية النبي ﷺ من قومه واستغاثته من كفرهم وعتوهم، فناسب أولها آخرها.

وقد جاء في افتتاحية السورة قوله تعالى﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾

لكن الصفح المأمور به في ختام السورة غير الصفح المنكر وقوعه في البداية مع توافقهم في اللفظ، ففي قوله تعالى { أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين} ،فالصفح هو:"الإعراض بصفح الوجه وهو جانبه، وهو أشد الإعراض عن الكلام، لأنه يجمع ترك استماعه، وترك النظر إلى المتكلم. فالآية استفهام إنكاري أي: أتحسبون أن إعراضكم عما نزل من هذا الكتاب يبعثنا على أن نقطع عنكم تجديد التذكير بإنزال شيء آخر من القرآن، بدعوى قلة الجدوى من تذكيرهم بسبب استمرار إعراضهم، فهذا ليس بسبب في قطع الإرشاد عنهم لأن الله مريد لصلاحهم، لذا أنكر عليهم هذا الإعراض"(٢).

{ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ } قال الإمام الشنقيطي:" وهذه الآية الكريمة تضمنت ثلاثة أمور: الأول: أمره ﷺ بالصفح عن الكفار، الثاني: أن يقول لهم سلام، و الثالث: تهديد الكفار، بأنهم سيعلمون حقيقة الأمر

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير،٤٣-سورة حم الزخرف، باب(٢){أفنضرب عنكم الذكر صفحا} معلقا، قال ابن حجر: ووصله ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، انظر: العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري،(٨/ ٥٦٩) .

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير(٢٥/ ١٦٣) (بتصرف).

وصحة ما يوعد به الكفار من عذاب النار، والصفح هو: الإعراض عن المؤاخذة بالذنب، قال بعضهم: هو أبلغ من العفو، أما معنى السلام في الآية فهو: إخبارهم بسلامة الكفار من أذاهم، ومن مجازاتهم لهم بالسوء، أي: سلمتم منا لا نسافهكم، ولا نعاملكم بمثل ما تعاملوننا"[١].

وقد يتبادر إلى الأذهان في نهاية هذه السورة الأمر بالملاينة والمداراة للكافرين، لكن سياق هذه السورة وما ختمت به تدل على المتاركة وهو الصفح المقرون بالقوة بالإعراض عنهم، " فالفاء فصيحة ، أفصحت عن أمر مقدر، أي إذا قيل لك ذلك القول، وفوضت الأمر إلينا، فسأتولى الانتصاف منهم، فاصفح عنهم، أي أعرض عنهم ولا تحزن لهم، وقل لهم:إن جادلوك: سلام أي سلمنا في المجادلة وتركناها، وأصل سلام مصدر جاء بدلا من فعله، فأصله النصب، وعدل إلى رفعه، لقصد الدلالة على الثبات، وفرع عليه(فسوف تعلمون)تهديدا لهم ووعيدا، وحذف مفعول { تعلمون}للتهويل، لتذهب نفوسهم كل مذهب ممكن"[٢].

قال الإمام البقاعي:" فقد رجع آخر السورة على أولها وانعطف مفصلها على موصلها، واتصل من حيث كونه في الوحي الهادي في أول الزخرف على أتم عادة لهذا الكتاب المنير من اتصال الخواتم فيه بالبوادي والروائح بالغوادي"[٣].

وما جاء في الخاتمة البديعة من الأمر بالإعراض والتسليم في الجدال والوعيد ما يؤذن بانتهاء الكلام في هذه السورة وهو من براعة المقطع.

---

(١) الشنقيطي، محمد الأمين الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،(٤/ ٤٩٧) .

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٥/ ٢٧٣)(بتصرف) .

(٣) البقاعي، نظم الدرر،(٦/ ٦٥٧).

خامسا: المناسبة بين فاتحة سورة الدخان وخاتمتها [1]

جاء في افتتاحية سورة الدخان قوله تعالى﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ [الدخان:١-٦].

وهذه الآيات تشكل إضافة رائعة في تعظيم هذا الكتاب في مجموع سور آل حم، واستهلال رائع في بيان زمان نزول هذا الكتاب المبين بعد القسم به في سورتي الزخرف والدخان، ثم ذكر جل جلاله الليلة التي نزل فيها وهي ليلة القدر وهي ليلة مباركة عظيمة فيها تقدر الأمور، ورجح هذا القول الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية بقوله:" أن المعني بقوله { إنا أنزلناه في ليلة مباركة} ليلة القدر، والهاء في قوله{ فيها} من ذكر الليلة المباركة، وعنى بقوله { فيها يفرق كل أمر حكيم} في هذه الليلة يقضى ويفصل في كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السنة الأخرى"[2].

"فبركة الليلة التي أنزل فيها القرآن بركة قدرها الله لها قبل نزول القرآن ليكون القرآن بابتداء نزوله فيها ملابسا لوقت مبارك فيزداد بذلك فضلا وشرفا، وهذا من المناسبات الإلهية الدقيقة التي أنبأنا الله ببعضها"[3].

---

(١) قال السيوطي في مراصد المطالع، الدخان:بدئت بذكر القرآن وختمت به، وأولها {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين[١٠]وآخرها{ فارتقب إنهم مرتقبون}[٥٩] ، وهو ما كان الحديث عنه في هذه الخاتمة.

(٢) الطبري، جامع البيان،(٢٥/ ١٣٠) .

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير،(٢٥/ ٢٧٨) .

ثم قال تعالى {﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾[الدخان:٩-١٤].

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه((فإن رسول الله ﷺ لما رأى قريشا استعصوا عليه، فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم السنة حتى حصت كل شيء، حتى أكلوا العظام والجلود، وقال أحدهم:حتى أكلوا الجلود والميتة، وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان، فقال:أي محمد، إن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا، ثم قال: تعودوا بعد هذا، ثم قال{فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين} إلى {عائدون} يكشف عنهم عذاب الآخرة، فقد مضى الدخان والبطشة واللزام، وقال أحدهم:القمر، وقال الآخر الروم))[١].

وروى البخاري في صحيحه عن مسروق في تفسير سورة الروم قال: ((بينما رجل يحدث في كندة فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام،ففزعنا، فأتيت ابن مسعود رضي الله عنه وكان متكئا، فغضب فجلس، فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم))[٢]،ثم ذكر الحديث السابق.

قال الإمام ابن حجر في شرح الحديث:" وهذا الذي أنكره ابن مسعود[أي: الدخان] قد جاء عن علي رضي الله عنه، فأخرج ابن أبي حاتم من طريق الحارث

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، ٤٤-سورة حم الدخان، باب(٥){ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون} ، ح(٤٨٢٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، ٣٠-سورة الروم، ح(٤٧٧٤)، وصحيح مسلم ،كتاب صفات المنافقين، باب الدخان،ح(٢٧٩٨) .

بن علي قال: آية الدخان لم تمض بعد، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وينفخ الكافر حتى ينفد،ثم قال: ويؤيد كون آية الدخان لم تمض بعد ما أخرجه مسلم من حديث أبي شريحة رفعه: ((لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان والدابة))[1] الحديث"[2].

وسواء كان الدخان الذي رآه كفار قريش من الجوع والقحط أم إنه من الآيات المرتقبة قبل قيام الساعة، فقد جرى الوعيد والتهديد للمكذبين بانتظار هذا الدخان، من أجل هذا ختمت هذه السورة الكريمة بقوله تعالى ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الدخان:٥٣-٥٤].

و يوجه الإمام ابن كثير المناسبة بين فاتحة السورة بذكر الكتاب المبين وهذه الخاتمة بقوله:" أي : إنما يسرناه هذا القرآن الذي أنزلناه سهلا واضحا بينا جليا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها،{ لعلهم يتذكرون} أي : يتفهمون ويعملون، ثم لما كان وقع هذا البيان والوضوح من الناس من كفر وعاند وخالف، قال الله تعالى لرسوله مسليا له وواعدا له بالنصر، ومتوعدا لمن كذب بالعطب والهلاك، {فارتقب} أي: انتظر،{ إنهم مرتقبون} أي: فسيعلمون، لمن يكون النصر والظفر، وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك يا محمد ولإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين"[3].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري: به، كتاب الفتن، باب(١٣) في الآيات التي تكون قبل الساعة،ح(٢٩٠١).
(٢) العسقلاني، فتح الباري،(٨/ ٥٧٣-٥٧٤) (بتصرف) .
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ،(٧/ ٢٦٣) .

والضمير في {يسرناه} تعود إلى الكتاب المذكور في قوله تعالى{ والكتاب المبين}،" والذي كان جل غرض السورة في إثبات إنزاله من الله،كما أشار إليه افتتاحها بالحروف المقطعة، وقوله{والكتاب المبين} فهذا التفريع مرتبط بذلك الافتتاح، وهو من رد العجز على الصدر، فهذا التفريع تفريع لمعنى الحصر الذي في قوله{ فإنما يسرناه بلسانك}لبيان الحكمة في إنزال القرآن باللسان العربي المبين، فيكون تفريعا على ما تقدم في السورة، وما تخلله، وتبعه من المواعظ"[(١)].

وهذه الخاتمة البديعة تضمنت وصفا عظيما لهذا الكتاب المبين متعلقة بالإنسان، فمع بيانه ووضوحه للقارئ، فقد يسره الله بإنزاله بلسان عربي، يقرأه عليهم النبي العربي محمد ﷺ، وهو العربي الذي يتكلم اللغة العربية الفصيحة الواضحة التي لا إشكال فيها ولا تعقيد ولا غموض، كما في بداية السورة بوصفه { والكتاب المبين} .

فهذا الختام تضمن المنة على المؤمنين بتيسير هذا الكتاب المبين لأفهامهم وألسنتهم وعقولهم لكي يرتدعوا عن التكذيب به، واتهام رسوله بالجنون، وبتيسيره للقراءة والفهم والتدبر والعمل لأنه بلسان عربي فصيح، وتهديد المكذبين المعاندين لحجج هذا الكتاب وبيناته ودلائله بالترصد لهم والترقب{فارتقب إنهم مرتقبون} بانتظار ما يحل بهم من العذاب والنكال، مثل ما حل بهم من العذاب، وهذا هو الجزاء العادل لمن أعرض ونكص عن البيان الميسر، والله أعلم.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٥/ ٣٢١) .

سادسا: المناسبة بين فاتحة سورة الجاثية وخاتمتها [1]

قال تعالى في افتتاحية سورة الجاثية ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦ ﴾ [الجاثية:١-٦].

هذه الافتتاحية كالدرة المصونة بما تضمنته من المعاني العظيمة والدلائل الجليلة، فهي تأتي متناسقة مترابطة في تمجيد الله وتعظيمه الذي أنزل هذا الكتاب الكريم، وتوجيه النظر إلى الآيات العظيمة المنشورة في الكون الكبير، وهنا تأتي العلاقة الوثيقة بين تعظيم كتاب الله المسطور وكتابه الكوني المنشور فذكر في الآيات الكريمة عدة أدلة للدلالة على وحدانيته وعزته وحكمته منها:

- تنزيل الكتاب خاتم الكتب والمهيمن عليها.
- الدلائل الكونية العظيمة في السموات والأرض.
- خلق الإنسان.
- بث أنواع الدواب من كل نوع .
- اختلاف الليل والنهار .
- إنزال المطر والرزق من السماء.
- إحياء الأرض بعد موتها.
- تصريف الرياح.

(١) قال السيوطي في مراصد المطالع: الجاثية في صدرها { وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا}[٩]، وفي آخرها {ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا}[٣٥].

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله-:" يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع ، من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار، في تعاقبهما دائبين لا يفتران، هذا بظلامه، وهذا بضيائه، وما أنزل الله تعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقا، لأن به يحصل الرزق، وتصريف الرياح جنوبا وشاما، ودبورا وصبا، بحرية وبرية، ليلية ونهارية، ومنها ما هو للمطر، ومنها ماهو للقاح، ومنها ما هو غذاء للأرواح، ومنها ما هو عقيم ، ومنها ما هو ينتج، وقال أولا { لآيات للمؤمنين}ثم {يوقنون} ثم{ يعقلون} وهو ترق من حال شريف إلى ما هو أشرف وأعلى"[1].

ويوجه الإمام الرازي هذا الترتيب القرآني لهذه المقامات العظيمة بقوله:" أنه تعالى ذكر في هذا الموضع ثلاثة مقاطع، أولها: يؤمنون، وثانيها: يوقنون، وثالثها: يعقلون، وأظن أن سبب هذا الترتيب أنه قيل إن كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل، وإن كنتم من لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العقلاء المجتهدين، فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل "[2].

ثم جاءت الخاتمة البديعة التي تناسب هذا المقام الشريف، قال تعالى﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧/ ٢٦٤) .

(٢) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الشافعي، التفسير الكبير، (٢٧/ ٢٢٣) .

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الخاتمة:" يقول تعالى ذكره"{فلله الحمد} على نعمه وأياديه عند خلقه، فإياه أحمدوا أيها الناس، فإن كل ما بكم من نعمة فمنه، دون ما تعبدون من آلهة ووثن، ودون ما تتخذونه من دونه رباً، وتشركون به معه،{رب السموات والأرض} يقول: مالك السموات السبع، ومالك الأرضين السبع، و{رب العالمين} يقول: مالك جميع ما فيهن من أصناف الخلق، {وله الكبرياء في السموات والأرض}يقول: وله العظمة والسلطان في السموات والأرض دون ما سواه من الآلهة والأنداد، {وهو العزيز} في نقمته على أعدائه، القاهر كل ما دونه، ولا يقهره شيء،{ الحكيم}في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم، فيما شاء كيف شاء"[(١)].

فكأنما ابتدأت الرحلة الإيمانية في تلك الفاتحة الكريمة التي خاطبت العقول السليمة، وما تلاها من التقريع والتوبيخ لمن أعرض عن هذه الآيات التي تناولتها السورة في أولها وآخرها، قال تعالى﴿ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الجاثية:٦-٧] ، قال الإمام ابن الزبير:" لما قدم ذكر الكتاب وعظيم الرحمة، وجليل بيانه، وأردف ذلك بما تضمنته سورة الشريعة (الجاثية)من توبيخ من كذب به، وإنه قد ذكر من دلائل السموات والأرض في صدر السورة ما كل قسم منها كاف في الدلالة وقائم بالحجة، ومع ذلك فلم يجد عليهم إلا التمادي في ضلالهم، والإنهماك في سوء حالهم وسيء محالهم" [(٢)].

---

(١) الطبري، جامع البيان،(٢٥/ ١٨٥) .

(٢) ابن الزبير،البرهان،ص١٦٥ (بتصرف).

من أجل هذا المعنى التحمت الآيات في السورة تقريعا وتوبيخا ووعيدا وتهديدا إلى آخر السورة، فكان الواقع المناسب لهذا المعنى توجيه الحمد لمن كان له ملك السموات والأرض، وله الوصف الأكمل والأجمل بأن له الكبرياء في السموات والأرض {وهو العزيز الحكيم} عودا على بدء { تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم}.

قال الإمام ابن عاشور في تفسيره:﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾" الفاء لتفريع الحمد والثناء على الله تفريعا على ما احتوت عليه السورة من ألطاف الله، فيما خلق وأرشد وسخر وأقام من نظم العدالة، والإنعام على المسلمين في الدنيا والآخرة، ومن وعيد للمعرضين واحتجاج عليهم، فلما كان ذلك كله من الله كان دالا على اتصافه بصفات العظمة والجلال، وعلى إفضاله على الناس بدين الله، كان حقيقا بإنشاء قصر الحمد عليه، وكل ما سبقه من آيات هذه السورة مقتض للوجوه الثلاثة، ثم اتبع بوصف{رب العالمين} فالعالمين هم: سكان عالم السموات وعالم الأرض تأكيدا لكونهم محقوقين بأن يحمدوه، للإشارة إلى أن استدعاء حمدهم لنفعهم وتزكية نفوسهم، ثم أتبع ذلك بصفتي { العزيز الحكيم}، وبهذه الخاتمة آذن الكلام بانتهاء السورة فهو من براعة الختام"[(١)].

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ فالله العزيز الحكيم ﴾ الذي أنزل الكتاب العظيم، وله الدلائل المنشورة في الكون العظيم، وهو المنعم والمتفضل على عباده، فهو المستحق وحده الحمد، و له الكبرياء، بما وصف به نفسه من صفات الجلال والكمال التي جمعها الله في صفة (الكبرياء)،ثم عطف على تلك الصفة العظيم الاسمين الكاملين الموصوف بهما {العزيز

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٥/ ٣٧٨)(بتصرف).

الحكيم}،حتى لا يتطرق شك للقلوب الجافية والأسماع الغافلة من حصول شيء لهم من ذلك الوصف العظيم، فقال تعالى في فاتحة السورة {ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها}، ليصحح لهم الطريق ، وينبه المستكبرين منهم على الواجب عليهم؛من تحقيق الحمد والثناء والتمجيد باتباع أوامره التي أنزلها في كتابه، واجتناب نواهيه، وإلا فلهم العذاب المهين الذي يذل كبرياؤهم الكاذب، ويذهب بكبرهم الجائر.

وفي الحديث عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال ((جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)) (١).

وبهذا التفت افتتاحية السورة الكريمة بما تضمنته من الدلائل والصفات بالتفاف بديع بما جاء في خاتمة السورة من البيان والتوضيح.

سابعا : المناسبة بين فاتحة سورة الأحقاف وخاتمتها (٢)

بدأت هذه السورة الكريمة بداية مماثلة لسورة الجاثية،﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ ﴾ [الأحقاف:١-٢].

ثم جاء قوله تعالى﴿ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ۝٣ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤ ﴾ [الأحقاف:٣-٤].

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب(٨٠)إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى،ح(١٨٠).

(٢) قال السيوطي في مراصد المطالع:الأحقاف:بدئت بذكر خلق السموات والأرض،وختمت به، وهي الخاتمة التي كان الحديث عنها.

هذه السورة ختام سور آل حم فذكر فيها ما يجمع معاني تلك السور الكريمة، فهذه السورة الكريمة من آل حم افتتحت بذكر الكتاب وصفاته العظيمة، وموقف المكذبين المعاندين منه، فجاءت افتتاحية سورة الأحقاف جامعة للمعاني العظيمة المرجوة من إنزال هذا الكتاب، قال الإمام ابن كثير – رحمه الله- في تفسير فاتحة الأحقاف:" يخبر تعالى أنه نزل الكتاب على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين، ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام، والحكمة في الأقوال والأفعال، ثم قال{ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق}أي: لا على وجه العبث والباطل، { وأجل مسمى}أي : إلى مدة معينة مضروبة لا تزيد و لاتنقص، وقوله{ والذين كفروا عما أنذروا معرضون} أي لاهون عما يراد بهم، وقد أنزل إليهم كتابا، وأرسل إليهم رسولا، وهم معرضون عن ذلك كله، أي: وسيعلمون غب ذلك"(١).

وقد تميزت هذه السورة الكريمة بموضوعات متنوعة من العناية بموضوع التوحيد والرسالة والوحي والبعث والجزاء، وقد ذكر الله فيها أمثلة متميزة لم تذكر من قبل في سور آل حم مثل قصة قوم عاد ، وقصة نفر من الجن، ففيها ذكر الجزاء لمن عاند في الإيمان بالله ودلائله ورسله، وهي في قصة قوم عاد، وبيان الجزاء الحسن لمن آمن واستسلم لهذه الآيات البينات كما حدث مع نفر من الجن .

من أجل هذه الوحدة الموضوعية الرائعة في هذه السورة، فجاءت خاتمتها مناسبة لفاتحتها بما ذكر فيها من التمنن والتفضل والإبلاغ بما أعده الله لعباده المؤمنين الصابرين ومن سلك مسلكهم، وما أعده للكافرين الفاسقين قال تعالى { ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،(٧/ ٢٧٤).

قال الإمام السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الخاتمة البديعة:"ثم أمر تعالى رسوله ﷺ أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعيا لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين، سادات الخلق، أولي العزائم والهمم العالية، الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم، والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، فامتثل ﷺ لأمر ربه، فصبر صبرا لم يصبره نبي قبله، حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة، قاموا جميعا بصده عن الدعوة إلى الله، وفعلوا ما يمكنهم من المعاداة والمحاربة، وهو ﷺ لم يزل صادعا بأمر الله، مقيما على جهاد أعداء الله، صابرا على ما يناله من الأذى، حتى مكن الله له في الأرض، وأظهر دينه على سائر الأديان، وأمته على سائر الأمم، فﷺ تسليما.
{ولا تستعجل لهم}أي المكذبين المستعجلين للعذاب،فإن هذا من جهلهم وحمقهم{كأنهم حين يرون ما يوعدون لم يلبثوا} في الدنيا،{إلا ساعة من نهار} فلا يحزنك تمتعهم بالقليل، وهم صائرون إلى العذاب الوبيل،{بلاغ} أي هذه الدنيا، متاعها وشهواتها، ولذائذها بلغة منغصة، ودفع وقت حاضر قليل، وهذا القرآن العظيم الذي بينا لكم فيه البيان التام، بلاغ لكم، وزاد إلى الآخرة،فهو أعظم زاد يتزود به الخلائق،{ فهل يهلك} بالعقوبات،{إلا القوم الفاسقون} أي الذين لا خير فيهم، وقد خرجوا عن طاعة ربهم، ولم يقبلوا الحق الذي جاءتهم به الرسل"[(١)].

فهذه الوصية الكريمة من رب العباد إلى خير العباد بالصبر خاتمة جامعة لما تضمنته من المعاني العظيمة، فالتمنن لأن رسول الله محمد ﷺ من أولي العزم من الرسل الصابرين، وهذا من أعظم المنة والفضل بعد تكذيب هؤلاء المكذبين

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ص٧٢٩ (بتصرف).

الجاحدين من خلال ذكر أخبارهم وافترائهم على دين الله عز وجل وشدة عداوتهم لرسوله ﷺ.

قال الطاهر بن عاشور في تفسيره:"وهذه الآية اقتضت أن محمدا ﷺ من أولي العزم لأن تشبيه الصبر الذي أمر به بصبر أولي العزم من الرسل، يقتضي أنه مثلهم، لأنه ممتثل لأمر ربه، ومن صبر صبرهم كان منهم لا محالة"(١).

وقد اختلف العلماء في تعداد أولي العزم من الرسل على أقوال، قال الإمام ابن كثير:"وأشهرها أنهم:نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم النبيين كلهم محمد ﷺ، وقد نص الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي الأحزاب والشورى، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل ، وتكون {من الرسل} لبيان الجنس، والله أعلم"(٢).

وقد وصف الإمام الزركشي هذه الخاتمة البليغة:"مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد ، ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم{ ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم:٥٢]، وخاتمة سورة الأحقاف{ بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون}"(٣).

ثم أمره الله عز وجل بأن لا يستعجل بالدعاء على قومه الكفار، لحكمة عظيمة في علم الله العزيز الحكيم، فهذه الدنيا قصيرة وأجلها محدود، وقوله تعالى {كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار } رد إلى صدر السورة في قوله تعالى { ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى

(١) ابن عاشور،التحرير والتنوير، (٢٦/ ٦٧).
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،(٧/ ٣٠٥).
(٣) الزركشي، البرهان،(١/ ١٨٢).

﴾، فهذا الأجل المسمى لخلق السموات والأرض على عظمته وما فيه من الدقة والإبداع والإحكام يمر على الكافرين يوم القيامة كأنما هو ساعة من نهار .

" والمعنى: أنهم إذا عاينوا العذاب صار لطول لبثهم في الدنيا والبرزخ، كأنه ساعة من نهار، أو كأن لم يكن لهول ما عاينوا"(١) .

وبهذا البيان العظيم تختم سور آل حم بختام سورة الأحقاف المتضمن التهديد والوعيد والرجاء والفضل، فكأنما الإعجاز في المناسبة القرآنية في هذه السورة ينضم بعضه إلى بعض في هذه الكلمات الطيبة، التي يختتم فيها العمل والجزاء والأمر والنهي، والله أعلم.

(١) الرازي، التفسير الكبير ، (٢٨/ ٣١) .

الخاتمة

أحمد الله تعالى وأثنى عليه الخير كله بعد إتمام هذا البحث في المناسبة بين فواتح سور آل حم وخواتمها في كل سورة من سورها المباركة، التي أمضيت في قراءتها وتدبر آياتها سنوات عدة، حتى أنعم الله تعالى علي بهذا البحث، الذي لن تنتهي بيناته ومناسباته ودلائل إعجازه {تنزيل من حكيم حميد}، سائلة المولى الكريم أن يكون إشراقة مضيئة في علوم القرآن الكريم وبيان الإعجاز العظيم في ثنايا مناسبة الفواتح والخواتم في سور آل حم، وأوجز الكلام فيما توصلت إليه من نتائج بما يلي:

- علم مناسبات القرآن الكريم علم عظيم، لا ينتهي أثره والبحث فيه، مع الإفادة من كلام المتقدمين والمتأخرين في هذا النوع من علوم القرآن الكريم بتوخي الحذر من التكلف في إيجاد المناسبات القرآنية تجنبا للتفسير بغير علم.
- الاهتمام بمعرفة المناسبة بين فواتح و خواتم السور له أصول سابقة وثنايا لاحقة، فيجب العناية بشأنه، بالتدبر في اللفظ والمعنى في فواتح السور وخواتمها.
- سور آل حم سور مكية مجيدة، آياتها حكيمة، تصف هذا الكتاب في مجموعها، وتبين إعجازه ودلائله وحججه وبراهينه بالقول الفصل، وتبحث في طريقة الجاحدين لهذا القرآن الكريم بالمناقشة والتفصيل والجواب المتناسق الجميل، فحديثها عن القرآن الكريم سلسلة متدلية، حلقاتها متراصة، وروابطها متماسكة، فهي بناء ملتحم بين السور والآيات.
- افتتاحية سور آل حم اتفقت في ذكر الكتاب الحكيم وتحدي العرب به، فكانت الخواتم مناسبة لهذه الفواتح البديعة، ومثالا لقوة التحدي العظيمة

المعجزة بمناسبة فواتحها لخواتمها في كل سورة منها، لهذا يجدر بالباحثين تقصيه والكتابة فيه، ليكون شاهدا على هذا الإعجاز في المناسبة بين الفواتح والخواتم.

- خواتم سور آل حم اتفقت على غرض التهديد والوعيد وتناولت ذلك بأسلوب بليغ، ونوعت في عرضه بالأمر برؤية الآيات، والدعوة إلى تحقيق النظر، والترقب والترصد، وطلب التحميد والتمجيد، والرجاء والتفضيل، لبيان إعجاز هذه الخواتم فيما بينها وترابطها وتناسقها، فكأنما اتفاق الفواتح ب (حم) فاتفقت الخواتم بعظيم الإعجاز والتنسيق.

وختاما : أوصي الباحثين والمهتمين بعلوم القرآن الكريم إلى النظر الفاحص والتدبر الأمثل في هذا الكتاب المبين وعلومه وأسراره، وأن يستغرق ذلك جهدهم لما فيه من الخير العظيم والفلاح المبين، وهو المعين على ذلك ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة بأهم المصادر والمراجع

١. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، ومحمد علي النجار، -بدون بيانات-.

٢. الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي: بيروت،١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، حققه : محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش،الطبعة الرابعة-الرياض:دار طيبة،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق وتنسيق: عبدالرزاق بن غالب المهدي- الطبعة الأولى- بيروت :دار الكتب العلمية ،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٥. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب الطبعة الأولى- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

٦. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ،تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني-بيروت: دار الكتاب العربي-بدون تاريخ النشر-.

٧. ابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، تقديم وتحقيق : الدكتور سعيد جمعة الفلاح،-الطبعة الأولى- دار ابن الجوزي: الدمام،١٤٢٨هـ.

٨. الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : أبو عبدالله عبدالسلام بن محمد بن عمر علوش-الطبعة الأولى- دار المعرفة : بيروت ،١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

٩. حيدر،(د)حازم سعيد، علوم القرآن بين البرهان والإتقان (دراسة موازنة)، الطبعة الثانية،دار الزمان: المدينة المنورة،١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٠. الزحيلي،(الأستاذ الدكتور) وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،الطبعة الثانية،دار الفكر:دمشق،١٤١٨هـ/ ١٩٩٨.

١١. الزركشي،بدر الدين ،البرهان في علوم القرآن ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم صيدا : المكتبة العصرية، بدون تاريخ النشر.

١٢. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان -الطبعة الأولى- عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ .

١٣. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة الثالثة- مكتبة دار التراث –القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن،تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.

١٥. الشنقيطي ،محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن، وتتمته لتلميذه:عطية محمد سالم،الطبعة الأولى-دار إحياء التراث العربي: بيروت،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٦. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق:د.عبالدرحمن عميرة،-الطبعة الثانية-دار الخاني:الرياض –دار الوفاء: المنصورة،١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

١٧. الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق : محمود محمد شاكر-الطبعة الأولى- بيروت:دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٨. أبو عبيد،القاسم بن سلام،فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، دراسة وتحقيق: أحمد بن عبدالواحد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: المملكة المغربية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٩. العسقلاني، أحمد بن علي حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبدالباقي، وقرأ أصله وأشرف عليه: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز،مكتبة الرياض الحديثة: الرياض.
٢٠. ابن عطية، أبو محمد عبدالحق الأندلسي،المحرر الوجيز ، تحقيق: مجموعة من المحققين – الطبعة الأولى- الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.- بدون تاريخ النشر.
٢١. ابن عقيلة، محمد بن أحمد المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن،الطبعة الأولى-مركز البحوث والدراسات: جامعة الشارقة،١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٢٢. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ،وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى-دار الكتب العلمية:بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .
٢٣. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبدالرزاق المهدي،الطبعة الأولى،بيروت:دار الكتاب العربي،١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٢٤. قطب،سيد، في ظلال القرآن -الطبعة الثانية عشرة- جدة : دار العلم للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
٢٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة: الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٢٦. ابن منظور، لسان العرب ،تنسيق وتعليق : علي شيري-الطبعة الثانية-بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
٢٧. موسوعة الكتب الستة، إشراف: الشيخ صالح آل الشيخ،-الطبعة الأولى-دار السلام: الرياض، ١٤٢٠هـ.

المجلات والدوريات:

- الأحمدية، مجلة علمية دورية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث،دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث:دبي،العدد الرابع،جمادى الأولى ١٤٢٠هـ/ أغسطس١٩٩٩م.
- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس والعشرون، المحرم١٤٢٠هـ: الرياض،ص٩٣-١٤٠.

آيات التحدي بالقرآن الكريم

جمعا ودراسة

د. ناصر بن محمد بن صالح الصائغ

- عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم .
- حصل على درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بالرياض جامعة أم القرى بتحقيق (الكشف والبيان للثعلبي من أول سورة المؤمنون إلى آخر سورة الشعراء) .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بأطروحته (الترجيح بالسنة عن المفسرين).

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران:١٠٢). ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء:١) ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب:٧٠ – ٧١) أما بعد :

فإن من حكمة الله ورحمته بخلقه ، أن أرسل إليهم الرسل ، وشرع لهم الشرائع ؛ ليعبدوه على بصيرة ، وليفوزوا بجنته ، وهو الغني الحميد ، وكان من حكمته تعالى أن يؤيد رسله بمعجزات دالة على صدقهم ، مناسبة لحال قومهم ومن جنس ما اشتهروا به .

فبعث الله موسى – عليه السلام – في عصر اشتهر فيه السحر ، وأيده الله بالعصا واليد .

وبعث الله عيسى – عليه السلام – إلى قوم اشتهروا بالطب والعلاج ، وأيده الله بإحياء الموتى وشفاء المرضى .

وبعث الله صالحا – عليه السلام – إلى قوم اشتهروا بنحت الصخور والتفنن في ذلك ؛ وأيده الله بناقة خرجت من الصخر الذي ينحتون منه فهي ليست نحتا ، بل ناقة ذات أكل وشرب وتدر الحليب .

وأرسل الله محمدا ﷺ إلى قوم في غاية من الفصاحة والبلاغة والبيان[١]، وأيده الله بآية عقلية بيانية فاقت ما تميزوا به ، بل إن أثرها لم يكن مرتبطا بوقت محدد ، فهي مستمرة باستمرار الرسالة حتى قيام الساعة . وكان لهذه الآية الأثر الكبير في كثرة أتباع النبي ﷺ ، فعن أبى هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ:(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) [٢].

وهذه الآية هي القرآن الكريم؛كتاب الهداية والإعجاز،ومنارة الهدى والإيمان: ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾(المائدة:١٦)

وقد تحدى الله العرب ـ على بلاغتهم وفصاحتهم ـ بأن يأتوا بسورة مثله ، فلم يقدروا على ذلك . ووقفوا أمامه عاجزين ، وببلاغته منبهرين .

وكانت الآيات التي ورد بها التحدي متفرقة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم مكيه ومدنيه .

فرأيت خدمة للقرآن أن أجمع تلك الآيات التي تحدى الله فيها العرب بهذا القرآن ، ثم أقوم بتفسيرها والوقوف معها ودراستها ، والتي تظهر إعجاز هذا القرآن الكريم ، وإقامة الدليل على إعجازه ؛ لتثبت الدعوى حول مصدره الرباني ؛ فوقع اختياري على موضوع :

---

(١) بلغ من اهتمامهم بالبيان أن عقدوا للكلمة أسواقا يعرضون فيها قصائدهم وخطبهم ومن ذلك سوق المشعر بالبحرين ، وسوق الشحر بين عمان وعدن، وسوق ذي المجاز في عرفة بمكة ، وسوق مجنة، وسوق عكاظ بالطائف ، وسوق حباشة بمكة ، وغيرها من الأسواق .

انظر : المحبر لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي ص ٢٦٣ـ٢٦٨ (تصحيح د. إيلرح ليختن).

الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢/ ١٦١ (مطبعة مجلس دائرة المعارف حيدر أباد الهند ١٣٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ح ٤٩٨١ ، و أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ١٥٢ .

آيات التحدي بالقرآن الكريم جمعا ودراسة

وقد دفعني إلى اختياره أمور:

١- أهمية الموضوع ؛ فهو في إثبات إعجاز القرآن .

٢- أن كثيرا من علماء التفسير وعلوم القرآن ، يشيرون في كتبهم إلى آيات التحدي ؛ فرغبت في جمعها ، ودراستها .

٣- أني لم أقف على من جمع تلك الآيات في كتاب مستقل ، مع كثرة الإشارة إليها والاستدلال بها [١].

---

(١) بعد انتهائي من إعداد البحث ، علمت بأن بحوثا في هذا الموضوع وهي :

ـ آيات التحدي في القرآن الكريم : الدلالة والإيحاء للدكتور عبدالعزيز العمار، عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام.

ويصف مؤلفه الكتاب بقوله : " أما عن الكتاب، فهو صغير المحتوى، جاء في اثنتين وخمسين صفحة، صدرته بمقدمة عن بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، وجعلته مدخلا للحديث عن آيات التحدي في القرآن الكريم، ثم ذكرت أن التحدي عادة مألوفة لدى العرب قبل نزول القرآن وبعده، فمن عادة القوم أن يتحدى بعضهم بعضا في مقارضة الشعر، وتدبيج الخطب، ومن ثم جاء القرآن متوافقا مع طبيعتهم، وما جبلوا عليه.ثم ذكرت مراتب التحدي، ونزول آياتها، أشرت فيه إلى أن تحدي الله لكفار قريش بأن يأتوا بمثل القرآن جاء في مراتب متعددة، ومطالب متنوعة بحسب المقامات، ثم أطلت النفس في مناقشة ترتيب هذه الآيات في النزول، مفندا رأي من يرى أن القرآن تدرج معهم في التحدي من الكثير إلى القليل، ومن الصعب إلى السهل، مبينا أن الصواب في ذلك: أن القرآن حين تحداهم كان يواجه حال المشركين، وينقض شبههم حول القرآن، فكان مقدار التحدي حسب الحالة التي كانوا عليها، فتحداهم حينا بالقرآن، وحينا بعشر سور، وحينا بسورة واحدة، وذلك كله مراعاة للحالة التي كانوا عليها وقت تنزل هذه الآيات.ثم ذيلت هذا القول بذكر العلماء الذي ذهبوا إلى هذا القول، وأخذوا به.ثم كانت لي وقفات طويلة مع إيحاء آيات التحدي ودلالاتها، ويكاد يكون هذا الأمر زبدة هذا الكتاب وخلاصته، وفي وقفات تأملية لهذه الآيات، مدعومة بآراء العلماء، فقد رجعت إلى كلامهم،وأفدت منه، وهي ثامن وقفات.ثم ختمت الكتاب بوقفة بلاغية مع آيتي البقرة المتحدى بها، وهي قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أتناوله في مقدمة ، وتسعة مباحث ، وخاتمة ، وفهارس ؛ فجاءت على النحو التالي :

المقدمة : واشتملت على أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث ، ومنهجي فيه.

المبحث الأول : آيات التحدي في القرآن الكريم ، جمعت فيه جميع آيات التحدي ، وقمت بتفسيرها تفسيرا مجملا ، ثم ذكرت عدة ملحوظات وفوائد من تلك الآيات .

المبحث الثاني : التحدي خاص بالقرآن الكريم ، وذكرت فيه أن التحدي خاص بالقرآن الكريم دون الكتب السماوية الأخرى فلم يتحد الله بها البشر .

المبحث الثالث : ذكر المتحدى بالقرآن الكريم ، وذكرت فيه أقوال العلماء في الذين تحداهم الله في تلك الآيات .

المبحث الرابع : بيان وجه التحدي بالقرآن ، وبينت فيه نوع التحدي الوارد في تلك الآيات .

المبحث الخامس : مراحل التحدي بالقرآن الكريم ، وذكرت فيه أقوال العلماء في مراحل نزول آيات التحدي وترتيب آياتها .

وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٣،٢٤) . وقد سعيت لإظهار شيء من بلاغة هاتين الآيتين،ونكتهما البيانية " .

(http://www.tafsir.org/vb/showthread.php?t=١٢٤١٨)

ـ التحدي في آيات الإعجاز للدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري وهو بحث قدمه لمؤتمر الإعجاز الذي انعقد في الثمانينيات في بغداد ، فصل القول وأطال في الحديث عن التحدي . وطبعته مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧هـ .

ـ دلالة المثلية في آيات التحدي ، للدكتور سعيد جمعة .

ولم أوفق للإطلاع عليها . وإن كان بعضها له وجهة في بحث الموضوع غير الوجهة التي بحثت فيها .

المبحث السادس : القدر المعجز من القرآن الكريم ، وبينت فيه أقوال العلماء في القدر المعجز من القرآن الكريم .

المبحث السابع : الصرفة وآيات التحدي ، وبينت فيه وجه استشهاد العلماء بآيات التحدي على إبطال القول بالصرفة .

المبحث الثامن : بيان موقف العرب أمام آيات التحدي ، وذكرت فيه عجز العرب عن معارضة القرآن مع فصاحتهم وبلاغتهم .

المبحث التاسع : معارضة القرآن ، وذكرت فيه بعض المحاولات لمعارضة القرآن الكريم .

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس : وفيها فهرس للمصادر والمراجع ، وفهرس للموضوعات.

وقد اجتهدت ـ مستعينا بالله ـ في خدمة هذا الموضوع ، سائرا على المنهج التالي :

(١) رجعت إلى كتب إعجاز القرآن ، وكتب علوم القرآن ، ومواضع تفسير الآيات في كتب التفاسير ،وكتب أخرى ، فجمعت المادة العلمية .

(٢) حاولت الاقتصار جاهدا في تفسير آيات التحدي ، بما يعين على فهمها.

(٣) اجتهدت في عدم إثقال الحواشي بالتراجم ، إلا من كان غير مشهور.

(٤) رجحت ما يمكن ترجيحه بعد البحث والتنقيب وجمع الأقوال ومناقشتها.

(٥) كتبت الآيات بالرسم العثماني ، ذاكرا اسم السورة ورقم الآية فيها.

(٦) ضبطت البحث بالشكل ليعين القارئ الكريم على فهم المراد .

(٧) خرجت الأحاديث مكتفيا بالصحيحين إن كان فيهما وإلا فمن غيرهما مع الحكم عليه.

والله أسأل أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم،موافقا للمنهج القويم ، والحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول
آيات التحدي في القرآن الكريم

لقد بعث الله رسوله محمدا ﷺ إلى قومه ، وأمره بأن يبلغ رسالة ربه، وأن يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، وأن يؤمنوا برسالته ويتبعوه .

وأيد رسوله ﷺ بآيات دالة على صدقه ، وأنه مرسل من عند ربه ، وكان من أعظمها القرآن الكريم ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت : ٤٢) . إلا أن هؤلاء الكفار لم يسلموا له بذلك فكذبوه ورفضوا دعوته . محتجين بأنه بشر مثلهم ، وأنه كاذب ومفتر،إلى غير ذلك من كذبهم وافترائهم.قال تعالى :﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾(ص ٤)، وقال عنهم سبحانه : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾ (ص ٧-٨) بل وأنكروا أن يكون القرآن كلام الله ، وقالوا عنه سحر ، وشعر ، وكذب وافتراء ، وأنه كلام بشر وغير ذلك من الأباطيل ، بل وزعم هؤلاء الكفار أنهم قادرون على الإتيان بمثله ، إذا شاءوا ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأنفال :٣١) .

وحيث إن هؤلاء الكفار زعموا أنهم قادرون على الإتيان بمثله ، فقد واجه القرآن هذا الزعم بالتحدي ، فقد تحداهم الله أن يأتوا بمثل هذا القرآن .

والتحدي : " هو أن يحدوهم ، أي يدعوهم فيبعثهم إلى أن يعارضوه ، فيقال فيه: حداني على هذا الأمر أي : بعثني عليه ، ومنه سمي حادي العيس، لأنه بحداه يبعثها على السير " [1] .

"والمستفيض على ألسنة الناس اليوم ، والمبثوث في كل كتاب أن التحدي: أن تفعل أنت فعلا ، ثم تطلب من خصمك بأن يبذل غاية جهده في معارضته والإتيان بمثله ، وأنت على ثقة من أنه غير قادر على مثل هذا الفعل ، طالبا بذلك إظهار عجزه وضعفه عن مساماتك ، أو غلبتك ، أو الظهور عليك. وهذا هو المعنى المقصود عند ذكر الأنبياء، وتحديهم الناس بمعجزاتهم " [2] .

وقد ورد التحدي بالقرآن الكريم في خمس سور منه : في سورة البقرة ، وفي سورة يونس ، وفي سورة هود ، وفي سورة الإسراء ، وفي سورة الطور .

وزاد بعض العلماء موضعا آخر في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القصص : ٤٩ ـ ٥٠) .

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن هذه الآية ليست من آيات التحدي لأن الله لم يطلب من المشركين الإتيان بكلام مثل القرآن ، ولا تأليف كتاب مثل القرآن ، من عند أنفسهم ،بل طلب منهم أن يأتوا بكتاب من عند الله ـ وليس من عندهم ـ وذلك

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٧٦ .

(٢) وتسمية هذا الأمر بالتحدي محدث مولد ، ليس في كتاب الله ولا في حديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نجده في كلام أهل القرنين الأول والثاني من الهجرة . وظهر بعض الظهور في كلام أهل القرآن الثالث ، ثم استفاض بعد ذلك ، وأقدم من ذكر التحدي بهذ المعنى المحدث هو أبو عثمان الجاحظ ١٥٠-٢٥٥هـ ولا سيما في رسالته (حجج النبوة)، ولفظ التحدي نجده مقترنا بلفظي الإعجاز و المعجزة . والتحدي أسبق الثلاثة وجودا في لغة المتكلمين ".
بتصرف من مداخل إعجاز القرآن لمحمود محمد شاكر ص ٢٠و ٢١-٢٣.

بأن يكون فيهم رسول ينزل الله عليه كتابا هو أهدى من التوراة والقرآن ، ليتبعه ويهتدي به . وهذا غير تحديهم بأن يؤلفوا هم كتابا مثل القرآن [١].

وفي هذا المبحث أورد آيات التحدي في القرآن الكريم بحسب ترتيبها في المصحف مع شيء من تفسيرها فأقول مستعينا بالله :

التحدي الأول :

قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ (البقرة : ٢٣،٢٤) .

تفسيرها : جاءت هذه الآيات مناسبة للآية التي قبلها، ووجه المناسبة ، أنه سبحانه وتعالى لما أقر التوحيد ، وأبطل الشريك في الآية السابقة لها ؛ شرع في تقرير نبوة محمد ﷺ ، وإقامة الحجج على صدق نبوته والتي من أعظمها القرآن الكريم .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ ﴾ أي أيها المشركون بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾ . وقوله : ﴿ فِي رَيْبٍ ﴾ أي في شك وقلق : ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا ﴾ المراد به القرآن الكريم ، وفي الإتيان بلفظ التنزيل دون الإنزال ؛ لأن المراد النزول على سبيل التدرج ، وهذا اللفظ لائق بهذا المكان؛ لأنهم كانوا يقولون لو كان من عند الله لنزل جملة واحدة ولم ينزل منجما . كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) ﴾ (الفرقان : من الآية ٣٢) .

---

(١) انظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني للدكتور صلاح الخالدي ص٥٢.

قال الفيروزابادي رحمه الله:" والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة:أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله مفرقا منجما ومرة بعد أخرى ، والإنزال عام "[1].

﴿ عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ هو محمد ﷺ : ﴿ فَأْتُوا ﴾ أمر تعجيز وتحد ﴿ بِسُورَةٍ ﴾ جاءت سورة هنا منكرة وهي تفيد العموم ،فتشمل أي سورة كانت .

﴿ مِّن ﴾ هنا صلة كقوله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (النور:من الآية٣٠) .

وإتيان ﴿ مِّن ﴾ هنا في آخر آيات التحدي نزولا ، فيه إشارة إلى التنزل معهم من الأخف فالأخف ، فقد تنزل معهم من طلب المماثل إلى طلب شيء مما يماثل ،كأنه يقول :لا أكلفكم بالمماثلة العامة ، بل حسبكم أن تأتوا بشيء فيه جنس المماثلة ومطلقها. وبها يكون مثلا على التقريب لا التحديد، وهذا أقصى ما يمكن من التنزل [2].

ويحتمل أن تكون ﴿ مِّن ﴾ لبيان الجنس[3].

﴿ مِّثْلِهِ ﴾ الضمير(الهاء) عائد إلى (ما) في قوله: ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا ﴾ ، والمعنى:من مثل القرآن الذي جاءكم به محمد ﷺ ، وهذا القول قاله : مجاهد وقتادة [4] ، واختاره الطبري والرازي، ونقله عن عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم ،

---

(١) انظر:بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي ٥/ ٤٠،المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) انظر: النبأ العظيم ، د. محمد عبدالله دراز ص ٨٤ .

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٠١ ، معالم التنزيل للبغوي ١/ ٧٢ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١ / ٣٩٧ بسنده عنهما .

والحسن وأكثر المحققين . واختاره القرطبي وابن كثير ، ونسبه ابن عطية للجمهور [١] .

وقيل:الضمير (الهاء) عائد إلى ﴿ عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ أي من مثل محمدﷺ يعني من رجل أمي مثله. والراجح القول الأول ، ويدل على ترجيحه وجوه :

١- أن رجوعه للقرآن مطابق لسائر الآيات الواردة في باب التحدي لاسيما آية سورة يونس: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ (يونس : ٣٨)

٢- أن الكلام يدور حول المنزل ، وهو القرآن ؛ لأنه قال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ ، فوجب صرف الضمير إليه .

٣- أنه تحداهم كلهم متفرقين ومجتمعين، سواء في ذلك أميهم وكاتبهم، وذلك أكمل في التحدي وأشمل، من أن يتحدى آحادهم الأميين، ممن لا يقرأ ولا يكتب شيئا.

قال السخاوي[٢] رحمه الله: " وأما من قال : إن الهاء تعود للنبي ﷺ ... فكلام من ركب الخطر ، ولم يمعن النظر ، لأن كلامه يقتضي أن بعض الناس يقدر على الإتيان بمثله ، وهم العلماء بالسير والممارسون للكتب وهذا يبطله قوله عز وجل: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء ٨٨)[٣] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١ / ٣٩٧ ، معالم التنزيل البغوي ١/ ٧٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٠١ ، تفسير الرازي ٢/ ١٢٩ ، تفسير ابن كثير ١ / ٦٣ ، تفسير القرطبي ١ / ٢٣٢ .

(٢) هو : محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد شمس الدين السخاوي الأصل القاهري الشافعي ، فقيه مقرئ محدث مؤرخ ، توفي سنة ٩٠٢هـ .

انظر: الأعلام ٦/ ١٩٤، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير ٣/ ٢١٤٦.

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء ١/ ٤٧ .

وقوله : ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ أي من مثل القرآن في البيان ، لا في التأليف والمعاني ، التي باين بها سائر الكلام غيره ، فإنه لا مثل له من هذا الوجه ، ولا نظير ولا شبيه . قاله الطبري [1] .

﴿ وَٱدْعُواْ ﴾ استنصروا واستغيثوا . ﴿ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أعوانكم ومن تشهدون له بالإلوهية ليساعدوكم في الإتيان بمثله .

وفي هذا تحد للعابد والمعبود وهو غاية ما يكون من التحدي .

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في أن هذا القرآن مفترى على الله، وفي أنكم قادرون على الإتيان بمثله كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال:من آية٣١) ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾ إن لم تأتوا بسورة من مثله فيما مضى.﴿ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ أبدا فيما بقي ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ وفيها دلالة على أن من عارض القرآن فمأواه النار [2].

التحدي الثاني :

قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (يونس:٣٨).

تفسيرها : جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (يونس : ٣٧) ، والتي تفيد أنه ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١ / ٣٩٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١/ ٣٩٦-٤٠٦ ، معالم التنزيل للبغوي ١/ ٧٢ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٣١ ، المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٥٢ ، مفاتيح الغيب للرازي ٢/ ١٢٥.

يختلق من دون الله ، فهو لا يكون إلا من عند الله ، وأنه مطابق ومصدق لما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة ، وموافق لها ، وأنه لاشك أنه من عند الله . ثم بعدها تحداهم بهذه الآية ، فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ الهمزة للإنكار ، والمعنى : بل يقولون ، وقيل : أم بمعنى الواو ، أي : ويقولون . ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ اختلق محمد القرآن ، وافتعله من قبل نفسه . ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ، متحديا لهم ومعجزا . ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ مثل القرآن في الفصاحة ، والبيان ، وحسن النظم ، وقوة المعنى .

قال الطبري رحمه الله : " ولم يقل مثلها : لأن الكناية أخرجت على المعنى، أي معنى السورة ، لا على لفظها " [١]. وأنكر ذلك ابن عطية بقوله: " وهذا وهم بين لا يحتاج إليه " [٢].

﴿ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾ أيها المشركون ، ادعوا من قدرتم أن تدعوا من أوليائكم ، وشركائكم ، ومعبوديكم ؛ ليعينوكم ، ويساعدوكم على ذلك ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ سوى الله ، أو غيره ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في أن هذا القرآن مفترى من عند محمد ﷺ [٣].

التحدي الثالث :

قوله تعالى في سورة هود : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (هود : ١٣) .

(١) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٨٣ .

(٢) انظر:المحرر الوجيز ١/ ٢٥٢.

(٣) انظر:جامع البيان للطبري ١٢/ ١٨٢ – ١٨٣ ، معالم التنزيل للبغوي ٤/ ١٣٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٣٤٤ مفاتيح الغيب للرازي ١٧/ ٩٨ ، التفسير المنير للزحيلي ١١/ ١٧٥ .

تفسيرها : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أيقول المشركون ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ اختلق وتكذب ما يوحى إليه ، وهو القرآن ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ مثل القرآن ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ مفتعلات مختلقات .

واختلف المفسرون في المتحدى به في هذه الآية : فذهب الأكثرون إلى أنه قدر عشر سور تماثل القرآن في نظمه ومعناه ، والمراد بالمعنى : ما يتضمنه القرآن من أخبار عن الغيب ، ووعد ووعيد ، وحكم وأحكام .

وذهب آخرون إلى أن المطلوب في المتحدى به ، هو مماثلة القرآن في حسن النظم والبيان فحسب ، دون المغيبات والحكم والأحكام، والوعد والوعيد ، والأمثال .

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الراجح هو القول الثاني ، وأن المتحدى به في هذه الآية : عشر سور تماثل القرآن في حسن النظم والبيان، وذلك بدليل قوله تعالى بعدها :﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ .

وقوله هنا: ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ لأجل ألا يظن المتحدون أنهم مطالبون بالمثلية في جميع الوجوه (فإنهم قالوا لا علم لنا بها في القرآن من الأخبار الخالية ، والقصص السالفة ؛ فقيل لهم : مفتريات إزاحة لعللهم ، وقطعا لأعذارهم ؛ فعجزوا) [1] .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن السور التي وقع بها طلب المعارضة لها ، هي سور معينة ، وهي : (سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، والتوبة ، ويونس ، وهود) مفسرا هذا بالمثلية في قوله : ﴿ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ . وهذا القول غير صحيح ؛ لأن : (هذه السور أكثرها

(١) انظر : البرهان للزركشي ١/ ١١١ .

مدني فكيف يصح الحوالة بمكة على ما لم ينزل ، ولعل هذا لا يصح عن ابن عباس) قاله : أبو حيان [١] .

قوله : ﴿ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ غيره إلى المعاونة ، والمعارضة ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنه مفترى [٢].

التحدي الرابع :

قوله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء : ٨٨) .

تفسيرها : ذكر الطبري رحمه الله بصيغة التمريض ، وأسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية نزلت على رسول الله ﷺ بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن ، وسألوه أن يأتيهم بآية غيره ، شاهدة له على نبوته ؛ لأن هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به [٣].

وفي هذا نظر ؛ لأن هذه السورة مكية ، وسياقها كله مع قريش ، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة فالله أعلم . قاله ابن كثير[٤] رحمه الله .

﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ﴾ واتفقت ﴿ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ وهذا دليل على أن الجن متحدون كذلك كما سيأتي[٥] ، وقدم الإنس على الجن هنا ، لأن الإعجاز منهم أظهر ، والخطاب إليهم أخص .

---

(١) انظر : البحر المحيط لأبي حيان ١/ ١٠٤ .

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ١٢/ ٣٤٣- ٣٤٤ ، معالم التنزيل٤/ ١٦٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ١٢، المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٥٢، مفاتيح الغيب للرازي١٧/ ٢٠٢، التفسير المنير١٢/ ٣١.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ١٥/ ٧٥ .

(٤) انظر: تفسيره ٣/ ٦٦.

(٥) انظر: ص ٢٥ .

﴿ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ ﴾ جواب للقسم في ﴿ لَّئِنِ ﴾ . ﴿ بِمِثۡلِهِۦ ﴾ أي بمثل القرآن فلا يستطيعون ذلك ، وكيف يشبه كلام المخلوق كلام الخالق الذي لا نظير له ، ولا مثال له،ولا عديل له ؟!!. ﴿ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ معينا ومظاهرا، مثل تعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه . فإنهم لن يأتوا بمثل هذا القرآن [(١)] . والآية وإن كانت خبرا إلا أن هذا الخبر متضمن معنى التحدي ، وقد أنكر بعض المعاصرين أن تكون هذه الآية من آيات التحدي . حيث يرى أنها إخبار من الله ، وليس تحديا لهم [(٢)] .

التحدي الخامس:

قوله تعالى في سورة الطور : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الطور : ٣٣ و٣٤) .

تفسيرها : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ﴾ أي هؤلاء المشركون ﴿ تَقَوَّلَهُۥ ﴾ اختلق وافترى القرآن محمد ﷺ من عند نفسه ، والتقول : تكلف القول ، ويراد به الكذب غالبا . ﴿ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ جحدا واستكبارا . وكفرهم هذا هو الذي حملهم على هذه المقالة ، ثم ألزمهم الحجة ؛ فقال : ﴿ فَلۡيَأۡتُواْ ﴾ أي هؤلاء المشركين ، وهو أمر تعجيز ، وتحد ﴿ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ ﴾ مثل القرآن ، ونظمه ، وحسن بيانه ، من تلقاء أنفسهم ، فإنهم أهل لسان محمد ﷺ ولن يتعذر عليه أن يأتوا من ذلك بمثل الذي أتى به محمد ﴿ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ في دعواهم أن محمدا تقوله ، وافتراه من عند نفسه [(٣)].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٥/ ٧٥، معالم التنزيل للبغوي ٥/ ١٢٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى١٠/ ٣٢٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير٣/ ٦٦.

(٢) هو د.صلاح الخالدي، كما في إعجاز القرآن البياني له ص ٥٢ .

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٢١/ ٥٩٦، معالم التنزيل للبغوي ٧/ ٣٩٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٧/ ٧٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/ ٢٦٠

وبعد هذا التفسير الموجز لآيات التحدي ، نلحظ ما يلي :

١ـ أن آيات التحدي شملت القرآن المكي والمدني ، فهي في سور يونس ، وهود ، والإسراء ، والطور ، وهي مكية ؛ وفي سورة البقرة ، وهي مدنية . وكان التحدي في العهد المكي أكثر منه في المدني ، فقد ورد التحدي في العهد المكي في السور : يونس ، وهود ، والإسراء ، والطور ، ثم تكرر التحدي في العهد المدني كما في سورة البقرة .

٢ـ أن آيات التحدي يسبقها الحديث عن تشكيك الكافرين في القرآن، وأنه من عند محمد ؛ فتأتي آيات التحدي لإبطال هذا الزعم .

٣ـ أن آيات التحدي يتبعها إثبات مصدر القرآن ، وتقرير أنه كلام الله ، أوحى به إلى عبده ورسوله محمد ﷺ .

٤ـ تكررت كلمة ﴿ مِّثۡلِهِۦ ﴾ في كل آيات التحدي ، والمراد بالمثلية: المثلية في الفصاحة والبيان ، ووردت في سورة البقرة مسبوقة بـ ﴿ مِّن ﴾ وسبق بيان معناها .

٥ـ كانت نتيجة هذا التحدي أن الكفار عجزوا عن الإتيان بالمطلوب ، ودل عجزهم على أن القرآن كلام الله ، وأن محمدا ﷺ عبده ورسوله [(١)].

٦ـ أن جميع آيات التحدي ورد التحدي فيها بلفظ الإتيان ﴿ فَلۡيَأۡتُواْ ﴾ ولم يقل : فليقولوا ، وفي هذا توسيع للعرب في التحدي حيث فتح المجال لهم في المعارضة بأي طريقة كانت ، ولم يشترط أن يكون من قولهم ، فلهم الحق بالرجوع إلى موروثهم الجاهلي ، وغيره .

٧ـ لم يكن المطلوب منهم في التحدي الإتيان بمثل القرآن مطابقا لمعانيه ، وإنما المطلوب مثله في البيان فقط ، ولا يهم إذا كان المعنى مفترى ، أو مختلقا ، أو كذبا .

---

(١) انظر: إعجاز القرآن البياني للخالدي ص ٥٦.

٨- تحدى الله العرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ؛ لأن لديهم القدرة على الفصل بين كلام البشر ، وكلام غيرهم .

٩- أن التحدي بالقرآن كان موجها للكافرين بالنبي ﷺ ، والذي يدل عليه سياق آيات التحدي ، فإن آيات التحدي كان يسبقها تسجيل تكذيب الكفار للنبي ﷺ. وقد عجز الكافرون عن المعارضة ، وعجزهم - وهم أهل الفصاحة والبيان - يدل على عجز غيرهم . وآية سورة الإسراء أفادت شمول التحدي لكل المخلوقات ؛ فالكل عاجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن .

قال ابن كثير رحمه الله : (وهذه أيضا معجزة أخرى ، وهو أنه أخبر خبرا جازما قاطعا مقدما غير خائف ولا مشفق ، أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، وكذلك وقع الأمر ، لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا ولا يمكن) [1] .

١٠- التحدي في سورة البقرة غيره في سورة الإسراء ، ففي سورة البقرة: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ نجد ضمير الجلالة بدلا من فعل الأمر (قل): ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ وهذا يجعل التحدي من الله في سورة البقرة بدلا من أن يكون من الله بواسطة الرسول في سورة الإسراء ، أو في سورة يونس ، ولذا كانت آية البقرة المدنية خاتمة لآيات التحدي .

١١- رتب بعضهم آيات التحدي على النحو التالي :

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٦٣ .

مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (سورة القصص:٤٩-٥٠).

ـ ثم قوله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (آية ٨٨ سورة الإسراء).

ـ ثم قوله تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (آية ٣٨سورة يونس) .

ـ ثم قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾(آية١٣ سورة هود).

ـ ثم قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (آية ٣٤سورة الطور) .

ـ ثم قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (آية ٢٣ـ٢٤سورة البقرة).

ثم قال : ويلاحظ أن التحدي قد تتابع ما بين السور ٥٠ و٥١ و٥٢ ـ يعني سورة الإسراء ، وسورة يونس ، وسورة هود ـ والسبب في ذلك هو اشتداد البلاء عليه صلوات الله وسلامه عليه من سفهاء قومه بعد وفاة عمه أبي طالب ، ووفاة أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد بعده بقليل ـ رضي الله عنها ـ ، فتتابع نزول آيات التحدي خلال هذه الفترة حتى الهجرة، فكان وقعه على المشركين أشد من الصواعق ، وأقوى من الموت[١].

(١) القرآن يتحدى ص ١٣٧ .

كشاف تفصيلي لآيات التحدي في القرآن

م	آيات التحدي	السورة	نوعها	رقم الآية	ترتيب السورة حسب المصحف	ترتيب السورة حسب النزول	التحدي
١	﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾	البقرة	مدنية	٢٣-٢٤	٢	٨٧	الإتيان بسورة من مثله
٢	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) ﴾	يونس	مكية	٣٨	١٠	٥١	الإتيان بسورة مثله
٣	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) ﴾	هود	مكية	١٣	١١	٥٢	الإتيان بعشر سور مثله
٤	﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾	الإسراء	مكية	٨٨	١٧	٥٠	الإتيان بمثل هذا القرآن
٥	﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) ﴾	الطور	مكية	٣٣-٣٤	٥٢	٧٦	الإتيان بحديث مثله

المبحث الثاني
التحدي خاص بالقرآن الكريم

لقد بعث الله أنبياء ورسلا إلى أقوامهم ، فدعوهم إلى عبادة الله كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٢٥)،وقد جاء هؤلاء الرسل بآيات بينات ، ومعجزات باهرات دالة على نبوتهم ، ومصدقة لهم في رسالتهم ، ومؤيدة لهم من الله تعالى ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ﴾ (الروم : ٤٧) وقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ (الحديد:٢٥) وقد كانت هذه الآيات المادية دالة على صدق من جاء بها ، لعجز أي أحد من البشر عن الإتيان بمثلها .

كما أنزل الله على بعض أنبيائه كتبا سماوية لهداية أقوامهم ، إلا أنها لم تكن تنزل على الأنبياء معجزة لهم تؤيدهم في دعوتهم ، وإنذار قومهم ، مثل المعجزات المادية الأخرى ، التي أيدوا بها ، كقلب العصا حية ، وفلق البحر ، وإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، ونحو ذلك . وإنما كانت تنزل للهداية والتعبد بأوامرها ونواهيها ، والاسترشاد بها ، والاحتكام إليها عند التنازع والاختلاف .

أما القرآن الكريم فقد نزل على النبي ﷺ للهداية ، وكذلك مؤيدا له في دعوته ، دالا على صدقه . فأصبح القرآن معجزة النبي ﷺ ، ومعنى إعجاز القرآن: " هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن ، وقصورهم عن الإتيان بمثله ، رغم توافر ملكتهم البيانية ، وقيام الداعي على ذلك ، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك " [١].

---

(١) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني للدكتور صلاح الخالدي ص١٧ .

ومما يدل على أن كتب الأنبياء السابقين لم يقع الإعجاز والتحدي بها مثل القرآن ما يلي :

١ـ أن الله ذكر في كتابه قصص الأنبياء مع أقوامهم ، ومحاورتهم لهم ، وما أيدوا به من الآيات ، وأفاض القرآن في ذكر هذه القصص ، مثل قصة نوح وموسى عليهما السلام ، ولم يرد في موضع واحد أنهم حاجوا أقوامهم بكتبهم المنزلة ، وتحدوهم وأعجزوهم عن الإتيان بمثلها ، وهذا يدل على أنها لم تكن موضعا للتحدي .

أما القرآن الكريم فقد ذكر التحدي به أكثر من مرة حتى في السور المدنية كسورة البقرة .

٢ـ ويدل على ذلك أيضا قول النبي ﷺ : " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله لي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " [١].

فإن النبي ﷺ غاير معجزته عن معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وخص معجزته بكونها وحيا أوحي إليه ـ وهو القرآن ـ ومن المعلوم أن الأنبياء أنزل على طائفة منهم كتبا مثل النبي ﷺ ولم يكن لها خاصية الإعجاز كما يلمح إليه الحديث ، فعلم أن الإعجاز والتحدي إنما هو من خصائص القرآن الكريم .

يقول ابن كثير رحمه الله معلقا على هذا الحديث : " وقوله : (وإنما كان الذي أوتيته وحيا) أي : الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه ، بخلاف غيره من الكتب الإلهية ، فإنها ليست معجزة عند كثير من العلماء والله أعلم " [٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ح ٤٩٨١ ، و أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ١٥٢ .

(٢) تفسير ابن كثير لسورة البقرة آية ٢٣.

وانظر: رسالة علمية بعنوان : (فضل القرآن دراسة موضوعية) د. عبدالسلام الجارالله ص ٣٥٠ .

وبناء على ما سبق فإن الإعجاز والتحدي خاص بالقرآن الكريم دون ما سواه من الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين ، ولا يعني هذا عدم اشتمال تلك الكتب على شيء من وجوه الإعجاز التي اشتمل عليها القرآن ، بل فيها بعض الوجوه المعجزة المذكورة للقرآن مثل الإخبار عن المغيبات الماضية والمستقبلة ، وكاشتمالها على التشريعات الملائمة لمن أنزلت عليهم إلا أنها لم تكن للتحدي .

يقول الطبري رحمه الله لما ذكر أن التوراة والإنجيل والزبور نزلت ببعض المعاني التي نزل بها القرآن قال : " لا معجزة في واحد منها تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق " [(١)] .

---

(١) جامع البيان ١/ ٢٠٠ .

المبحث الثالث
المتحدى بالقرآن

وبعد هذا العرض لآيات التحدي في القرآن ،وذكر أن التحدي خاص بالقرآن الكريم ، نقف في هذا المبحث مع تساؤل قد يرد ، ألا وهو : من الذين تحداهم الله بهذه الآيات ؟ فأقول :

ذهب بعض العلماء ومنهم الزركشي[1] رحمهم الله إلى أن التحدي إنما وقع للإنس دون الجن ، مستدلا على ذلك بأن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه ، وإنما ذكروا في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ (الإسراء : من الآية ٨٨) تعظيما لإعجاز القرآن لأن الهيئة الاجتماعية لها من القوة ما ليس للأفراد [2] .

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الجن متحدون بالقرآن أيضا .

فإن الله عز وجل قال:﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ فإنه شامل للإنس والجن بدليل قوله تعالى بعدها ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ .والجن أيضا أرسل إليهم الرسول ﷺ مثل الإنس،وقولهم:إن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي قول غريب ؛ فكيف لا يكونون من أهل اللسان العربي والله يقول: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ الآيات. (الأحقاف:٢٩-٣٢) فإنهم فهموا القرآن ووعوه ، ثم عادوا دعاة رشد وهداية لأقوامهم ، ثم إن الرسول ﷺ يقول : "إنه أتاني داعي الجن، فأجبتهم

---

(١) هو:محمد بن عبدالله بن بهادر ، أبو عبدالله ، بدر الدين الزركشي، فقيه أصولي أديب، صاحب: البرهان في علوم القرآن ، مات في مصر سنة ٧٩٤هـ .
انظر:الدرر الكامنة ٤/ ١٧، طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ١٥٨.

(٢) انظر : البرهان للزركشي ٢/ ١١١ ، التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥/ ٢٠٣ .

أقرؤهم القرآن "[١]. وغير ذلك من الأدلة والتي تثبت سماع الجن للقرآن ، وفهمهم له ...كما أن هذا القول تخصيص بلا مخصص ، يقول ابن حزم رحمه الله: " وكذلك قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (الإسراء:من الآية٨٨) عموم كل إنس وجن أبدا ، لا يجوز تخصيص شيء من ذلك بغير نص ولا إجماع " [٢].

وعلل أبو حيان[٣] ـ رحمه الله ـ في تفسيره سبب تحدي الجن مع الإنس بقوله :"ولما كانت الجن تفعل أفعالا مستغربة كما حكى الله عنهم في قصة سليمان أدرجوا مع الإنس في التحدي ليكون ذلك أبلغ في التعجيز... " [٤].

فالقرآن معجز لكافة المخلوقين من الإنس والجن حتى قيام الساعة .

والتحدي بالقرآن أيضا عام للعرب ولغيرهم في زمن نزول القرآن إلى قيام الساعة " فالقرآن ليس معجزة موقوتة بالفترة التي نزل فيها ، ولا محصورة في القوم الذين دعوا إلى هذا التحدي ، وإنما القرآن معجزة قائمة على الزمن كله ، وعلى الناس جميعا في أجيالهم المتعاقبة " [٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الصلاة ح ٤٥٠، والنسائي في الكبرى كتاب التفسير ٢/ ٤٦٦وغيرهما .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٣/ ٢٦ ، علوم القرآن لحازم سعيد ٢٨٠و٢٨٧.

(٣) هو:محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي،أثير الدين، أبو حيان ، نحوي ، لغوي ، مفسر ، مقرئ ،إمام عصره في النحو واللغة،صاحب البحر المحيط في التفسير توفي بالقاهرة سنة ٧٥٤هـ.

انظر: طبقات الشافعية للسبكي٩/ ٢٧٦، الأعلام٧/ ١٥٢، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير٣/ ٢٥٠.

(٤) انظر : البحر المحيط ٥/ ٢٠٨ .

(٥) إعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب ١/ ٢١٥.

وقد عد الرماني رحمه الله[1] من وجوه الإعجاز القرآني: (التحدي للناس كافة)[2].

وهذا العموم للتحدي يفهم من قوله: ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢٤) ،وقوله: ﴿ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (هود: ١٣) ، فالتحدي شامل لكل ما يمتد عليه ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الراغبين في المعارضة ، ولهم أن يحشدوا من شاءوا من الأنصار ، ويستعينوا بما شاءوا من مخترعات ولو كانت العقول الإلكترونية . ومن قصر التحدي على العرب ، وجعل عجزهم دليلا تفصيليا على عجز العالمين عن المعارضة فإنه لا يستند إلى النص القرآني الصريح الموجه إلى العالمين جميعا ، كما أنه يتناقض مع عموم الرسالة الذي يقتضي عموم التحدي [3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عند قوله عز وجل: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ قال : " ﴿ وَلَن ﴾ لنفي المستقبل ، فثبت للخبر أنهم فيما يستقبل من الزمان ، لا يأتون بسورة من مثله ،كما أخبر قبل ذلك ، وأمره أن يقول في سورة سبحان،وهي سورة مكية ، افتتحها بذكر الإسراء، وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر،وذكر فيها من مخاطبته للكفار بمكة ما يبين ذلك بقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء:٨٨).

فعم بأمره له أن يخبر بالخبر جميع الخلق ، معجزا لهم ، قاطعا بأنهم إذا اجتمعوا كلهم ، لا يأتون بمثل هذا القرآن ، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك،

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي المعروف بالرماني المعتزلي أبو الحسن ، نحوي لغوي مفسر مقرئ، شيخ العربية ، وأستاذ علوم اللغة في عصره ، توفي سنة ٣٨٤هـ.
انظر : الأعلام ٤/ ٣١٧، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير ٢/ ١٦٣٦ .

(٢) إعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب ١/ ٢١٥.

(٣) انظر : القرآن يتحدى ص ١٥٥.

وهذا التحدي والدعاء ، هو لجميع الخلق ، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه العام والخاص ، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه ، ولا أتوا بسورة مثله ، ومن حين بعث وإلى اليوم ، الأمر على ذلك ، مع ما علم من أن الخلق كلهم كانوا كفارا قبل أن يبعث ، ولما بعث إنما تبعه قليل.

وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله،مجتهدين بكل طريق ممكن. تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب، حتى يسألوه عنها ، كما سألوه عن قصة يوسف ، وأهل الكهف،وذي القرنين كما تقدم[1]، وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه ، وصاروا يضربون له الأمثال فيشبهونه بمن ليس مثله لمجرد شبه ما، مع ظهور الفرق ، فتارة يقولون: مجنون، وتارة يقولون: ساحر، وتارة يقولون: كاهن ، وتارة يقولون : شاعر . إلى أمثال ذلك من الأقوال التي يعلمون هم وكل عاقل سمعها أنها افتراء عليه .

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة، وهي تبطل دعوته ، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها ، فإنه ـ مع وجود هذا الداعي التام المؤكد ـ إذا كانت القدرة حاصلة ، وجب وجود المقدور ، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض ، فهذا القدر يوجب علما بينا لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة ، وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها؛كإحياء الموتى ، فإن هذا لم يأت أحد بنظيره)[2].

وإذا عجز العرب المعاصرون لزمن نزول الوحي ، وهم أهل الفصاحة والبيان، فعجز من بعدهم أولى فإنه " إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله ، فمن بعدهم أعجز ، لأن فصاحة أولئك في وجوه ما

(١) الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ويعني به ما تقدم ذكره في٤/ ٥٦-٥٨ .

(٢) الجواب الصحيح ٣/ ٧٧ .

كانوا يتفننون فيه من القول مما لا تزيد عليه فصاحة من بعدهم ، وأحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم ، فأما أن يتقدموهم أو يسبقوهم فلا " [١] .

يقول الجرجاني[٢] رحمه الله : " إن الإعجاز يثبت عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن ، وإن العبرة بعجز العرب المعاصرين دون المتأخرين عن زمان النبوة " [٣] .

---

(١) إعجاز القرآن ، للباقلاني ص ١٩٥ .

(٢) هو: أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجاني، ، كان عالما واسع الثقافة، كما كان متكلما على مذهب الأشعري، وفقيها على مذهب الشافعي،توفي سنة ٤٧١هـ .

انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٢٦٢.

(٣) الرسالة الشافية للجرجاني

المبحث الرابع
وجه التحدي بالقرآن

إن سر إعجاز القرآن وحقيقته، أنه كلام الله لا يقدر أحد من البشر أن يقول مثله ، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الله تعالى . فإعجاز القرآن خارج عن مقدور البشر أصلا ، فإذا كان كذلك فما وجه التحدي بالقرآن مع العلم بعدم مقدرتهم على ذلك ؟والجواب عن هذا من وجهين :

أولا : أن القرآن نزل هداية للناس ودلالة على نبوة محمد ﷺ ، ولم ينزل للتحدي، وإنما وقع التحدي به مع ورود الطعن والشك فيه ، وعلى هذا تدل آيات التحدي :

فآية سورة البقرة ورد التحدي فيها بالقرآن الكريم بعد ذكر ريب المشركين منه .

وآيتا سورة يونس ، وسورة هود ورد التحدي فيهما بالقرآن الكريم بعد طعنهم في القرآن ، وقولهم إن محمدا ﷺ قد افتراه .

وآية سورة الإسراء ورد التحدي فيها بالقرآن الكريم في سياق ذكر جدلهم وطلبهم الآيات من النبي ﷺ فدل على أن آيات القرآن كافية ، والتحدي بها مغن في قيام الحجة دون قرنه بآيات أخر .

وآية سورة الطور ورد التحدي فيها بالقرآن الكريم بعد طعنهم في القرآن وقولهم أن النبي ﷺ تقوله .

ثانيا : أن التحدي بالقرآن ورد من باب مجاراة الخصم ؛ لإلزامه الحجة ، وقطع المعذرة ، وسد الذرائع من جميع وجوهها ، خاصة وأنهم زعموا القدرة على معارضة القرآن ، وأنهم لو أرادوا أن يؤلفوا مثله لألفوا ، ولكنهم لا يريدون ذلك ، وقد سجل القرآن هذا الزعم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأنفال :

٣١) وهذه الآية وإن كانت في سورة الأنفال المدنية فإن الآية مكية ، فقد ورد أنها نزلت في النضر بن الحارث أحد زعماء قريش ، حينما عاد إلى مكة من بلاد الفرس ، وقد تعلم أخبارهم وحفظ قصصهم وسمع تأريخهم [(١)] .

فجاء التحدي بالقرآن لإبطال هذا الزعم ، ولبيان أن القرآن حق من عند الله يجب الإيمان به وبمن جاء به ، لذا جاء عقب آيات التحدي بيان انقطاع المكذبين ، وتمام الحجة عليهم ، وأن تكذيبهم بعد التحدي إنما هو جحد ومعاندة ، وأنه ليس لهم بعد التحدي إلا الإذعان ، أو استحقاق العقوبة .

فآية التحدي في سورة البقرة : أخبر بعدها جل وعلا أنه لا سبيل لهم بعد التحدي وعجزهم إلا أن يتقوا النار بالتسليم لله ولكتابه ورسوله وإلا فإنها قد أعدت لهم . قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة : ٢٤) .

وآية التحدي في سورة يونس : أخبر بعدها جل وعلا أن تكذيبهم بعد التحدي وعجزهم هو من جنس تكذيب من قبلهم . فلينظروا إلى عاقبة أولئك ، وليحذروها أن تصيبهم كما أصابتهم . قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (يونس : ٣٩) .

وآية التحدي في سورة هود : أخبر بعدها جل وعلا أنهم إن لم يأتوا بمعارض بعد التحدي فقد انتفى المعارض ، واستقر الدليل على وحدانية الله تعالى ، وأنه المستحق للعبودية وحده ، وأن القرآن من عنده سبحانه ولم يبق بعد ذلك إلا التسليم له ، والإيمان به . قال تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (هود: ١٤) .

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١١/ ١٤٢ ، أسباب النزول للواحدي ص ٢٧٠ .

وآيـة التحـدي في سـورة الإسراء : أخـبر تعـالى بعـدها أن كفـر النـاس وجحودهم ليس عن قصور بينة ، وعجز في الـدليل ، ولكنـه جحـود للحـق ورد للحجـة ومكـابرة.قـال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ (الإسراء:٨٩).

وآية التحدي في سورة الطور : أخبر تعـالى بعـدها أن كفـرهم وجحـودهم هـو الحامـل لهـم في الطعـن في القـرآن الكـريم وقـولهم :إن محمـدا ﷺ افـتراه . ثـم تحداهم أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين في دعواهم . قال تعـالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الطور : ٣٤) [١] .

(١) انظر : تقييدات في إعجاز القرآن ص ٢٩ .

المبحث الخامس
مراحل التحدي بالقرآن الكريم

لقد جاء التحدي في القرآن الكريم متنوعا ـ كما سبق بيانه ـ فمرة تحداهم بالإتيان بمثل القرآن ، ومرة بعشر سور ، ومرة بسورة منه ، ومرة بحديث مثله . ومن المعلوم أن نزولها كان متفرقا ، لذا اختلف العلماء في ترتيب آيات التحدي على أقوال ، هي :

القول الأول : إن التحدي جاء معهم من الأصعب إلى الأسهل ، ومن الكثير إلى القليل .

فتحداهم أولا بأن يأتوا بمثل القرآن من غير تحديد قدر معين ،كما في سورة الطور : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ .

فلما عجزوا تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، كما في سورة هود : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ،كما في سورة يونس : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

فلما عجزوا أكد عليهم التحدي بالإتيان بسورة واحدة من مثل القرآن ، وأكد عدم مقدرتهم على ذلك ،كما في سورة البقرة ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

ثم سد عليهم منافذ القول كما في آية الإسراء : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ .

وهذا القول قال به أكثر العلماء وممن ذكر هذا الترتيب : الزركشي ، وتبعه السيوطي ، وقال به الفخر الرازي ، وغيرهم رحم الله الجميع [١] .

وقالوا مؤيدين ما ذهبوا إليه من هذا التسلسل : إن العقل والمنطق يحتمان هذا الترتيب ، فهو بمثابة من يقول لصاحبه : اكتب مثل ما أكتب ، فإذا عجز قال : اكتب عشرة أسطر مثل ما أكتب ، واستعن بها شئت من الناس ، فإن عجز قال له في آخر الأمر : قد اقتصرت منك على سطر واحد ، فإذا ظهر عجزه حال الإنفراد ، وحال الاجتماع والتعاون ، تبين عجزه عن المعارضة على الإطلاق [٢].

يقول الفخر الرازي رحمه الله : " واعلم أن التحدي بعشر سور لابد وأن يكون سابقا على التحدي بسورة واحدة ، وهو مثل أن يقول الرجل لغيره : اكتب عشرة أسطر مثل ما أكتب ، فإذا ظهر عجزه عنه ؛ قال : قد اقتصرت منها على سطر واحد مثله " [٣] .

يقول محمد رشيد رضا رحمه الله:" وهذا الترتيب لم يصح به نقل، بل المروي في ترتيب السور يخالفه ، فإن سورة هود نزلت عقب سورة يونس...)[٤].

القول الثاني : ذهب إليه المبرد ، وتبعه ابن عطية ، والشهاب ، وبعض المتأخرين رحمهم الله تعالى ، وهو أن آيات التحدي نزلت على غير الترتيب الذي ذكره جمهور المفسرين ، بل إن التحدي بسورة كما في سورة يونس : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ، وقع

(١) انظر : البرهان للزركشي ٢/ ١١٠ ، الإتقان للسيوطي ٤/ ٤ ، مناهل العرفان ٢/ ٣٣٣ .

(٢) انظر : مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم ٣٦-٤٢ .

(٣) مفاتيح الغيب للرازي١٧/ ٢٠٢.

(٤) تفسير المنار ١٢/ ٣٢.

قبل التحدي بعشر سوركما في سورة هود ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

واستندوا في ذلك على ما قاله ابن الضريس نقلا عن ابن عباس ﷺ : " في أنه تحداهم بسورة مثله في البلاغة ، والاشتمال على الغيب والأحكام ، فلما عجزوا ؛ تحداهم بعشر سور مثله في النظم " .

يقول ابن عطية رحمه الله : " وقد اختلف الناس في هذا الموضوع ، فقيل : دعوا إلى السورة المماثلة في النظم والغيوب ، وغير ذلك من الأوصاف ، وكان ذلك تكليف ما لا يطاق ، فلما عسر عليهم خفف بالدعوة إلى المفتريات " [(١)] .

ووجه الجمهور الرواية بقولهم : " هب أن السورة متقدمة في النزول ، إلا أنها لما نزلت على التدريج جاز أن تتأخر بعض الآيات ومنها آية التحدي عن هذه ، ولا ينافي تقديم السورة على السورة " [(٢)] .

ويقول محمد رشيد رضا رحمه الله عن جواب الجمهور: " وهذا الجواب إنما يقال فيما تصح الرواية في تأخر نزوله وتقدمه ، ولا يصح بالتحكم المحض فيما هو خلاف الأصل الثابت بالنقل ، وأبعده عن التصور أن يكون في موضوع واحد في سورتين متعاقبتين...)[(٣)] إلى أن قال في موضع آخر:" وإنني أجزم هنا- بعد التأمل في جميع آيات التحدي ،وتاريخ نزول سورها- أنها لم يكن مراعى بها الترتيب التاريخي في مخاطبة المشركين كما زعم جمهور المفسرين ، بل ذكر كل منها بمناسبة سياق سورته ...)[(٤)] .

---

(١) المحرر الوجيز ٩/ ١١٥

(٢) انظر :المحرر الوجيز ٩/ ١١٥ معالم التنزيل للبغوي ٤/ ١٦٥ .

(٣) تفسير المنار ١٢/ ٣٣ .

(٤) المرجع السابق ١٢/ ٤٤.

القول الثالث : إن آيات التحدي ليست مرتبة ، وأن التحدي لم يكن مرحليا متدرجا . ومما يرجحه ما يلي :

١ـ أن الترتيب يحتاج إلى دليل صحيح ممن شاهدوا التنزيل ، يثبت ترتيب نزول آيات التحدي ، وهذا ما لم أقف عليه ، خاصة وأن هناك آيات مكية نزلت في سور مدنية والعكس كذلك ، فالمسألة لا تعتمد على العقل وإنما مآلها النقل ، ولا يمكن الاعتماد عليه إلى حد كبير فقد كثر الاختلاف فيه كما قلت فيه الدقة .

٢ـ أن التحدي في القرآن كان بالكيف لا بالكم والمقدار ، فاستحالة المجيء بمثل سورة من القرآن كاستحالة المجيء بعشر سور أو القرآن كله ، إذ كله متعذر .

فلا أثر إذا للاختلاف في ترتيب آيات التحدي إذ جميع القرآن معجز قليله وكثيره ، والله أعلم .

المبحث السادس
القدر المعجز من القرآن الكريم

وبعد هذا العرض الموجز لمراحل التحدي بالقرآن ، فإن مما يتصل به ، الحديث عن القدر المعجز من القرآن الكريم ، فأقول :

لقد أجمع العلماء سلفا وخلفا على أن القرآن معجز إلا أنه وقع خلاف بينهم في تحديد القدر المعجز من القرآن على أقوال ، منها :

القول الأول : إن الإعجاز متعلق بجميع القرآن لا ببعضه ، ويذهب إلى هذا القول بعض المعتزلة [(١)]، قال السيوطي بعد ذكره لهذا القول : " والآيتان السابقتان ترده " [(٢)] . ويعني بهما قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ (يونس : من الآية ٣٨) ، وقوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ (هود : من الآية ١٣) .

قلت : ومما يرده أيضا أن الله تحدى بالقرآن أهل مكة أن يأتوا بمثله ، ولم يكن وقتئذ قد اكتمل نزوله .

القول الثاني : إن القدر المعجز متعلق بسورة تامة قصيرة كانت أو طويلة .

وذهب إليه أكثر العلماء . ودليله قوله تعالى ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ وقوله : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ .

القول الثالث : إن القدر المعجز يتعلق بقدر السورة من الكلام ، فإذا كانت آية بقدر حروف سورة – وإن كانت كسورة الكوثر – فذلك معجز ، قاله الباقلاني رحمه الله ؛ مسوغا ذلك بأنه لم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر .

---

(١) انظر : إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٥٤، الإتقان للسيوطي ٤/ ١٧.

(٢) الإتقان ٤/ ١٧ .

القول الرابع : إن القدر المعجز يتعلق بالآيات الكثيرة من القرآن .

القول الخامس :إن القدر المعجز متعلق بقليل القرآن وكثيره ، فالقرآن كثيره وقليله معجز دون تحديد للعدد بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ (الطور: ٣٤).فقوله: ﴿ بِحَدِيثٍ ﴾ مطلق يشمل القليل والكثير .

قال ابن حزم رحمه الله : " وذهب سائر أهل الإسلام إلى أن القرآن كله قليله وكثيره معجز ، وهذا هو الحق الذي لا يجوز خلافه ، ولا صحة لهم في قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ لأنه تعالى لم يقل أن ما دون السورة ليس معجزا بل قد قال تعالى على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن ، فكل شيء من القرآن معجز " [(١)] .

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن هذا القول هو الراجح ،وذلك أن التحدي بجنس القرآن لا بالمقدار. لذا جاء التحدي مرة بالقرآن،ومرة بعشر سور،ومرة بسورة من مثله.

ومما يرجحه أيضا قوله تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:٦) فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه – لأي جزء من كلام الله – ، ولا تكون حجة إلا وهي معجزة .

فالمقدار المعجز من القرآن هو كل ما أدى لفكرة كاملة ، سواء بمقدار القرآن كاملا ، أو عشر سور ، أو سورة واحدة ، وربما نقص عن مقدار سورة - وأقصر سورة هي سورة الكوثر - كآية ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (البقرة: من الآية ١٧٩) ، وربما زاد عنها كثيرا ، أو كان آية واحدة كآية الدين [(٢)] .

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ١٧ .

(٢) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٥٤، البرهان للزركشي ٢/ ١٠٨، الإتقان للسيوطي ٤/ ١٧، فكرة إعجاز القرآن للحمصي ٢٣ ، دراسات في علوم القرآن للرومي ٢٧٠.

المبحث السابع
الصرفة وآيات التحدي

إن مما يتصل بآيات التحدي الحديث عن الصرفة ؛ والصرفة لغة :على وزن فعلة ـ بفتح الفاء واللام وسكون العين ـ:رد الشيء عن وجهه ، يقال: صرفه يصرفه ، صرفا ، فانصرف ،وصارف نفسه عن الشيء :صرفها عنه. (١)

ويراد بها اصطلاحا : صرف العرب عن معارضة القرآن ، وسلب عقولهم عنها، وكانت في مقدورهم ، لكن عاقهم أمر خارجي ؛ فصار معجزة كسائر المعجزات ، وأول من جهر بالصرفة، ودعا إليها: إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي(ت٢٢٠هـ)(٢).

والقول بالصرفة باطل بلا شك ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها ، أو بسلب القدرة الجازمة ،وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضى التام ،أوسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما ". (٣)

ولن أثبت بطلانه في هذا المبحث ؛ فإن كتب إعجاز القرآن ، بل وكتب علوم القرآن غالبا ما تتطرق لهذا القول ، وتفنده .

إلا أنني أشير هنا إلى أن العلماء يستشهدون بآيات التحدي على إنكار الصرفة، ووجه إنكاره أن الله تحدى بالقرآن نفسه ـ لمزايا وخصائص استقرت فيه تقصر طاقة البشر وقدرتهم عن مضاهاتها ـ وليس بأمر خارج عنه ، وهو

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٧/ ٣٢٨ (مادة صرف) .

(٢) انظر: انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٩٣، الإتقان في علوم القرآن ٤/ ٤ .

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٧٩.

الصرفة. وقد تحدى الله بالقرآن أن يأتوا بمثله ، واستثار حميتهم ، وكرر التحدي والتقريع به ، ودعا إلى الاستعانة بكل من يمكن الاستعانة به ؛ للإتيان بمثله ، ولو كانوا مصروفين لما كان في هذا التحدي فائدة .

وممن أبطل القول بالصرفة بآيات التحدي الباقلاني رحمه الله ، حيث قال : " ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة : أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا ، وإنما يكون المنع معجزا ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه " (١).

وممن أبطل القول بالصرفة بآيات التحدي أيضا الخطابي رحمه الله ، حيث قال بعد ذكره لآية الإسراء: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ : " وهذه الآية الكريمة تثبت أن القوم قد أرخي لهم العنان ، ووسع عليهم في المعارضة ، ومنحوا القدرة على التعاون فيما بينهم ، فشتان بينهم وبين من سلبوا القدرة على الحركة في حال صحتهم وسلامتهم " (٢). وغيرهم من العلماء ، ولعل فيما ذكرت كفاية. وبالنقل عن هذين الإمامين ـ وهما من أشهر من ألف في إعجاز القرآن ـ يتبين أن آيات التحدي دالة على بطلان القول بالصرفة ، وقد أبطل بها غيرهم من العلماء، والله أعلم .

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص ٧٧.

(٢) انظر : رسالة "بيان إعجاز القرآن" للخطابي ص ٢٣ .

المبحث الثامن
موقف العرب أمام آيات التحدي

لقد بعث الله رسوله محمدا ﷺ في وقت بلغت فيه العرب أرفع مستوى عرفته الإنسانية في الفصاحة والبلاغة والبيان ، وارتقوا في ذلك فوق جميع الأمم مراتب ظاهرة . وقد أيد الله رسوله محمدا ﷺ بآيات دالة على صدقه ، وأنه مرسل من عند ربه ، وكان القرآن العظيم معجزته الخالدة ، وقد فاجأ القرآن العرب بما لا قبل لهم به ، فبهتهم وحيرهم (ومع أن القرآن قد ذكر آباءهم بغير ما يحبون ، وذكر أوثانهم بغير ما يؤمنون،لم يتحركوا لأن يقولوا مثله ، وأذعنوا لبلاغته وقوته ... وأن القرآن تحداهم أن يأتوا بمثله ؛ فما فعلوا ، بل ما تحرك العقلاء فيهم لأن يفعلوا ، حتى لا يسفوا في تفكيرهم ، وهم أمام رجل كبير في قومه وعقله ، ومعه آيات الله تعالى ، فدل هذا على عجز مطلق) [1] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وأشهر معجزات النبي القرآن ، لأنه ﷺتحدى به العرب ـ وهم أفصح الناس لسانا ، وأشدهم اقتدارا على الكلام ـ بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا مع شدة عداوتهم له ، وصدهم عنه " [2] .

وعجز العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ثابت ثبوتا لا مجال للريب فيه ، فقد تواترت الأخبار واتفقت عليه الأمصار .

ومما يدل على عجزهم نكوصهم عن معارضته مع استمرار التحدي لهم مدة طويلة ، ولو أنهم كانوا قادرين على المعارضة لما عدلوا عنها وخاضوا الحروب ضد النبي ﷺ بديلا عنها ، وأن محاولة مسيلمة الكذاب على المعارضة

---

(١) انظر : المعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة ص ٧٢.

(٢) انظر : فتح الباري ، كتاب المناقب باب ٢٢ .

تبين مقدار إدراك العرب لعجزهم ، إذ لم يحاولوا المجاراة حتى لا يسفوا، ويكونوا أضحوكة بين الناس ،وموضع سخرية يسخرون بعقولهم .

يقول القاضي عياض رحمه الله : "لم يزل ﷺ يقرعهم أشد التقريع ، ويوبخهم غاية التوبيخ ، ويسفه أحلامهم ، ويحط أعلامهم ، ويشتت نظامهم ، ويذم آلهتهم وإياهم ، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته ، محجمون عن مماثلته ، يخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب ، والاغترار والافتراء ، وقولهم: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ (المدثر: ٢٤) ، و ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (القمر:٢)، و﴿ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ (الفرقان:٤) ، و﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (في سور منها:الأنعام:٢٥)، والمباهتة والرضا بالدنيئة،كقولهم: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ (البقرة: ٨٨)، و﴿ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ ﴾﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ (فصلت: ٥) ،و﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ (فصلت: ٢٦) ، والإدعاء ـ مع العجز ـ بقولهم:﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ (الأنفال:٣١) ،وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ (البقرة:٢٤) . فما فعلوا وما قدروا .

ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة الكذاب ، كشف عواره لجميعهم ، وسلبهم ـ والله ـ ما ألفوه من فصيح كلامهم ، وإلا فلم يخف على أهل الخبرة منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ، ولا جنس بلاغتهم ، بل ولوا عنه مدبرين ، وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون "[١] .

ومن سياق الأخبار المتواترة يتضح أن عجزهم اقترن بأمور :

١ـ إعجابهم بعلوه أن يصل إليه أحد من البشر . فهذا الوليد بن المغيرة يقول عن القرآن ـ مع كفره وعناده وشدة عداوته ـ : والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني ، أعرف رجزها وقصيدها ، والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من

(١) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٢١٩ .

ذلك ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، ما يقول هذا بشر .[1]

وقد قال ذلك الوليد بن المغيرة في مجمعهم فما أنكروا عليه ذلك ولكنهم أنكروا الإيمان به .

٢ـ أنهم ومع شركهم واستكبارهم ينجذبون إليه ويريدون أن يسمعوه . فروى ابن إسحاق قال حدثني الزهري ، قال : حدثت أن أبا جهل ، وأبا سفيان ، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل منهم مجلسا ليستمع منه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا .فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ ، فقال : يا أبا ثعلبة ، والله ! لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها . فقال الأخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ ، فقال : ماذا سمعت ؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره(٢٢/ ٤٢٩ سورة المدثر) وغيره ، وكان هذا سبب نزول آيات من سور المدثر .

وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله ! لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه . فقام عنه الأخنس بن شريق [1].

٣ـ أن القرآن كان سببا في دخول بعضهم الإيمان حين عرفوا إعجازه ؛ فقد سجل لنا التاريخ عددا من الصحابة الذين كانوا على جاهلية فلامس القرآن شغاف قلوبهم ، وملك أفئدتهم وعقولهم فعرفوا أنه الحق وآمنوا به ، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر ﷺ حديثا طويلا عن إسلامه وفيه : أن أنيسا أخا أبي ذر ذهب إلى مكة ثم عاد فقال لأبي ذر : (لقيت رجلا بمكة على دينك . يزعم أن الله أرسله . قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر . وكان أنيس أحد الشعراء . قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة . فما هو بقولهم . ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر [2]. فما يلتئم على لسان أحد بعدي ، أنه شعر . والله ! إنه لصادق . وإنهم لكاذبون . قال : قلت : فاكفنى حتى أذهب فأنظر . وآمن ...) [3].

وسمعه جبير بن مطعم فتأثر به فآمن ، أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن محمد بن جبير عن أبيه قال سمعت النبى ﷺ يقرأ في المغرب بالطور وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) [4] .

---

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق، فقرة ٢٣٢، ص١٦٩، تحقيق محمد حميدالله، مطبعة محمد الخامس، المغرب، سنة ١٣٩٦. وانظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣١٥، تحقيق السقا وآخرون .

(٢) أقراء الشعر : طرقه وبحوره .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي ذر رضي الله عنه ح ٢٤٧٣ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازى باب ٩ ح ٣١٨١ .

والطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه شاعر يفرق بين الكلام الحسن والكلام الرديء، سمع القرآن فآمن به ، وغيرهم كثير [١] .

فعجز العرب الكافرون الفصحاء عن معارضة القرآن ، ولم يتمكنوا من الإتيان بما طلبه الله منهم حينما تحداهم ، وإذا ثبت عجز العرب فهو عجز لغيرهم إذ هم أهل الفصاحة والبيان فغيرهم أحرى وأولى ، لذا تتابعت القرون وظل الإعجاز القرآني راسخا كالطود الشامخ تذل أمامه الأعناق لا تتفكر في أن تدانيه فضلا عن أن تساميه ، لأنها أشد عجزا وأقل طمعا في هذا المطلب العزيز ، وسيظل هذا الأمر إلى يوم الدين [٢].

(١) انظر : المعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة ص ٧٦ .

(٢) انظر : النبأ العظيم ، د. محمد عبدالله دراز ص ٨٣ وما بعدها ، فقد استعرض عجز العرب الأول أثناء نزول القرآن ومن بعدهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن .

المبحث التاسع
معارضة القرآن

وبعد أن عرفت ـ أيها القارئ الكريم ـ من المبحث السابق عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم ، حين تحداهم الله في ذلك ، رأيت أن أسوق لك أن التأريخ قد ذكر عن أناس لهم بعض المحاولات لمعارضة القرآن " فجاءوا في معارضة القرآن بكلام لا يشبه القرآن ، ولا يشبه كلام أنفسهم ، بل نزلوا به إلى ضرب من السخف والتفاهة باد عواره ، باق عاره وشناره : فمنهم عاقل استحيا أن يتم تجربته ، فحطم قلمه ومزق صحيفته ، ومنهم ماكر وجد الناس في زمنه أعقل من أن تروج فيهم سخافاته ، فطوى صحفه وأخفاها إلى حين ، ومنهم طائش برز بها على الناس . فكان سخرية للساخرين ومثلا للآخرين.فمن حدثته نفسه أن يعيد هذه التجربة مرة أخرى فلينظر في تلك العبر ، وليأخذ بأحسنها.ومن لم يستحي فليصنع ما شاء " [١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" وقد انتدب غير واحد لمعارضته ، لكن جاء بكلام فضح به نفسه ، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله ، مثل قرآن مسيلمة الكذاب..." [٢].

وهذه المحاولات لمعارضة القرآن لم أكن أود أن أسود بها هذا البحث ، لولا أن ذكرها يبين مقدار إدراك المشركين ، إذ لم يحاولوا المجاراة ، حتى لا يسفوا ويكونوا أضحوكة بين العرب ، وموضع سخرية يسخرون بعقولهم . كما أن ذكرها يبين مدى قدرة البشر على المعارضة ، إذ إن (ما أتوا به باسم المعارضة ، لا يخرج عن أن يكون محاولات مضحكة مخجلة : أخجلتهم أمام الجماهير ، وأضحكت الجماهير منهم ، فباءوا بغضب من الله ، وسخط من الناس ، وكان

---

(١) النبأ العظيم ، د. محمد عبدالله دراز ص ٨١.

(٢) انظر :الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ٤/ ٨١ .

مصرعهم هذا كسبا جديدا للحق ، وبرهانا ماديا على أن القرآن كلام الله القادر وحده ، لا يستطيع معارضته إنس ولا جان ، ومن ارتاب فأمامه الميدان) [1] .

فيذكر التاريخ عن مسيلمة الكذاب قوله معارضا القرآن : " يا ضفدع بنت ضفدعين . نقي ما تنقين.نصفك في الماء ونصفك في الطين. لا الماء تكدرين. ولا الشارب تمنعين " .

وقوله : " والليل الدامس . والذئب الهامس . ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس " .

وقوله : " الفيل . ما الفيل . وما أدراك ما الفيل . له ذنب وبيل . وخرطوم طويل " [2] .

ونظرا لاحترامي لذوقك الرفيع - أيها القارئ الكريم - فإني أكتفي بما ذكرت . (وأنت خبير بأن مثل ذلك الإسفاف ليس من المعارضة في قليل ولا كثير ، وأين محاكاة الببغاء من فصاحة الإنسان ، وأين هذه الكلمات السوقية الركيكة من ألفاظ القرآن الرفيعة ، ومعانيه العالية ؟ وهل المعارضة إلا الإتيان بمثل الأصل في لغته ، وأسلوبه ومعانيه أو بأرقى منه في ذلك ؟) [3] .

وإن كان بعض المحققين المتأخرين [4] قد شكك في ثبوت معارضة مسيلمة وغيره من العرب للقرآن بحجة تقدم هؤلاء في الفصاحة والبيان ومعرفتهم بعجزهم البالغ أمامه . وقالوا : إن ما روي لم يصدر منهم وإنما أوردها الإخباريون من المسلمين ليسخروا بهؤلاء ، ويستهزئوا بهم .

قلت : ولا أرى أنني في حاجة ماسة لمناقشة هذا القول وإبطاله إلا أنني أقول : إن من ادعى النبوة لم يستغرب عليه القول من مثل هذا ، وسلك كل سبيل - ولو كان مخالفا لطبيعته وسجيته - من أجل أن يثبت ما ادعاه .

---

(١) انظر : مناهل العرفان ٢/ ٣٥٧ .

(٢) انظر :الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ٤/ ٧٦-٧٧.

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) وممن قال بذلك: د.صلاح الخالدي في كتابه إعجاز القرآن البياني ص ٧٧ .

الخاتمـــة

في خاتمة هذا البحث أسطر ملخصا له ، وأهم نتائجه :

١ـ جمعت فيه جميع آيات التحدي ، والتي تحدى الله بها الإتيان بمثل هذا القرآن ، أو بعضه ، وقد ورد التحدي بالقرآن الكريم في خمس سور منه : في سورة البقرة ، وفي سورة يونس ، وفي سورة هود ، وفي سورة الإسراء ، وفي سورة الطور .

٢ـ تم معرفة أقوال العلماء في المتحدى بهم في تلك الآيات ، وأن الراجح أن جميع الثقلين متحدون بالإتيان بمثل هذا القرآن إلى قيام الساعة .

٣ـ أن آيات التحدي جاءت بعد أن طعن المشركون في القرآن وشككوا فيه ، كما جاءت لإلزامهم الحجة وقطع المعذرة . وإلا فالقرآن خارج عن مقدور البشر ، لا يمكن أن يأتوا بمثله .

٤ـ ذكرت فيه أقوال العلماء في مراحل آيات التحدي وترتيب آياتها ، وأن الراجح أن التحدي لم يكن مرحليا متدرجا .

٥ـ بينت فيه أقوال العلماء في القدر المعجز من القرآن ، وأن الراجح أن القدر المعجز متعلق بقليل القرآن وكثيره ، دون تحديد للعدد .

٦ـ بينت فيه وجه استشهاد العلماء بآيات التحدي على إبطال القول بالصرفة .

٧ـ ذكرت فيه عجز العرب عن معارضة القرآن مع فصاحتهم وبلاغتهم ، بل وإعجابهم بفصاحته وبيانه ، وانجذابهم له ، وتأثر كثير منهم به ، مما يدل على أن القرآن من عند الله .

٨ـ ذكرت فيه بعض المحاولات لمعارضة القرآن الكريم . والتي دلت على إعجاز القرآن ، إذ إن تلك المحاولات أصبحت للسخرية والتندر بقائليها.

٩. أن الله تحدى بالقرآن الكريم جميع الثقلين أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، فما فعلوا ولن يفعلوا ، وقد تحدى الله المشركين ، وهم أهل الفصاحة والبيان، وعلى شدة كراهيتهم لمحمد ﷺ ولما جاء به، فما استطاعوا ذلك ، فدل عجزهم على أن القرآن من عند الله .

هذه أهم نتائج البحث ، وقد بذلت فيه ما استطعت من جهد ووقت، إلا إنني كلي أمل بأن يلاقي البحث قارئا كريما ، يقبل صوابه ، ويصوب خطأه ، ويعفو عن زلله .

والله أسأل أن يكون ما كتبت خالصا لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا لهداه ، وأن يجعل عملنا في رضاه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين .

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠٥هـ .

٢. إعجاز القرآن ، للباقلاني ،تحقيق السيد صقر ، دار المعارف بمصر .

٣. إعجاز القرآن الكريم،فضل حسن عباس،دارالفرقان،ط ١٤٢٧،٦.

٤. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ،د.صلاح الخالدي ، دار عمار ، الأردن ، ط الأولى١٤٢١ .

٥. البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار إحياء التراث العربي.

٦. البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت ، ط الثانية ، ١٣٩١م .

٧. تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق السيد صقر ، المكتبة العلمية، بيروت ، ١٤٠١هـ .

٨. التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر.

٩. تفسير الطبري = جامع البيان

١٠. تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير الدمشقي ، تقديم يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٧ .

١١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق ، ط الأولى ١٤١١.

١٢. تقييدات في إعجاز القرآن ، د.محمد الشظيفي ، دار ابن عفان ، السعودية الخبر ، ط الأولى ١٤١٨.

١٣. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني والخطابي والجرجاني .

١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن،لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ،تحقيق: د.عبدالله التركي،هجر للطباعة والنشر،ط الأولى ،١٤٢٢.

١٥. الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، دار الكتب المصرية ، ط الثانية، ١٣٧٢هـ .

١٦. جمال القراء وكمال الإقراء ، لعلم الدين السخاوي ، تحقيق علي البواب ، مطبعة المدني ، ط الأولى .
١٧. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية،تحقيق مجدي سالم،توزيع مكتبة البلد الأمين بجده،ط الأولى ١٤١٤هـ .
١٨. دراسات في علوم القرآن الكريم ، د.فهد الرومي ،مكتبة التوبة في الرياض ، الطبعة الثامنة ،١٤٢٠ .
١٩. روح المعاني في تفسير القرآن ، لمحمود الألوسي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٢٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض اليحصبي ، دار التراث ، القاهرة .
٢١. صحيح الإمام البخاري ، مطبوع مع فتح الباري ترقيم عبد الباقي.
٢٢. صحيح الإمام مسلم ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .
٢٣. علوم القرآن بين البرهان والإتقان ، د.حازم سعيد ،دار الزمان ، المدينة المنورة ، ١٤٢٠ .
٢٤. غرائب التفسير ، للكرماني ، دار القبلة ، ط الأولى ١٤٠٨هـ .
٢٥. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ،دار المعرفة ، بيروت .
٢٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم الظاهري ، تحقيق د.عميرة ، جدة ، ١٤٠٢ .
٢٧. فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية .
٢٨. القرآن يتحدى ، أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط الأولى ١٣٩٧.
٢٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، مؤسسة المعارف،بيروت ، ١٤٠٦هـ .
٣٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي ، تحقيق الأنصاري وزملاؤه ، ط القطرية .
٣١. معالم التنزيل ، للبغوي ، تحقيق النمر وزميليه ، دار طيبة ، الرياض، ط الأولى ١٤٠٩.
٣٢. المعجزة الكبرى ، لمحمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .

٣٣. مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط الثالثة .
٣٤. مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني ، دار الكتب العلمية،بيروت ، ط الأولى ١٤٠٩هـ .
٣٥. النبأ العظيم ، محمد عبدالله دراز ، دار القلم .

البحر في القرآن الكريم

آيات ودلالات

د . عبدالله بن عبدالرحمن الرومي

- عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود .
- حصل على درجة الماجستير من جامعة الملك سعود بأطروحته (موارد السيوطي في الإتقان من الدراسات القرآنية) .
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الملك سعود بأطروحته (دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني).

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد عني المسلمون بالقرآن الكريم عناية فائقة ، ليقينهم بأنه مصدر عزهم وسموهم ، عناية كانت وما تزال محل فخر واعتزاز على الأمم كلها ، ولقد اتخذت تلك العناية اتجاهات متغايرة ومتعددة : فمنهم من اعتنى بحفظه ، ومنهم من اعتنى بضبط حروفه ، ومنهم من اعتنى بمتعلقات الأداء منه ، أو بيان ألفاظه الغريبة أو أسباب النزول أو ناسخه ومنسوخه، وغير ذلك من العلوم ، والتي منها : التفسير ، بأنواعه واتجاهاته .

والأصل أن معنى القرآن مفهوم ، ويتبادر إلى الذهن المراد منه ، وليس معنى هذا أن المسلم يكون مفسراً للقرآن ، فهناك من الدلالات والمعاني ما يختص بعلمها العلماء .

ولوضوح معنى القرآن نجد من أسلم بمجرد سماعه من دون تفسير لآياته ، ومن أجل هذا حاولت في بحثي أن لا آتي بالواضحات ، إلا إذا كان بيان الواضحات هو الطريق لبيان غيرها مما يحتاج إلى بيان ، واللسان العربي يتفاوت مِن جيل إلى جيل ، وما كُل من تكلم العربية استطاع معرفةَ مقاصد الكتاب .

والتفسير ليس مقصوداً لذاته ـ كالجهاد ليس مقصودا لذاته ـ بل لما يستخرج من خلاله من الجمال والكمال والإعجاز والدرر والبديع ، ومن هنا رأيت ما ظهر من الدلالات الربانية من الآيات القرآنية ، من خلال كلام العلماء والمفسرين لآيات البحر في القرآن الكريم ، فعمدت إلى هذا الموضوع : (البحر في القرآن الكريم .... آيات ودلالات) والذي لم أرى من كتب فيه استقلالا كتابة علمية .

وتتفاوت آيات البحر في القرآن الكريم فيما نريد إبرازه من المعاني ، وقد وردت آيات ، وظهرت دلالات كثيرة ، من خلال البحر الذي جاء ذكره في القرآن الكريم ، دلالات في الدين ، ودلالات في الدنيا ، منها ما هو حاصل في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ، كموسى عليه السلام ومن معه ، ومنها ما هو حاصل للأمم كأمة محمد ﷺ .

وكان ورود البحر في القرآن الكريم في سياقات متعددة ، متفقة تارة في دلالاتها ومختلفة أخرى ، فتأتي من خلال البحر في القرآن الدلالة على وجود الصانع القادر، وعلى وحدانية الله تعالى لمن كان له عقل وتمييز ، وعلى صدق الأنبياء ، وثبت من طريق البحر معجزة ، وذلك حين انشقاقه .

وأغرق الله به المكذبين ، وجاء كيفية إغراقهم في مواضع ، وقد جاء البحر في القرآن موقع الحجة من الدعوى ، وذلك أن الله تعالى أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره وهي قضية من شأنها أن تُتلقى بالإنكار من كثير من الناس ، فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع ، فجاء بدلائل واضحة لا يسع الناظر إلاّ التسليم إليها كتسخير البحر للركوب الذي هو من أعظم آيات الله كما بينه في مواضع من كتابه .

وقد تأملت ما وجدته من كلام العلماء و المفسرين ، فانتقيت منه ورتبته ونسقته وخلصت إلى نتائج .

واشتمل هذا البحث على الخطة التالية : مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وفهارس .

المقدمة : وفيها أسباب اختيار الموضوع ، والدراسات السابقة ، واصطلاحات البحث ، وأهداف البحث ، وأسئلة البحث .

التمهيد وفيه عدد الآيات وتصنيفها .

الفصل الأول : تعريف البحر وبيان المرادفات وأوجه الاستعمال .

الفصل الثاني : دلالة آيات البحر في القرآن على وحدانية الله تعالى .

الفصل الثالث : دلالة آيات البحر في القرآن على نعم الله تعالى على عباده .

الفصل الرابع : دلالة آيات البحر في القرآن على صدق النبوة .

الفصل الخامس : دلالة آيات البحر في القرآن على بعض المعاني المتفرقة .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .

الفهارس اللازمة .

أسباب اختيار الموضوع :

أولا: جدة الموضوع وطرافته ، وعدم بحثه استقلالا ، كدراسة علمية ، على حسب علمي بعد البحث والسؤال .

ثانيا : أهمية الموضوع ، وتظهر أهميته في إبرازه دلالات لا توجد في غيره ، مثل دلالات يبس البحر لموسى عليه السلام ، على الإعجاز .

ثالثا : كون الموضوع يسلط الضوء على المساحة الأكبر في الأرض .

الدراسات السابقة :

وجدت من الدراسات السابقة لهذا الموضوع كتاب : (من آيات الله في البحار)، تأليف: ماهر أحمد صوفي، ط دار المعارف ، سوريا ، حمص ، ١٤١٦هـ. وهو يتحدث مفصلا عن آيات الله في البحار وتفسيرها وفق النظريات العلمية الحديثة ، فهو يفسر بما يسمى اليوم بالتفسير العلمي الحديث ، وهذا لا يلتقي مع موضوع بحثي والذي يتناول الباحث فيه آيات البحر في القرآن واستنباط ما تدل عليه من الفوائد والهدايات والدلالات دراسة موضوعية . [١]

---

(١) من آيات الله في البحار ص١٤ ، تأليف : ماهر أحمد صوفي ، ط دار المعارف ، سوريا ، حمص، ١٤١٦هـ .

وكذلك وجدت بعض المقالات المتفرقة ، والتي لا تستوعب الموضوع إنما هي إشارات ناقصة وغير دقيقة ، مثل :

ـ البحر في منظور القرآن الكريم ، لمحمد وليد كامل ، مجلة الخفجي ، مجلة شهرية، العدد السابع ، جمادى الأولى ، ١٤٢٣ هـ ص١٢ ـ ١٨ .

ـ البحر والبحرين في القرآن الكريم ،لربحى مصطفى عليان ، مجلة الأمن والحياة مجلة شهرية ، السنة ٢١ العدد ٢٣٩ ، ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ ، ص٥٦ ـ ٥٧ .

أهداف البحث :

ـ معرفة عدد ورود مفردة (البحر) في القرآن ، ومعرفة ألفاضها : إفرادا وتثنية وجمعا .

ـ تصنيف آيات البحر في القرآن من جهة المعنى .

ـ الكشف على الدلالات التي برزت من حديث القرآن عن البحر .

أسئلة البحث :

ـ كم مرة وردت مفردة (البحر) في القرآن ؟ وما عدد الألفاظ التي ورد بها إفرادا وتثنية وجمعا ؟

ـ ما تصنيف آيات البحر في القرآن من جهة المعنى ؟

ـ ما هي الدلالات التي برزت من حديث القرآن عن البحر ؟

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، ويزيدنا علما ، وما يقع من خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان ، وأستغفر الله ، وما حصل من صواب فمن الله وحده ، فله الحمد والشكر .

التمهيد

وفيه : عدد آيات البحر وتصنيفها

إذا تتبعنا مفردة " بحر " في القرآن الكريم ، وجدناها ذكرت في القرآن إحدى وأربعين مرة على اختلاف ألفاظها : إفرادا ، وتثنية ، وجمعاً ، وهي كما يلي :

وردت بلفظ الإفراد : " البحر " في اثنين وثلاثين موضعاً ، في عشرين سورة .

ووردت بلفظ الإفراد :" بحر " في موضع واحد في سورة (النور) .

ووردت بلفظ التثنية في خمسة مواضع ، في خمسة سور .

ووردت بلفظ الجمع في ثلاثة مواضع ، في ثلاث سور .

وإذا تتبعنا معاني ودلالات آيات البحر في القرآن ، نجد أنها لا تخرج عموماً عن أربعة معاني في الجملة ، وهي كما يلي :

الأول : الدلالة على وحدانية الله تعالى .

الثاني : الدلالة على نعم الله تعالى .

الثالث : الدلالة على صدق الأنبياء .

الرابع : الدلالة على بعض المعاني المتفرقة .

الفصل الأول

تعريف البحر وبيان المرادفات وأوجه الاستعمال

البحر : معروف ، وأما أصل البحر : فقد قال الراغب هو : " كل مكان واسع جامع للماء الكثير ، هذا هو الأصل " [١].

ويكون مالحاً وهو الغالب ، وقد يكون عذباً ، ومن مرادفات البحر في اللغة : اليَمّ ، وكذلك : النهر العظيم ، يسمى : بحراً .

قال ابن منظور : " البحر : الماء الكثير ، ملحاً كان أو عذباً ، وهو خلاف البر ، سمي بذلك لعمقه واتساعه ، وقد غلب على الملح حتى قلّ في العذب " [٢] وقال : " وقد أجمع أهل اللغة أن اليم هو البحر ". وعن ابن سيده: " كل نهر عظيم بحر " وقال الزجاج : " كل نهر لا ينقطع ماؤه ، فهو بحر" وقال الأزهري : " كل نهر لا ينقطع ماؤه مثل دجلة والنيل وما أشبههما من الأنهار العذبة الكبار ، فهو بحر "[٣].

وقال الرازي : " والجمع : أبحر و بحار و بحور ، وكل نهر عظيم : بحر ،.. وماء بحر : أي ملح " . [٤]

ما تقدم هو المعنى اللغوي للبحر ومرادفاته من اليم والنهر ، أما في القرآن فمن المرادف للبحر في القرآن كذلك : اليَمّ ، وقد ورد (اليَم) في القرآن ثمان مرات في سبع آيات في أربع سور .

---

(١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ص ٣٧ ، دار المعرفة – لبنان ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : بحر ، ج ٤ ص ٤١ ، دار النشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى .

(٣) لسان العرب مادة : بحر ج ٤ ص ٤٢ ، مصدر سابق .

(٤) مختار الصحاح ، الرازي ، مادة : ب ح ر ، ج ١ ص ١٧ ، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥ – ١٩٩٥ ، تحقيق : محمود خاطر .

وأطلق اليم في القرآن على : البحر ، وهو الماء المالح الذي أغرق الله تعالى فيه فرعون وجنوده ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٦ : قال الطبري " يقول تعالى ذكره فلما نكثوا عهودهم انتقمنا منهم ، يقول انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم وذلك عذابه فأغرقناهم في اليم وهو البحر" [١]

وكذلك أطلق اليم في القرآن على : النهر ، وهو الماء العذب ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ طه: ٣٩ ، قال ابن جزي : " واليم : البحر ، والمراد به هنا النيل "[٢] وقال القرطبي : " (فاقذفيه في اليم) أي اطرحيه في البحر : نهر النيل " [٣] .

ومن المرادف للبحر في القرآن : النهر ، وقد ورد النهر في القرآن في أربع وخمسين مرة في إحدى وخمسين آية في اثنتين وثلاثين سورة .

وكان إطلاق البحر في القرآن على النهر في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الفرقان: ٥٣ ، قال الزمخشري : " سمى الماءين الكثيرين الواسعين : بحرين ، والفرات : البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة والأجاج : نقيضه "[٤] .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، ج ٩ ص ٤٢ ، دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ، الكلبي ج ٣ ص ١٢ ، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ، الطبعة : الرابعة

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ١١ ص ١٩٥ ، دار النشر : دار الشعب – القاهرة .

(٤) الكشاف ، الزمخشري ج ٣ ص ٢٩٢ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .

فيكون من مرادفات البحر في القرآن : اليم ، والذي يطلق على: النهر العذب وهو النيل ، وقد أطلق البحر في القرآن وكان المراد : النهر البليغ العذوبة .

ويرى بعض المفسرين أن البحر في القرآن جاء على أربعة أوجه :

أحدها : البحر المعروف في الأرض ، الثاني : الماء العذب ، الثالث : بحر تحت العرش ، الرابع : العامر من البلاد .

قال ابن الجوزي : " وذكر بعض المفسرين أن البحر في القرآن على أربعة أوجه : أحدها : البحر المعروف في الأرض ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الكهف: ٦٠ وقوله تعالى: ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الدخان: ٢٤.

والثاني : (البحر) الماء العذب والمالح ، ومنه قوله تعالى في سورة الرحمن: ١٩ : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾.

والثالث : بحر تحت العرش ، ومنه قوله تعالى في سورة الطور: ٦ ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾.

والرابع : العامر من البلاد ، ومنه قوله تعالى في سورة الروم: ٤١ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

وحاصل ما تقدم أن البحر في اللغة وفي استعمال القرآن :

يطلق على المالح غالباً ، ويطلق على العذب وهو النهر ، ومن مرادفات البحر : اليم ، والذي يطلق على : النهر العذب .

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ابن الجوزي ١/ ١٩٨ ، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي .

الفصل الثاني

دلالة آيات البحر في القرآن على وحدانية الله تعالى

نجد أن القرآن الكريم ذكر أحوالاً للبحر فيها دلالة على وحدانية الله تعالى واستحقاقه العبادة ، ومن هذه الأحوال :

أولاً : حمل البحر السفنَ وسيرها فيه :

من أحوال البحر في القرآن الدالة على وحدانية الله تعالى أنه يحمل السفن وتسير فيه بما ينفع الناس ، من الكسب والتجارة وغير ذلك ، والإقرار بهذا الأمر المشاهَد للناس إقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية .

والآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة: ١٦٤ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يونس: ٢٢ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ لقمان: ٣١ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الشورى: ٣٢ ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الرحمن: ٢٤

والفلك هي : السفن ، قال السمرقندي : ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ يعني : السفن ، ويقال للسفينة الواحدة : الفلك ، ولجماعة السفن : الفلك ،

يعني : السفن التي تسير في البحر فتقبل مرة وتدبر مرة بريح واحدة فتسير في البحر ﴿ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ من الكسب والتجارة وغير ذلك "[١] .

وسبب تسمية السفينة فلكاً ، لأنها تدور بالماء بسهولة[٢] ، والسفينة : طائر مقلوب والماء في أسفلها نظير الهواء في أعلاها ، قال ابن العربي : " فالسفينة طائر مقلوب ، والماء في استفاله للسفينة نظير الهواء في اعتلائه " [٣].

ونرى الأمر العجب في جري السفن في البحر في القرآن فهي فتقبل مرة وتدبر مرة بريح واحدة ، قال قتادة : " ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة " [٤].

وقد كانت نسبة الجريان إلى : الفلك ، ولا شك أن الذي أجراها هو الله تعالى، أما الفلك فهي من الجمادات ونسبة الجريان إليها لظهوره فيها ، قال ابن حزم في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ : " ومثل هذا كثير جدا ، وبهذا جاءت اللغات في نسبة الأفعال الظاهرة في الجمادات إليها، لظهورها فيها فقط ، لا يختلف لغة في ذلك "[٥] .

إن الآية في الفلك التي يجب أن نتأملها هي تسخيرها من الله تعالى لنا ، ثم جريها على هذا الماء مثقلة بما تحمله من منافع الناس ، بريح واحد ة مقبلة

---

(١) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ج ١ ص ١٣٦ ، دار الفكر – بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي .

(٢) اللباب في علوم الكتاب ، عمر بن عادل ج ٣ ص ١٢٢ ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٥ ، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

(٤) تفسير البغوي ج ٣ ص ٦٤ ، دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري ج ٣ ص ٤٦ ، مكتبة الخانجي – القاهرة .

ومدبرة، وتسخير البحر لحمل الفلك من جانب إلى جانب آخر ، فينتقل ما عند أولائك إلى هؤلاء ، والعكس ، مع قوة سلطان الماء ، وهيجا ن البحر ، أن في ذلك لآية بينة على استحقاق صانع هذا للعبادة دون سواه ، قال السمعاني : " والآية في الفلك : تسخيره وجريها على وجه الماء ، وهي موفرة مثقلة لا ترسب تحت الماء بل تعلو على وجه الماء " (١).

ولا يحصل جريان الفلك على وجه البحر إلا بتسخير ثلاثة أشياء ، قال الرازي :

" **أحدها :** الرياح التي تجري على وفق المراد .

ثانيها : خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك .

ثالثها : خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه .

وهذه الأحوال الثلاثة لا يقدر عليها واحد من البشر ، فلا بد من موجد قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى "(٢) .

ولا شك أن الاطلاع على العجائب التي في البحر من دلائل توحيد الله تعالى، ولا يكون الاطلاع على عجائب البحر إلا بالفلك ولذلك خصها الله تعالى بالذكر ، قال الألوسي : " خص (الفلك) بالذكر مع أن مقتضى المقام حينئذ أن يقال : والعجائب التي في البحر لأنه سبب الإطلاع على أحواله وعجائبه فكان ذكره ذكرا لجميع أحواله وطريقا إلى العلم بوجوده " (٣).

---

(١) تفسير القرآن ، السمعاني ج ١ ص ١٦٣ ، دار الوطن – الرياض – السعودية – ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم .

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، الرازي ج ٢٧ ص ٢٢٥ ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي ج ٢ ص ٣١ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

إن إعلان العبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له ، قضية كبرى تحتاج إلى آية عظيمة ، لأن هذه الدعوى تفرض على من آمن بها أن تكون حياته ومماته لله وحده ، ولا يكون التصديق بمثل هذه الدعوى إلا بأدلة يؤمن على مثلها البشر ، ولذلك جاء في الحديث قول النبي ﷺ : " ما من الأنبياء نَبيّ إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وَحْيًا أَوحاه الله إلي فأَرجو أَن أَكون أَكثرهم تابعًا يوم القيامة " (١) ، فجاء تسخير البحر في القرآن للركوب من أعظم آيات الله تعالى حجة لدعوى التوحيد وإفراده بالعبادة سبحانه .

قال ابن عاشور : " موقع هاته الآية عقب سابقتها موقع الحجة من الدعوى ، ذلك أن الله تعالى أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره وهي قضية من شأنها أن تُتلقى بالإنكار من كثير من الناس فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع فجاء بهذه الدلائل الواضحة التي لا يسع الناظر إلاّ التسليم إليها " (٢) .

وقال الشنقيطي : " فتسخير البحر للركوب من أعظم آيات الله "(٣) .

ثم إننا نلحظ قضية عقدية في خلق أفعال العباد في تسيير الله تعالى الفلك في البحر ، فتسيير الفلك في البحر : من الله تعالى ، والسير : فعل العباد ، فقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ يونس: ٢٢ دليل على أن الحوادث كلها مخلوقة لله تعالى ، فأخبر تعالى بتسيير الفلك في البحر أنه خالق لسيرنا ؛ فالتسيير فعله والسير فعل العباد وهو أثر

---

(١) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، ج ٤ ص ١٩٠٥ ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا

(٢) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، ج ٢ ص ٧٦ ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م .

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي ج ٢ ص ٣٤٣ ، دار الفكر للطباعة والنشر. – بيروت. – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.

التسيير ، وفي هذا رد على القدرية الذين يقولون إن الخلق هم الخالقون لسيرهم ، وهذا رد منهم للقرآن .

قال ابن القيم : " فالتسيير فعله ، والسير فعل العباد وهو أثر التسيير "(١) .

إن في حمل البحر للسفن وسيرها فيه بريح طيبة ثم تحولها إلى ريح عاصف مثال لمكر الإنسان ، من دعاء الله وحده في الضراء دون السراء ، فإذا جرت الفلك بما يوافق المقصود يحصل للراكب الفرح والسرور ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا ﴾ يونس: ٢٢ ، ثم إذا جاءت الرياح العاصفة ، والأمواج العظيمة ، وعلامات الهلاك ، انقطع عن المخلوقين وتعلق بالله وحده ، ثم إذا نجاه الله تعالى رجع إلى العقائد الباطلة .

قال الرازي : " واعلم أن الإنسان إذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود ، حصل له الفرح التام والمسرة القوية ، ثم قد تظهر علامات الهلاك دفعة واحدة . فأولها : أن تجيئهم الرياح العاصفة الشديدة . وثانيها : أن تأتيهم الأمواج العظيمة من كل جانب . وثالثها : أن يغلب على ظنونهم أن الهلاك واقع ، وأن النجاة ليست متوقعة ، ولا شك أن الانتقال من تلك الأحوال الطيبة الموافقة إلى هذه الأحوال القاهرة الشديدة يوجب الخوف العظيم، والرعب الشديد ، وأيضاً مشاهدة هذه الأحوال والأهوال في البحر مختصة بإيجاب مزيد الرعب ، والخوف ثم إن الإنسان في هذه الحالة لا يطمع إلا في فضل الله ورحمته ، ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق ، ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعاً إلى الله تعالى ، ثم إذا نجاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة ،

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن القيم ، ج ١ ص ٥٨ ،دار الفكر – بيروت – ١٣٩٨ ، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي .

ونقله من هذه المضرة القوية إلى الخلاص والنجاة ، ففي الحال ينسى تلك النعمة ويرجع إلى ما ألفه واعتاده من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة " [(١)].

قال أبو حيان : " ولما كان الخوف في البحر أغلب على الإنسان منه في البر وقع المثال به لذلك المعنى الكلي به من التجاء العبد لربه تعالى حالة الشدة والإهمال لجانبه حالة الرخاء "[(٢)] .

إن حمل الناس بالفلك في البحر فيه امتنان من الله تعالى على الناس جميعاً المؤمن والكافر ، وفيه إبراز لنعم الله تعالى ، ولفت الناس إلى جريان الفلك وما فيه من المنافع من أجل أن يشكر المعرض ، ويستديم الشاكر ، قال أبو حيان : " خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين ، والمسيرون في البر والبحر مؤمنون وكفار ، والخطاب شامل ، فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر . ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع " [(٣)] .

ويأتي النص القرآني على أن جري السفن في البحر نعمة من الله تعالى على خلقه في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ لقمان: ٣١ قال الطبري : " السفن تجري في البحر نعمة من الله على خلقه .. إن في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل " [(٤)].

---

(١) التفسير الكبير ج ١٧ ص ٥٥ ، مصدر سابق .

(٢) تفسير البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي ، ج ٥ ص ١٤١ ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض .

(٣) تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ١٤٢ ، مصدر سابق .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ ص ٨٤ ، مصدر سابق .

وقد جاء في القرآن تشبيه السفن الجارية في البحر بالأعلام ، وأنها منشئات ، في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الشورى: ٣٢ وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الرحمن: ٢٤ قال الطبري : " والجواري : جمع جارية ، وهي السائرة في البحر.... وقوله : كالأعلام ، يعني : كالجبال ، واحدها علم "[١] .

فمن علامات توحيد الله تعالى : هذه السفن التي كأنها من عظمها جبال ، قال أبو حيان : " فيها من عظيم دلائل القدرة ، من جهة أن الماء جسم لطيف شفاف يغوص فيه الثقيل ، والسفن تشخص بالأجسام الثقيلة الكثيفة ، ومع ذلك جعل تعالى للماء قوة يحملها بها ويمنع من الغوص . ثم جعل الرياح سبباً لسيرها . فإذا أراد أن ترسو ، أسكن الريح ، فلا تبرح عن مكانها " [٢] .

وبين الله تعالى حال هذه السفن الجواري بأنها "المنشئات " : أي : الظاهرات السير اللاتي يقبلن ويدبرن ، والمرفوعات القلاع ، كما يذكر الطبري [٣] .

ثانياً : ظلمات البحر :

نجد من الآيات التي تحدثت عن هذه الحالة ما يلي :

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ٦٣

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ الأنعام: ٩٧

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢٥ ص ٣٣ ، مصدر سابق .

(٢) تفسير البحر المحيط ج ٧ ص ٤٩٧ ، مصدر سابق .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢٧ ص ١٣٣ ، مصدر سابق .

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ النور: ٤٠

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ النمل: ٦٣

الظلمات مفردها : ظُلْمَة ، وهي : عدم النور ، قال الراغب : " الظلمة : عدم النور ، وجمعها : ظلمات ، .. ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق ، كما يعبر بالنور عن أضدادها " [١].

والموج ، قال ابن عاشور : " والموج : اسم جمع مَوجة ، وهي : مقادير من مَاء البحر أو النهر تتصاعد على سطح الماء من اضطراب الماء بسبب شدة رياح ، أو تزايد مياه تنصبُّ فيه ، ويقال : مَاجَ البحر إذا اضطرب ماؤه " [٢].

قال الطبري في المراد بظلمة البحر : " وعنى بالظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة الخطأ والضلال وظلمة الماء " [٣].

وقد جاءت ظلمات البحر في القرآن مثلاً مضروباً على أعمال الكفار ، والبحر اللجي مثلاً لقلب الكافر ، قال الطبري : " وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار ، يقول تعالى ذكره : ومثل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة .. مثل ظلمات في بحر لجي ، ونسب البحر إلى اللجة وصفاً له بأنه عميق كثير الماء ، ولجة البحر : معظمه ، .. فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم ، والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر ، يقول : عمل بنية قلب قد غمره الجهل وتغشته الضلال والحيرة ، كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٣١٥ ، مصدر سابق .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٧٧ ، مصدر سابق .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ٢٨٦ ، مصدر سابق .

الظلمات ، يغشاه الجهل بالله بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله ، وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله ، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله ، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض " [1].

وما وجه المثل ؟ قال ابن الجوزي : " قال المفسرون : لما ضرب الله للمؤمن مثلا بالنور ضرب للكافر هذا المثل بالظلمات " [2].

وجاءت ظلمات البحر لبيان كمال رحمة الله تعالى بنجاة من أراد من خلقه منها، قال الرازي في تفسير هداية الله تعالى للناس من ظلمات البحر : " اعلم أن هذا نوع آخر من الدلائل الدالة على كمال القدرة الإلهية ، وكمال الرحمة والفضل والإحسان " [3].

والهداية : فيها وجهان : قال السدي : " أحدهما : يرشدكم من مسالك البحر ، الثاني : يخلصكم من أهوال البحر "[4] .

وكيف تكون الهداية من الله تعالى للناس في ظلمات البحر ؟ قال الزمخشري : " بالنجوم في السماء " [5] وقال ابن عاشور : " فالله الهادي للسير في تلك الظلمات، بأن خلق النجوم على نظام صالح للهداية في ذلك ، وبأن ركّب في الناس مدارك للمعرفة بإرصاد سيرها وصعودها وهبوطها ، وهداهم أيضاً

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٨ ص ١٥٠ ، مصدر سابق .

(٢) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ج ٦ ص ٥١ ، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤ ، الطبعة : الثالثة

(٣) التفسير الكبير ج ١٣ ص ١٨ ، مصدر سابق .

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي ج ٤ ص ٢٢٣ ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .

(٥) الكشاف ج ٣ ص ٣٨١ ، مصدر سابق .

بمهاب الرياح ، وخوّلهم معرفة اختلافها بإحساس جفافها ورطوبتها ، وحرارتها وبردها "[١].

وعند وقوع ظلمات البحر على الناس ، يرجعون إلى الله تعالى ويوحدونه ويخلصون له الدعاء ، فإذا نجاهم من شدائد الظلمات ، نقضوا عهدهم ، وبالغوا في الكفر ، قال الرازي : "والمقصود أن عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى ، وهذا الرجوع يحصل ظاهراً وباطناً ، لأن الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله تعالى ، وينقطع رجاؤه عن كل ما سوى الله تعالى .. فإن الإنسان بعد الفوز بالسلامة والنجاة .. يقدم على الشرك "[٢] .

فحال هؤلاء إقرار بالتوحيد حال الشدائد فقط ، وأما عند الإنجاء منه فيشركون ، قال البقاعي : " أحوالهم في إقرار توحيده وقت الشدائد والرجوع عن ذلك عند الإنجاء منها ، فكانوا كمن طلب من شخص شيئاً وأكد له الميثاق على الشكر ، فلما أحسن إليه بإعطائه سؤله نقض عهده وبالغ في الكفر ، وذلك عندهم في غاية من القبائح لا توصف " [٣].

ثالثاً : شمول علم الله تعالى على ما في البحر :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ٥٩ والسبب في تخصيص البحر بالذكر

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٠ ص ١٧ ، مصدر سابق .

(٢) التفسير الكبير ج ١٣ ص ١٨ ، مصدر سابق .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، ج ٢ ص ٦٥٠ ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي .

مع ما ذكره في هذه الآية ،لأنه من أعظم مخلوقات الله ، أو لكونه أكثر ما يشاهده الناس ويتطلعون لعلم ما فيه [1] ، وقال القرطبي : " خصهما (البر والبحر) بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات المجاورة للبشر "[2] .

ولا شك أن تعلق علم الله تعالى : بالمشاهدات للناس ، وكذلك بما غاب عنهم ، وقد جاء البحر في الآية المتقدمة لبيان علم الله تعالى بالمشاهدات إثر بيان تعلق علمه تعالى بالمغيبات ، وهذا فيه تنبيه على أن الكل في علم الله تعالى سواء ، قال الألوسي : " والمراد من هذه الجملة كما قال غير واحد ، بيان تعلق علمه تعالى بالمشاهدات إثر بيان تعلقه بالمغيبات ، تكملة له وتنبيها على أن الكل بالنسبة إلى علمه المحيط سواء "[3] .

فيصير علم الله تعالى لما في البحر مثالا محسوسا ، مقوياً ومكملاً للعظمة الحاصلة تحت قوله : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ كما يذكر الرازي[4]، وقال البيضاوي : " فهو عطف للأخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات ، على الإخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به " [5].

فيكون معنى الكلام كما يقول الطبري : " عند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه ، ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم لا يخفى عليه شيء لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم " [6].

(١) انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني ، ج ٢ ص ١٢٣ ، دار النشر : دار الفكر – بيروت

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٧ ص ٤ ، مصدر سابق .

(٣) روح المعاني ج ٧ ص ١٧١، مصدر سابق .

(٤) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٩ ، مصدر سابق .

(٥) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٤١٦ ، دار الفكر – بيروت .

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ٢١٣ ، مصدر سابق .

وأما لماذا قدم (اشتمال علم الله تعالى على البر) ، على (اشتمال علمه تعالى على البحر) قال الرازي : " لأن الإنسان قد شاهد أحوال البر ، وكثرة ما فيه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال ، وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات والمعادن . وأما البحر فإحاطة العقل بأحواله أقل إلا أن الحس يدل على أن عجائب البحار في الجملة أكثر وطولها وعرضها أعظم وما فيها من الحيوانات وأجناس المخلوقات أعجب "[١] .

ومناسبة ذكر علم الله تعالى على ما في البحر بعد ذكر علمه تعالى مفاتح الغيب ، قال الرازي : " ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ قضية عقلية محضة مجردة ، فالإنسان الذي يقوى عقله على الإحاطة بمعنى هذه القضية نادر جداً . والقرآن إنما أنزل لينتفع به جميع الخلق . فهاهنا طريق آخر ، وهو : أن من ذَكَرَ القضية العقلية المحضة المجردة ، فإذا أراد إيصالها إلى عقل كل أحد ذكر لها مثالاً من الأمور المحسوسة الداخلة تحت القضية العقلية الكلية ، ليصير ذلك المعقول بمعاونة هذا المثال المحسوس مفهوماً لكل أحد ، والأمر في هذه الآية ورد على هذا القانون ، لأنه قال أولاً : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ ثم أكد هذا المعقول الكلي المجرد بجزئي محسوس فقال : ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ ﴾ وذلك لأن أحد أقسام معلومات الله هو جميع دواب البر والبحر ، والحس والخيال قد وقف على عظمة أحوال البر والبحر ، فذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظمة ذلك المعقول "[٢].

رابعاً : الضُّرُّ والغَرَقُ في البحر :

جاء البحر في القرآن الكريم على أنه من مظان الضر والغرق من الله تعالى على من خالف أمره وأشرك مع الله تعالى أحداً من خلقه ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا

(١) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٩

(٢) التفسير الكبير ج ١٣ ص٩ ، مصدر سابق .

مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾الإسراء: ٦٧ – ٦٩ وأسباب الهلاك من الله تعالى على من خالف أمره كثيرة وليس الغرق في البحر وحده ، ففي جانب البر مثله وهو : الخسف ، قال الزمخشري : " ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف ؛ لأنه تغييب تحت التراب كما أنّ الغرق تغييب تحت الماء ، فالبرّ والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر ، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان " [١].

وقد عَجّلَ الله تعالى عقوبة الغرق في البحر على من اتبع أمر فرعون ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾ هود: ٩٦ – ٩٩ قال الطبري : " يقول الله تعالى ذكره : وأتبعهم الله في هذه ، يعني في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر : لعنته "[٢].

وبالمقابل أنجى الله تعالى من الغرق في البحر مَن آمن به ، مِن أتباع رسوله موسى عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الشعراء: ٦٥ – ٦٧ قال الطبري : " وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه ، من الغرق في

---

(١) الكشاف ج ٢ ص ٦٣٥ ، مصدر سابق .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٢ ص ١١٠ ، مصدر سابق .

البحر ، ومن مع موسى من بني إسرائيل أجمعين .. ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه " [١] .

إن تغريق الله تعالى في البحر للمكذبين : سنة الله تعالى في خلقه على من سلك هذا المسلك من تكذيب رسل الله تعالى ، قال الطبري في إغراق الله تعالى للمكذبين : " لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش ، على أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي ، وعظة لهم وعبرة أن ادكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك ، مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم " [٢] .

وقد أنعم الله تعالى على المصدقين رسل الله تعالى بالنجاة من الغرق كما في قصة موسى عليه السلام ، وفي ذلك دلالة على تنجية الله تعالى للمؤمنين من كل ما كانوا يخشونه ، ومما يخشونه : الغرق ، كما قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ طه: ٧٧ قال ابن جزي : " أي : لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه ، ولا تخشى الغرق في البحر "[٣] بل أمرهم الله تعالى أن لا يخافوا ، قال السعدي : " وأمرهم الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون ، ولا يخشوا من الغرق في البحر "[٤].

خامساً : الحاجز بين البحرين :

ذكرنا أن البحر في اللغة وفي استعمال القرآن : يطلق على المالح غالباً ، ويطلق على العذب وهو النهر .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٩ ص ٨٢ ، مصدر سابق .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٩ ص ٨٢ ، مصدر سابق .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٦ ، مصدر سابق .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ج ١ ص ٥١٠ ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، تحقيق : ابن عثيمين .

وقد جعل الله تعالى بين البحرين : المالح والعذب ، حاجزاً مانعاً من اختلاط أحدهما بالآخر ، فلا يفسد أحدهما الآخر ، ومن الآيات الدالة على ذلك ، قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الفرقان: ٥٣

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النمل: ٦١﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ الرحمن: ١٩ – ٢٠

فالحاجز بين البحرين : المالح والعذب ، من خصائص ربوبية الله تعالى[١] ، وهو من بديع الحكمة أن جعل الله تعالى هذا الحاجز المعنوي ، قال ابن عاشور : " وجعل الحاجز بين البحرين من بديع الحكمة ، وهو حاجز معنوي حاصل من دفع كلا الماءين : أحدهما الآخر عن الاختلاط به ، بسبب تفاوت الثقل النسبي لاختلاف الأجزاء المركب منها الماء الملح والماء العذب . فالحاحز حاجز من طبعهما وليس جسماً آخر فاصلاً بينهما "[٢] ، وقال الزمخشري : " أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقين ، لا فصل بين الماءين في مرأى العين ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿ لاَّ يَبْغِيَان ﴾ لا يتجاوزان حدّيهما ، ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة "[٣] .

أن هذا الحاجز بين البحرين لحكمة من الله تعالى ، فيه منافع للناس ، فالمالح : به يطيب الهواء ، ويتولد السمك والحوت ، والعذب : منه يشربون ، وتشرب أشجارهم ، قال السعدي : " ويحصل النفع بكل منهما . فالعذب : منه يشربون

---

(١) الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، حمد آل معمر ج ٧ ص ٤٦٤ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٠ ص ١٣ ، مصدر سابق .

(٣) الكشاف ج ٤ ص٤٤٥ ، مصدر سابق .

وتشرب أشجارهم وزروعهم وحروثهم ، والملح : به يطيب الهواء ويتولد السمك والحوت ، واللؤلؤ والمرجان " [١] .

فيتحصل أن الحاجز بين البحرين من دلائل ربوبية الله تعالى المستلزمة إفراده تعالى بالعبودية وحده ، وأن فيه منافع للناس .

سادساً :الفساد في البحر :

جاء في القرآن ما يدل على ظهور الفساد في البحر في قوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الروم: ٤١ قال ابن عباس في معنى الفساد في البحر : " هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا . قال النحاس : وهو أحسن ما قيل في الآية [٢] " فظهور الفساد فيه : هو بارتفاع البركات ، ونزول رزايا ، وحدوث فتن ، وتغلب عدو كافر[٣] ، وسبب ظهور هذا الفساد : قال ابن جزي : " وظهور الفساد في البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات ، وشبه ذلك ، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان "[٤]

سابعاً: امتلاء البحر دون أن يفيض :

جاء قسم الله تعالى بالبحر المسجور : الممتلئ ، وهو مع امتلائه لا يفيض ويجري ويغمر وجه الأرض ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾ الطور: ٦ ، وهذا الأغلب من معاني السّجْر ، قال الطبري : " وأولى الأقوال في ذلك عندي

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ج ١ ص ٨٣٠ ، مصدر سابق .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ١٤ ص ٤٠ ، مصدر سابق .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي ، ج ٤ ص ٣٤٠ ، دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٢٤ ، مصدر سابق .

بالصواب قول من قال : معناه : والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض ، وذلك أن الأغلب من معاني السجر : الإيقاد ، كما يقال : سجرت التنور ، بمعنى أوقدت ، أو الامتلاء .. فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر وكان البحر غير موقد اليوم ، وكان الله ـ تعالى ذكره ـ قد وصفه بأنه مسجور ، فبطل عنه إحدى الصفتين وهو الإيقاد ، صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم وهو الامتلاء ، لأنه كل وقت ممتلئ " [1].

ثامناً : التمثيل بالبحر :

ورد في القرآن ضرب المثل بالبحر ، بأن لو كان مداداً لكلمات الله تعالى ، والمداد : ما يكتب به ، وهو : اسم ما يمد الشيء كالحبر للدواة ـ للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالات ، من وعده بالثواب والعقاب ، وذكره ما خلق وما هو خالق ، وعلم القرآن ، ومواعظه تعالى وعلمه وحكمته وعجائبه ، لنفد البحر ، وما نفدت كلمات الله تعالى ،[2] كما في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾ الكهف: ١٠٩

ولو أن شجر الأرض كلها بريت أقلاما ، والبحر لهذه الأقلام مدادا ، ومن بعده سبعة أبحر ، تكتب هذه الأقلام كلام الله تعالى بذلك المداد من البحار ، لتكسرت تلك الأقلام ولنفد ذلك المداد ولم تنفد كلمات الله وعلمه تعالى [3]، كما

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢٧ ص ٢٠ ، مصدر سابق .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٦ ص ٣٩ مصدر سابق ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الفكر – بيروت – ١٤٠١ ، ج ٣ ص ١٠٩ ، تفسير البيضاوي ج ٣ ص ٥٢٦ مصدر سابق .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ ص ٨٠ ، مصدر سابق .

في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ لقمان: ٢٧ .

وهل إذا نفذ البحر تنفذ بعده كلمات الله تعالى ؟ قال الزركشي : " ليس المراد أن كلمات الله تنفذ بعد نفاذ البحر، بل لا تنفذ أبدا ، لا قبل نفاذ البحر ولا بعده ، وحاصل الكلام : لنفذ البحر ولا تنفذ كلمات ربي "[١].

والبحار السبع التي تمد البحر ، هي بحار غير موجودة ، قال الرازي : ﴿ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ إشارة إلى بحار غير موجودة ، يعني لو مدت البحار الموجودة بسبعة أبحر أخر "[٢].

وحصر البحار بـ (سبعة) غير مراد ، بمعنى : لو كانت أكثر من سبعة بحار تمد البحر هل تنفذ كلمات الله تعالى ؟ قال الرازي : " ليس لانحصارها في سبعة ، وإنما الإشارة إلى المدد والكثرة ولو بألف بحر ، والسبعة خصصت بالذكر من بين الأعداد ، لأنها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ، والذي يدل عليه وجوه .....فصارت السبعة كالعدد الحاصر للكثرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير "[٣].

كما أن التمثيل بالبحر ورد في الأثر ، حيث مثلت الفتن التي تموج ، كموج البحر ، وذلك في حديث حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال قال عُمَرُ رضي الله عنه : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رسول اللهِ ﷺ عن الْفِتْنَةِ ؟ قال : قلت : أنا أَحْفَظُهُ كما قال ، قال : إِنَّكَ عليه لَجَرِيءٌ ، فَكَيْفَ ؟ قال : قلت : فِتْنَةُ الرَّجُلِ في أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج ٣ ص ٣٩٩ ، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٥ ص١٣٨ ، مصدر سابق .

(٣) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ١٣٨ ، مصدر سابق .

تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْمَعْرُوفُ .. قال : ليس هذه أُرِيدُ ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ التي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ .. الحديث [1] .

تاسعاً : تسجير البحر :

من أحوال البحر في القرآن التي تكون من أشراط الساعة ، وفيها الدلالة على وحدانية الله تعالى ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾ التكوير: ٦ وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ ﴾ الانفطار: ٣ ، اختلف المفسرون في معنى : التسجير ، فقال بعضهم :اشتعلت نارا وحميت ، وقال آخرون معنى ذلك فاضت ، وقال آخرون بل عني بذلك أنه ذهب ماؤها ، قال الطبري : "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ملئت حتى فاضت فانفجرت وسالت ، كما وصفها الله به في الموضع الآخر فقال: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ ﴾ الانفطار: ٣ والعرب تقول للنهر أو للركي المملوء : ماء مسجور " [2].

وتسجير البحر وتفجيره هو تغير لأحوال البحار عن صورتها المعهودة ، ومن الأشياء التي إذا وقعت حينها علمت كل نفس ما حضر لديها من الأعمال ، التي قدمتها .

---

(١) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، ج ٢ ص ٥٢٠ ، مصدر سابق .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٣٠ ص ٦٨ ، مصدر سابق .

الفصل الثالث

دلالة آيات البحر في القرآن على نعم الله تعالى على عباده

وردت آيات البحر في القرآن في مواضع دالة على نعم الله تعالى، وامتنانه على عباده، من خلال أمور، منها:

أولاً: أكل صيد البحر وطعامه:

جاء الامتنان بنعمة الله تعالى على عباده بصيد البحر وبطعامه، في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ المائدة: ٩٦، فقد أجمع العلماء على أن صيد البحر وطعامه: حلال، أكله وبيعه وشراؤه، للمقيم والمسافر [١]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " صَيْده ما اصْطِيدَ وطعامه ما رَمَى بِه " [٢].

وقد جاء وصف لحم البحر الذي سخره الله تعالى لعباده بأنه: طَرِيًّا، وهذا يدل على قدرة الله تعالى وحكمته، من جهة إظهار الضد من الضد، فيخرج الله تعالى لنا لحماً طرياً عذباً من البحر المالح، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ النحل: ١٤ وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٨٢ ابن بطال، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد ج ١ ص ٢٦٥، دار الفكر - بيروت، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ابن قدامة، ج ٣ ص ١٦٥، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى.

(٢) الجامع الصحيح المختصر، البخاري، ج ٥ ص ٢٠٩٢، مصدر سابق.

وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فاطر: ١٢ ، قال الرازي : " واعلم أن في ذكر الطري مزيد فائدة ، وذلك لأنه لو كان السمك كله مالحاً ، لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري ، فإنه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم أنه إنما حدث لا بحسب الطبيعة ، بل بقدرة الله وحكمته حيث أظهر الضد من الضد "[١] .

ولحم البحر : طرياً عذباً ، والطري : الناعم الغض [٢].

وقال ابن منظور : " الغض : الطري الذي لم يتغير " [٣] وقال الراغب : " والغض الطري الذي لم يطل مكثه " [٤].

وقال الفيروزبادي : " الطازج : الطري " [٥] ، وقال المناوي : " الطري : الشيء الغض ومنه الطرواة " [٦].

فيكون معنى : اللحم الطري : الناعم الطازج الغض الذي لم يطل مكثه .

وأما اللحم العذب : المستساغ ، قال ابن منظور : " العذب من الشراب والطعام : كل مستساغ " [٧] .

---

(١) التفسير الكبير ج ٢٠ ص ٦ ، مصدر سابق .

(٢) انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، الحميدي ، ج ١ ص ٤٦٧ ، مكتبة السنة – القاهرة – مصر – ١٤١٥ – ١٩٩٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتورة : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز . طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية ، النسفي ، ج ١ ص ١٧١، دار النفائس – عمان – ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك.

(٣) لسان العرب ، مادة (غضض) ج ٧ ص ١٩٦ ، مصدر سابق .

(٤) المفردات في غريب القرآن ، الراغب ، ص ٣٦١ ، مصدر سابق .

(٥) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، باب الجيم ، فصل الطاء ، ص ٢٥٢ مؤسسة الرسالة –بيروت .

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي ، ص ٤٨٢ ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق – ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية .

(٧) لسان العرب ، مادة (عذب) ج ١ ص ٥٨٣ ، مصدر سابق .

ومن الجائز أكله في البحر: الميتة فيه ، جاء في صحيح مسلم : " بَاب إِبَاحَةِ مَيْتَاتِ الْبَحْرِ " وذكر حديث جابر رضي الله عنه ، قال بَعَثَنَا رسول اللهَّ ﷺ . وفيه . وَانْطَلَقْنَا على سَاحِلِ الْبَحْرِ فَرُفِعَ لنا على سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ فَأَتَيْنَاهُ فإذا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ قال : قال أبو عُبَيْدَةَ : مَيْتَةٌ ، ثُمَّ قال : لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رسول اللهَّ ﷺ وفي سَبِيلِ اللهَّ وقد اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا ، قال : فَأَقَمْنَا عليه شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حتى سَمِنَّا .

وفي الحديث : أَتَيْنَا رَسُولَ اللهَّ ﷺ فَذَكَرْنَا ذلك له ، فقال : هو رِزْقٌ أَخْرَجَهُ الله لَكُمْ ، فَهَلْ مَعَكُمْ من لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا ، قال : فَأَرْسَلْنَا إلى رسول اللهَّ ﷺ منه فَأَكَلَهُ [(١)].

ثانياً : حلية البحر :

الحليةُ : اسم لما يتحلَّى به [(٢)] ، وسميت : حلية ، لأنها تحلي الجوارح في أعين الناظرين [(٣)].

ومن نعم الله تعالى على عباده : الحلية التي في البحر ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾النحل:١٤ وقوله تعالى:﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فاطر:

---

(١) صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٥٣٥ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

(٢) اللباب في علوم الكتاب ج ١٢ ص ٢٩ ، مصدر سابق .

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، محمد بن علي الترمذي ج ٢ ص ٥، دار الجيل - بيروت - ١٩٩٢م ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة

١٢ ،وفي قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ الرحمن: ١٩ – ٢٢ وقد جاء الامتنان بهذه النعمة من الله تعالى على الجميع : الرجال والنساء [١]، فما كان من ذهب فللإناث ، ويحرم على الذكور ، و ما كان من فضة أو جوهر فمطلق للرجال والنساء [٢] .

والمراد بالحلية : قال الطبري والنحاس وغيرهما : " اللؤلؤ والمرجان " [٣] ، وقال الجصاص : " الحلية هاهنا : اللؤلؤ وما يتحلى به مما يخرج من البحر " [٤] ، وقال الواحدي : " الحلية : الدر والجواهر " [٥] ، وقال الرازي : " المعهود في القرآن في لفظ الحلي : اللآلىء " [٦] .

وهل تخرج الحلية من المالح ومن العَذْب ؟ قيل : إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب ، فكيف قال : ﴿ وَمِن كُلٍّ ﴾ أي : كل واحد منهما ، قال ابن جزي : " فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : أن ذلك تجوز في العبارة كما قال : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ الأنعام: ١٣٠ ، والرسل إنما هي من الإنس .

---

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ١٢٧ ، مصدر سابق .
(٢) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ج ٢ ص ٥ ، مصدر سابق .
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٤ ص ٨٨ ، مصدر سابق . معاني القرآن الكريم ، النحاس ، ج ٥ ص ٤٤٦ ، جامعة أم القرى – مكة المرمة – ١٤٠٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد علي الصابوني .
(٤) أحكام القرآن للجصاص ج ٥ ص ٢٤٦ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .
(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي ج ١ ص ٦٠٢ ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق ، بيروت – ١٤١٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي .
(٦) التفسير الكبير ج ١٦ ص ٣٨ ، مصدر سابق .

الثاني : أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح ، حيث تنصب أنهار الماء العذب ، أو ينزل المطر ، فلما كانت الأنهار والمطر ، وهي البحر العذب ، تنصب في البحر الملح ، كان الإخراج منهما جميعا .

الثالث : زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب ، وهذا قول يبطله الحس " (١).

قال الشنقيطي : " قوله ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ دليل قرءاني واضح ، على بطلان دعوى من ادّعى من العلماء أن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلاّ من البحر الملح خاصّة " (٢).

والحلية لها منافع كثيرة ، والذي ورد في الآية : اللبس ، وهو تنبيه على غاية الحلية (٣).

واللّباس : قال ابن عاشور : " اسم لما يلبَسه الإنسان ، أي يستُر به جزءاً من جسده ، فالقميص لباس ، والإزار لباس ، والعمامة لباس ، ويقال لبس التّاج ولبس الخاتم " (٤).

ثالثاً : التجارة في البحر :

دلّ البحر في القرآن على نعمة الله تعالى على عباده بتجارة البحر(٥) ، كما يذكر المفسرون في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ النحل: ١٤ قال الطبري : " وقوله

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٥٦ ، مصدر سابق .
(٢) أضواء البيان ج ٦ ص ٥ ، مصدر سابق .
(٣) انظر : تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٤٦٥ ، مصدر سابق .
(٤) تفسير التحرير والتنوير ج ٨ ص ٧٤ ، مصدر سابق .
(٥) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ٢٨١ ، مصدر سابق .

﴿ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ يقول تعالى ذكره ، ولتتصرفوا في طلب معايشكم بالتجارة "[١] ، وبنحوه قال الثعلبي[٢] ، وقال السمرقندي : " ﴿ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ أي : لكي تطلبوا من رزقه ، حين تركبون السفينة للتجارة " [٣] وقال الزمخشري : " ﴿ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الروم: ٤٦ ، يريد تجارة البحر " [٤] .

وقد ذكر البخاري في صحيحه : " باب التجارة في البحر " [٥] ، وكان تميم الداري رضي الله عنه عظيم التجارة في البحر[٦] .

رابعاً : ركوب البحر :

عقد البخاري في صحيحه : " بَاب رُكُوبِ الْبَحْرِ [٧] " ، وذكر مالك رحمه الله أن عمر بن الخطاب كان يمنع الناس من ركوب البحر ، فلم يركبه أحد طول حياته ، فلما مات استأذن معاوية عثمان في ركوبه فأذن له ، فلم يزل يركب حتى كان أيام عمر بن عبد العزيز فمنع الناس عمر بن عبد العزيز من ركوبه ، ثم ركب بعده إلى الآن .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٤ ص ٨٩ ، مصدر سابق .
(٢) الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، الثعلبي ، ج ٦ ص ٢٦٨ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور .
(٣) تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٢٦٨ ، مصدر سابق .
(٤) الكشاف ج ٣ ص ٤٨٩ ، مصدر سابق .
(٥) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ،ج ٢ ص ٧٢٧ ، مصدر سابق .
(٦) سنن البيهقي الكبرى ، ج ٣ ص ١٥٤ ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ – ١٩٩٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
(٧) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ،ج ٣ ص ١٠٦٠ ، مصدر سابق .

وقال ابن عبدالبر : " وهذا إنما كان من عمر (بن الخطاب) وعمر (ابن عبدالعزيز) رضي الله عنهما في التجارة وطلب الدنيا ، والله أعلم " . [(١)] وعن ابن عمر أنه كان يكره ركوب البحر إلا لثلاث غاز أو حاج أو معتمر[(٢)] ، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ يقول جاء رَجُلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال يا رَسُولَ الله : إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ ، وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا ، أَفَنَتَوَضَّأُ به؟ فقال رسول الله ﷺ : " هو الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ [(٣)]" ، قال ابن عبدالبر : " وفي حديث هذا الباب من الفقه : إباحة ركوب البحر ، لأن رسول الله ﷺ لو كره ركوبه لنهى عنه الذين قالوا : إنا نركب البحر ، وقولهم هذا يدل على أن ذلك كان كثيرا ما يركبونه لطلب الرزق من أنواع التجارة وغيرها ، وللجهاد وسائر ما فيه إباحة أو فضيلة ، والله أعلم ، فلم ينههم عن ركوبه " [(٤)].

ومما جاء في السنة أيضاً مما يدل على ركوب البحر في زمن النبي ﷺ حديث تميم الداري رضي الله عنه ، حيث قدم على رسول الله ﷺ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ فَأَخبر رَسُولَ اللهَّ ﷺ ـ وفيه أنه ـ ركب البحر [(٥)].

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر ، ج ١ ص ٢٣٣ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧ ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري .

(٢) المصنف ، الصنعاني ج ٥ ص ٢٨٤، دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

(٣) موطأ الإمام مالك ، ج ١ ص ٢٢، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – مصر – – ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

(٤) التمهيد لابن عبد البر ج ١٦ ص ٢٢١ ، مصدر سابق .

(٥) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٦٥ ، مرجع سابق .

وقال الجصاص في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ البقرة: ١٦٤ " دلالة على إباحة ركوب البحر غازيا وتاجرا ومبتغيا لسائر المنافع ، إذ لم يخص ضربا من المنافع دون غيره "[١]

وقال ابن العربي : " في هذه الآية جواز ركوب البحر "[٢] يعني قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يونس: ٢٢ ، وقال : " أما القرآن فيدل على جواز ركوب البحر مطلقا "[٣].

وقد امتن الله تعالى على عباده بجريان الفلك في البحر ، قال ابن عاشور : " وفي امتنان الله تعالى بجريان الفلك في البحر دليل على جواز ركوب البحر من غير ضرورة ، مثل ركوبه للغزو والحج والتجارة "[٤].

ولا شك أن من نعم الله تعالى على عباده تسخير البحر لهم للركوب ، وهذا من عظيم آياته وكبير سلطانه ، ونبههم على شكره عليها بقوله ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ النحل: ١٤[٥] .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٣١ ، مصدر سابق .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٤ ، مصدر سابق .
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٥ مرجع سابق ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٢ ص ١٩٥ مرجع سابق ، تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٤٦٦ مصدر سابق .
(٤) تفسير التحرير والتنوير ج ٢ ص ٨١ ، مصدر سابق .
(٥) انظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال ج ٦ ص ١٣١ ، مصدر سابق .

خامسا : عدم اختلاط البحرين :

من نعم الله تعالى على عباده أن خلط البحرين : المالح والعذب ، ومنع أن يفسد المالح العذب عن عذوبته ، نرى ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الفرقان: ٥٣ ، قال الطبري : " من نعمته على خلقه وعظيم سلطانه ، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج ، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته وإفساده إياه بقضائه وقدرته ، لئلا يضر إفساده إياه بركبان الملح منهما ، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ يعني : حاجزا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر ، ﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ يقول : وجعل كل واحد منهما حراماً محرماً على صاحبه أن يغيره ويفسده " [١].

وليس عدم اختلاط البحرين بأن جعل الله تعالى بينهما أرضاً يابسة ، قال الطبري : " لأن الله تعالى ذكره ، أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين ، والمرج هو: الخلط في كلام العرب ، .. فلو كان البرزخ ، الذي بين العذب الفرات من البحرين والملح الأجاج أرضا أو يبسا ، لم يكن هناك مرج للبحرين ، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما ، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه ، فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه ، فليس هناك مرج ، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس ويذكرون به " [٢].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٩ ص ٢٤ ، مصدر سابق .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٩ ص ٢٥ ، مصدر سابق .

الفصل الرابع
دلالة آيات البحر في القرآن على صدق النبوة

جاءت بعض آيات البحر في القرآن الكريم دالة على صدق نبوة موسى عليه السلام ، من خلال فلق البحر له ولمن آمن من قومه ، حين أمره الله تعالى بضرب البحر بالعصا ، فأصبح البحر يبساً لا ماء فيه ولا بلل ، يسيرون فيه مع السلامة ، فنجاه الله تعالى ونجى من آمن معه ، وأهلك فرعون ومن معه بإغراقهم ، فكانت معجزة بينة ، وآية ، على صدق موسى عليه السلام في دعوته ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ الدخان: ٣٢ – ٣٣ ، ومن الآيات : فلق البحر [١] ، قال الرازي : " فلق البحر في الدلالة على وجود الصانع القادر وفي الدلالة على صدق موسى كالأمر الضروري "[٢] .

وكان فلق البحر في آيات من القرآن منها : قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ الشعراء: ٦٣ ، قال الراغب :" الفلق : شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض ، يقال: فلقته فانفلق ، قال : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ الأنعام: ٩٦﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ ﴾ الأنعام: ٩٥ ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ الشعراء: ٦٣ "[٣].

(١) الكشاف ج ٤ ص٢٨١ ، مصدر سابق .
(٢) التفسير الكبير ج ٣ ص ٦٨ ، مصدر سابق .
(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨٥ ، مصدر سابق .

وجاءت في موضع آخر :بـ (الفَرْق) قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ البقرة: ٥٠ ، قال الراغب : " فَرْق : الفَرْق : يقارب الفَلْق ، لكن الفلق يقال اعتبارا بالانشقاق والفرق يقال اعتبارا بالانفصال ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ "[١].

وهي معجزة لم يؤتيها الله تعالى أحدا من العالمين غير موسى عليه السلام ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ المائدة: ٢٠ ، وهي نعمة لمن آمن من قوم موسى عليه السلام امتن الله تعالى بها عليهم كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ البقرة: ٤٠ ، والنعمة في الآية السابقة : هي فلق البحر[٢].

وقد كان النبي ﷺ يصوم هذا اليوم الذي نجى الله تعالى به موسى حين انفلق البحر له ، شكراً لله تعالى ، وأنه أحق بموسى من يهود المدينة ، كما في صحيح البخاري : " قَدِمَ النبي ﷺ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يوم عَاشُورَاءَ ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يَوْمٌ صَالِحٌ ، هذا يَوْمٌ نَجَّى الله بَنِي إِسْرَائِيلَ من عَدُوِّهِمْ ، فَصَامَهُ مُوسَى ، قال : فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ "[٣] .

---

(١) غريب القرآن ، السجستاني ، ص ٣٧٧ ، دار قتيبة - ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي ، ج ١ ص ١٠١ ، مصدر سابق .

(٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٠٤ ، مصدر سابق .

وكان المشركون يطالبون المؤمنين بحجة على صدق نبوة الرسول محمد ﷺ ، مثل الذي أعطي موسى عليه السلام من فلق البحر ، قال الرازي : " فإن قيل : فما السبب في أن الله تعالى منعهم وما أعطاهم ؟

قلنا : إنه لما أظهر المعجزة الواحدة فقد تم الغرض ، فيكون طلب الباقي تحكماً ، وظهور القرآن معجزة ،فما كان مع ذلك حاجة إلى سائر المعجزات ،

وأيضاً فلعله تعالى علم أنهم يصرون على العناد بعد ظهور تلك المعجزات الملتمسة ، وكانوا يصيرون حينئذ مستوجبين لعذاب الاستئصال ، فلهذا السبب ما أعطاهم الله تعالى مطلوبهم ، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنفال: ٢٣ ، بين أنه لم يعطهم مطلوبهم لعلمه تعالى أنهم لا ينتفعون به ، وأيضاً ففتح هذا الباب يفضي إلى ما لا نهاية له ، وهو أنه كلما أتى بمعجزة جاء واحد آخر ، فطلب منه معجزة أخرى " (١).

وجاءت كيفية إغراق المكذبين بموسى عليه السلام في مواضع في القرآن ، منها :

قوله تعالى : ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الشعراء: ٦٠ -٦٦ وقوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ طه: ٧٨ .

(١) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١١ ، مصدر سابق .

إن في فلق البحر لعبرة وعظة في نهاية من ادعى الألوهية ، فقد أورد القرآن ما حصل لفرعون حينما أغرقه الله ، وأغرق جنوده في البحر فهلكوا عن آخرهم، كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٨ فأصبح لمن بعده عبرة وموعظة وعلامة ، وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأناً من أن يغرق [١] .

وكان فلق البحر لموسى عليه السلام حين ضرب البحر بالعصا ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الشعراء: ٦١ – ٦٦ وكانت المعجزة من وجوه :

أحدها : أن تفرق ذلك الماء معجز .

وثانيها : أن اجتماع ذلك الماء فوق كل طرف منه حتى صار كالجبل ، من المعجزات أيضاً ، لأنه كان لا يمتنع في الماء الذي أزيل بذلك التفريق أن يبدده الله تعالى حتى يصير كأنه لم يكن ، فلما جمع على الطرفين صار مؤكداً لهذا الإعجاز .

وثالثها : أن أبقى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب منها آل فرعون ، وطمعوا أن يتخلصوا من البحر كما تخلص قوم موسى عليه السلام[٢] .

---

(١) تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ١٨٩ ، مصدر سابق .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٢٠ ، مصدر سابق .

وفي كيفية الانفلاق قولان :

فالمشهور كونه خطياً ، وفي بعض الآثار ما يقتضي كونه قوسياً ، إذ فيه أن الخروج من الجانب الذي دخلوا منه ، قال الألوسي : " واحتمال الرجوع في طريق الدخول يكاد يكون باطلاً ، لأن الأعداء في أثرهم " [1].

(١) روح المعاني ج ١ ص ٢٥٥ ، مصدر سابق .

الفصل الخامس

دلالة آيات البحر في القرآن على بعض المعاني المتفرقة

أولاً : القرية البحرية :

من دلائل آيات البحر في القرآن : وجود القرية البحرية ، وهي القرية المجاورة للبحر على شاطئه ،كما في قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٣ فالمراد بالقرية التي كانت حاضرة البحر في الآية الكريمة كما يذكر المفسرون هي ما كانت مجاورة البحر وبقربه وعلى شاطئه[١] ، وهي القرية البحرية [٢]،

ومعلوم أنها ليست في البحر وإنما هي مقاربة له [٣]، والقريب من الشيء يقال إنه حاضره [٤]، يقال كنت بحضرة الدار أي بقربها [٥].

ثانياً : العمل في البحر :

وجاء البحر في القرآن الكريم واستنبط من سياقه أنه من مصادر العمل والتعيش لمن احتاج كما في قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٩ ص ٩٠ ، مصدر سابق .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٣٢٨ ، مصدر سابق .

(٣) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، الماوردي ، ج ٤ ص ٦٣ ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود .

(٤) فتح الوهاب شرح منهج الطلاب ، زكريا الأنصاري ، ج ٢ ص ٤٩٣ دار الفكر - بيروت .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٧ ص ٣٠٥ ، مصدر سابق .

سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٣ ، وقوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الكهف: ٧٩ ، فقد كانوا يؤاجرون في البحر ويكسبون قوتهم [(١)] .

ثالثاً : مكان التقاء موسى عليه السلام بالخَضِر :

وقد جعل الله تعالى على شاطئ البحر في القرآن الكريم المكان الذي أوحى الله تعالى فيه إلى موسى عليه السلام أنه سيجد فيه عبدا من عباد الله العالِمين ، عنده من العلم ما ليس عند موسى عليه السلام ، وهو الخضر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ الكهف: ٦٠ -٦٣ أي: أذكر حين قال موسى ، وهو ابن عمران (لفتاه) أي : لصاحبه : يوشع بن نون ، كان معه في سفره ، (لا أبرح) أي : لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) [(٢)] ، ومجمع البحرين هو : ملتقى بحري : قال الرازي : " وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين ، فإن صح بالخبر الصحيح شيء فذاك وإلا فالأولى السكوت عنه " [(٣)].

(١) تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٣٥٧ ، مصدر سابق .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٣ ص ٥٢٧ مرجع سابق ، تفسير البغوي ج ٣ ص ١٧١ ، مرجع سابق .

(٣) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٢٤، مرجع سابق .

الخاتمة

وبعد ، فيمكن أن نخلص إلى أهم النتائج من هذا البحث وهي كما يلي :

أولاً : ورود لفظ " البحر " :

- إذا تتبعنا مفردة " بحر " في القرآن الكريم ، وجدناها ذكرت في القرآن إحدى وأربعين مرة على اختلاف ألفاظها : إفرادا ، وتثنية ، وجمعاً .
- وردت مفردة " بحر " بلفظ الإفراد : " البحر " في اثنين وثلاثين موضعاً ، في عشرين سورة ، ووردت بلفظ الإفراد : " بحر " في موضع واحد في سورة: (النور) .
- وردت مفردة " بحر " بلفظ التثنية في خمسة مواضع ، في خمسة سور .
- وردت مفردة " بحر " بلفظ الجمع في ثلاثة مواضع ، في ثلاث سور .

ثانياً : أن البحر في اللغة وفي استعمال القرآن يطلق على :

المالح غالباً ، ويطلق على العذب وهو النهر ، ومن مرادفات البحر : اليَمّ ، والذي يطلق على : النهر العذب .

ثالثاً : دلالات آيات البحر :

لا تخرج عموماً عن أربعة معاني في الجملة ، وهي كما يلي :

- الأول : الدلالة على وحدانية الله تعالى واستحقاقه العبادة ، وتظهر من أمور ، منها :

  أولاً : حمل البحر السفن وسيرها فيه .

  ثانياً : ظلمات البحر .

ثالثاً : شمول علم الله تعالى على ما في البحر .

رابعاً : الضُّرُّ والغَرَق في البحر .

خامساً : الحاجز بين البحرين .

سادساً :الفساد في البحر .

سابعاً: امتلاء البحر دون أن يفيض .

ثامناً : التمثيل بالبحر .

تاسعاً : تسجير البحر .

- الثاني : الدلالة على نعم الله تعالى وامتنانه على عباده ، وتظهر من أمور ، منها :

أولاً : أكل صيد البحر وطعامه .

ثانياً : حلية البحر .

ثالثاً : التجارة في البحر .

رابعاً : ركوب البحر .

خامسا : عدم اختلاط البحرين .

- الثالث : الدلالة على صدق نبوة من أرسله الله تعالى .

حيث جاءت بعض آيات البحر في القرآن الكريم دالة على صدق نبوة موسى عليه السلام ، من خلال فلق البحر له حين أمره الله تعالى بضرب البحر بالعصا ، فأصبح البحر يبساً لا ماء فيه ولا بلل ، يسيرون فيه مع السلامة ، وهي معجزة لم يؤتيها الله تعالى أحدا من العالمين غير موسى عليه السلام .

- الرابع : الدلالة على بعض المعاني المتفرقة ، ومنها :

أولاً : القرية البحرية .

ثانياً : العمل في البحر .

ثالثاً : مكان التقاء موسى عليه السلام بالخضر .

رابعاً : أن البحر في القرآن جاء عند بعض المفسرين على أربعة أوجه :

أحدها : البحر المعروف في الأرض ، ومنه قوله تعالى في سورة الكهف ٦٠ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ وفي سورة الدخان ٢٤ : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

والثاني : [البحر] الماء العذب والمالح ، ومنه قوله تعالى في سورة الرحمن ١٩ : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

والثالث : بحر تحت العرش ، ومنه قوله تعالى في سورة الطور٦ ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾

والرابع : العامر من البلاد ، ومنه قوله تعالى في سورة الروم ٤١ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

المراجع

١. أحكام القرآن ، ابن العربي الوفاة: ٥٤٣هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

٢. أحكام القرآن ، الجصاص أبو بكر ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي. الوفاة: ١٣٩٣هـ. ، دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.

٤. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ابن رشد ، دار الفكر — بيروت

٥. البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٦. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م .

٧. التسهيل لعلوم التنزيل ، الكلبي ، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ، الطبعة : الرابعة .

٨. تفسير البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض .

٩. تفسير البغوي ، دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك

١٠. تفسير البيضاوي ، دار الفكر — بيروت .

١١. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، دار الفكر - بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي .

١٢. تفسير القرآن ، السمعاني ، دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم .

١٣. تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠١ .

١٤. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، الرازي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى .

١٥. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، الحميدي ، مكتبة السنة - القاهرة - مصر - ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتورة : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز .

١٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧ ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري .

١٧. التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق - ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية .

١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ، تحقيق : ابن عثيمين .

١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥ .

٢٠. الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا

٢١. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار النشر : دار الشعب – القاهرة .

٢٢. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، الماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود .

٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٤. زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤ ، الطبعة : الثالثة .
٢٥. سنن البيهقي الكبرى ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ – ١٩٩٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
٢٦. شرح صحيح البخاري ، ابن بطال ، مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم .
٢٧. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، أبو عبد الله الزرعي ،دار الفكر – بيروت – ١٣٩٨ ، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي .
٢٨. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .
٢٩. طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية ، النسفي ، دار النفائس – عمان – ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م. ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك.
٣٠. غريب القرآن ، السجستاني ، دار قتيبة – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران .
٣١. فتح الوهاب شرح منهج الطلاب ، زكريا الأنصاري ، دار الفكر – بيروت .
٣٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري ، مكتبة الخانجي –القاهرة .
٣٣. الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، حمد آل معمر المتوفى : ١٢٢٥هـ .
٣٤. القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت .
٣٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .
٣٦. الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، الثعلبي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور .

٣٧. اللباب في علوم الكتاب ، عمر بن عادل ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض .

٣٨. لسان العرب ، ابن منظور ، دار النشر : دار صادر - بيروت ، الطبعة : الأولى .

٣٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي ، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .

٤٠. مختار الصحاح ، الرازي ، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، الطبعة : طبعة جديدة ، تحقيق : محمود خاطر .

٤١. المصنف ، الصنعاني ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

٤٢. معاني القرآن الكريم ، النحاس ، جامعة أم القرى - مكة المرمة - ١٤٠٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد علي الصابوني .

٤٣. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ،ابن قدامة ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى .

٤٤. المفردات في غريب القرآن ، اسم المؤلف: الراغب الأصفهاني ، دار المعرفة - لبنان ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

٤٥. من آيات الله في البحار ، تأليف : ماهر أحمد صوفي ، ط دار المعارف ، سوريا ، حمص ، ١٤١٦هـ .

٤٦. موطأ الإمام مالك ، مالك بن أنس ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - مصر - - ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٤٧. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ،ابن الجوزي ، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي .

٤٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي .
٤٩. النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، الماوردي ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .
٥٠. نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، اسم المؤلف: محمد بن علي الترمذي ، دار الجيل - بيروت – ١٩٩٢م ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة .
٥١. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق ، بيروت – ١٤١٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي .

النخل في القرآن الكريم

د/ سعود بن عبد العزيز بن سليمان الحمد

- عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم .
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (تحقيق المروي عن ابن عباس من أول سورة طه إلى آخر سورة العنكبوت) .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق (تفسير أبي الليث السمرقندي من أول سورة الرعد إلى آخر سورة السجدة).

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإن كتاب الله الكريم ، وحبله المتين ، ودستور خاتم أديان رب العالمين ، قد حوى من الحكم والأحكام ، والفوائد والفرائد ، والنصائح والتوجيهات ، والمواعظ والتكليفات ، ما لا يعلمه إلا الذي تكلم به وأنزله على محمد ﷺ وإن أفضل ما يشتغل به المشتغلون ، ويزجون به الأوقات والأعمار ، النظر في كتاب الله وتدبره ، والعمل على بيانه وتوضيحه وتفسيره ، خاصة طلبة العلم ليساهموا في جذب الناس لهذه المائدة العظيمة ، وحثهم ليقبلوا عليها وينهلوا منها ، ولقد تنبه علماؤنا الأوائل، وسلفنا الأفاضل لهذا الأمر ، فاشتغلوا بالقرآن ، منهم من قام بتفسيره أو جزء منه ، ومنهم من كتب في علومه المختلفة والمتنوعة ، فمن كاتب في إعجازه ، وكاتب في ناسخه ومنسوخه ، وكاتب في أسباب نزوله ، وكاتب في قراءاته ، وكاتب في إعرابه ، وكاتب في محكمه ومتشابهه ، وكاتب في مناسباته ، وكاتب في غريبه ، إلى غير ذلك من علومه المختلفة ، وفنونه المتفرقة ، حاديهم في ذلك محبة كتاب الله والرغبة في المساهمة في الجهود التي تبذل لخدمة كتاب الله جل وعلا ، وقد أحببت أن أسلك طريقهم ، وأسير على منهجهم ومنوالهم ، وأتطفل على موائدهم رغبة في خدمة هذا الكتاب العزيز ، ومساهمة في الجهود التي تبذل والتي تؤدي إلى المساهمة في حفظ هذا الكتاب الكريم ، وصيانته عن العبث ، وقد لاح لي أثناء قراءة كتاب الله تكرار ورود لفظ النخلة في القرآن الكريم تلك الشجرة المباركة ، والتي جعل الله

فيها ملتجئاً ونجدة لمريم حين المخاض ، وأمرها بأن تأكل من ثمرها لما في ذلك من الفوائد العظيمة، والتي أثبتها الطب بعد قرون طويلة من نزول هذا القرآن على سيد الأنام ، فأحببت جمع الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر النخلة في القرآن في موضع واحد ، وشرحها وبيان ما قاله فيها علماء التفسير لتكون بين يدي إخواني الباحثين ، وطلاب العلم..

ومما دفعني للبحث في هذا الموضوع مكانة النخلة في مجتمعنا السعودي ، وحرص الناس عليها ، ورغبتهم في زراعتها حتى في منازلهم واستراحاتهم .. ولم أجد خلال مطالعتي وقراءاتي – على محدوديتها – من كتب في هذا الموضوع .. فكانت العزيمة والرغبة دافعاً إلى ذلك وقد اسميته " النخل في القرآن الكريم" .

وسوف أتناول الموضوع من خلال النقاط التالية :

المبحث الأول : المراد بالنخلة .

المبحث الثاني : النخلة مثل للمؤمن .

المبحث الثالث : التوجيه النبوي الكريم حول ثمر النخلة (التمر) .

المبحث الرابع : الصيغ التي جاء لفظ النخلة عليها في القرآن .

المبحث الخامس: ذكر النخلة في القرآن من باب الامتنان على الخلق .

المبحث السادس : ذكر النخلة كمثال على ما حل بالأمم السالفة من العذاب .

المبحث السابع : ذكر النخلة في معرض تعنت المشركين عن إجابة دعوة الرسول .

المبحث الثامن : سياق النخلة في معرض ضرب المثل.

المبحث التاسع : استخدام الجبابرة للنخلة في تعذيب المؤمنين .

المبحث العاشر : لجوء مريم إليها وكونها مصدر رزق وطعام لها .

المبحث الحادي عشر : قطع النخيل وأثره النفسي لدى المحاربين .

الخاتمة : وفيها أبرز نتائج البحث .

الفهارس اللازمة للبحث .

وسيكون منهجي في البحث جمع ما قاله المفسرون في الآيات التي ترد في النخلة واستنباط الفوائد والأحكام منها ، وذكر القراءات وأسباب النزول إن وجدت ، وسأقوم بعزو الآيات إلى سورها ، وتخريج الأحاديث فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به وإلا خرجته من مظانه قدر الإمكان ، ولن أترجم للأعلام الواردة في البحث لئلا يطول البحث ، وأخيراً سأضع الفهارس اللازمة للبحث .

وختاماً أرجو ممن يقرأ هذه الكلمات ألا يبخل عليّ بدعوة صالحة مخلصة في ظهر الغيب فإن له بمثلها ، كما إنني أرجو من وجد خطأ أو وقف عليه أن ينبهني إلى ذلك فإن المسلم مرآة أخيه المسلم ، والله أعلم وأحكم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحابته أجمعين .

المبحث الأول : المراد بالنخلة

النخلة شجرة التمر ، الجمع نخل ، ونخيل وثلاث نخلات [(١)].

وقال ابن فارس : النون والخاء واللام : كلمة تدل على انتقاء الشيء واختياره ، وانتخلته : استقصيت حتى أخذت أفضله ، وعندنا أن النخل سمي به لأنه أشرف كل شجر ذي ساق ، الواحدة نخلة [(٢)].

والنخل : اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء يقال للمفرد :نخلة بالتاء ، وللجمع : نخل بدونها،ويذكر ويؤنث. فمن التذكير قوله:﴿ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾[(٣)]، ومن التأنيث ﴿ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴾[(٤)]، ويجمع على نخيل أيضاً ، ولكرمها عندهم اشتقوا من لفظها ما يدل على اصطفاء الشيء ، يقال : نخلتُ الشيء وانتخلته ، ومنه : نخل الدقيق [(٥)].

واستعار أبو حنيفة النخل لشجر النارجيل [(٦)]...

وأهل الحجاز يؤنثون النخل ، وفي التنزيل العزيز﴿ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴾[(٧)]، وأهل نجد يذكرون ..

---

(١) لسان العرب ١١/ ٦٥٢ ،

(٢) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤٠٧ .

(٣) سورة القمر آية / ٢٠/ .

(٤) سورة الحاقة آية / ٧/ .

(٥) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٤/ ١٧٧ – ١٧٨ ، وانظر : المفردات للراغب / ٤٨٦/ .

(٦) النارجيل : جوز الهند واحدته نارجيلة . انظر : لسان العرب ١١/ ٦٥٦ .

(٧) سورة الرحمن آية / ١١/ .

وأبو نخلة كنيه ، ونخيلة موضع بالبادية ، وبطن نخلة بالحجاز موضع بين مكة والطائف[1] [2].

وقال أبو حاتم السجستاني : النخلة سيدة الشجر ، مخلوقة من طين آدم صلوات الله عليه ، وقد ضربها الله جل وعز مثلاً لقوله : لا إله إلا الله ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾[3]. وهي قول : لا إله إلا الله ، "كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ" وهي النخلة ، فكما أن قول : لا إله إلا الله سيد الكلام ، كذلك النخلة سيدة الشجر[4].

فالمراد بالنخلة الشجرة المعروفة وهي شجرة التمر ، وهي شجرة مباركة تثمر في السنة مرة واحدة ، وثمرها غذاء ودواء ، وجميع أجزاء النخلة ذات فائدة عظيمة حيث يؤكل ثمرها ، ويوقد منها ، ويتخذ من ليفها وخوصها فرشاً وأواني لاستعمالات عديدة فتبارك الخالق العظيم ذو العرش الكريم .

المبحث الثاني : النخلة مثل المؤمن

يقول الله جل وعلا : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[5].

---

(١) موضع على ليلة من مكه وهي التي ورد فيها الحديث ليلة الجن وهي وادٍ ينصب من بطن قرن المنازل . انظر : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٢/ ١٣٠٤ ، ومعجم البلدان لياقوت ٥/ ٢٧٧ .

(٢) لسان العرب ١١/ ٦٥٢ .

(٣) سورة إبراهيم آية / ٢٤/ .

(٤) كتاب النخل لأبي حاتم السجستاني / ٣٣/ .

(٥) سورة إبراهيم آية / ٢٤ – ٢٥/ .

◉ (أَلَمْ تَرَ)بعين قلبك فتعلم علم يقين بإعلامي إياك [١] والخطاب لسيد المخاطبين محمد ﷺ ، وقيل لمن يصلح له [٢].

◉ (كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا) المثل : القول السائر لتشبيه شيء بشيء [٣]، ويكون وفق الحال التي ضرب لها ، ولا بد فيه من غرابة ..

وقيل : هو عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة لتبيين أحدهما للآخر وتصوره [٤].

وأصل المثول : الانتصاب ، والممثل المصور على مثال غيره .

والتمثال : الشيء المصور ، وتمثل كذا : تصور [٥].

والمعنى هنا : بين الله شبهاً ، ثم فسر ذلك المثل [٦].

◉ (كَلِمَةً طَيِّبَةً) قال ابن عباس : يريد لا إله إلا الله وهو قول الجميع [٧]، وقيل : كل كلمة جميلة كالتسبيح ، والتحميد ، والاستغفار ، والتوبة، والأذان ، والدعوة إل الحق [٨].

وقيل المراد بها : الإيمان .

وقيل : عنى بها المؤمن نفسه [٩].

---

(١) فتح البيان ٥/ ١٣٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٢ .

(٢) روح المعاني ١٣/ ٢١٢ .

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٣٢ .

(٤) عمدة الحفاظ ٤/ ٧٧ وما بعدها .

(٥) المفردات للراغب الأصفهاني / ٤٦٢/ .

(٦) الوسيط ٣/ ٢٩ .

(٧) الوسيط ٣/ ٢٩ ، والبحر المحيط ٥/ ٤٢١ ، وتفسير القرآن العزيز ٢/ ٣٦٩ ، وزاد المسير ٤/ ٣٥٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٢ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٦٣٥ .

(٨) عيون التفاسير ٢/ ٢٧٨ .

(٩) تفسير الماوردي ٣/ ١٣٢ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٦٣٥ .

◉ (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) هي النخلة في قول جمهور المفسرين [١].

وقد جاء هذا التفسير عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال :قال رسول الله ﷺ: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : فقال : هي النخلة " [٢].

وقيل : هي شجرة في الجنة [٣].

وقيل : إنها المؤمن ، وأصله الثابت أنه يعمل في الأرض ويبلغ عمله السماء [٤].

ومع أن الآية تحتمل هذه الأقوال ، إلا أن أولى التفاسير لها هو ما ثبت عن النبي ﷺ ، لأنه ثبت بطريق صحيح وهو أولى ما تحمل عليه الآية والله أعلم بالصواب.

(أَصْلُهَا ثَابِتٌ) أي : أسفلها متمكن بعروقها في الأرض [٥].

(وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ) أي : أعلاها ورأسها وأغصانها مرتفعة نحو السماء[٦]. والمراد : رأسها الذي تكون فيه الثمرة [٧].

---

(١) انظر : الطبري ١٣/ ٦٣٧ ، مرويات أحمد في التفسير ٢/ ٤٣٣ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٢ ، وزاد المسير ٢/ ٢٧٨ ، والماوردي ٣/ ١٣٢ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٢٠ ، وأخرجه مسلم في الصحيح ٤/ ٢١٦٥ .

(٣) زاد المسير ٤/ ٣٥٨ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٣٢ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٦٤١ .

(٤) زاد المسير ٤/ ٣٥٨ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٣٢ .

(٥) عيون التفاسير ٢/ ٢٧٨ .

(٦) عيون التفاسير ٢/ ٢٧٨ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٣٢ .

(٧) تفسير القرآن العزيز ٢/ ٣٦٨ .

(تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا) أي : تعطي هذه الشجرة ثمرها وما يؤكل منها [١].

(كُلَّ حِينِۭ) اختلف في المراد بالحين في الآية على أقوال :

- فقيل : إنه غدوة وعشية وكل ساعه .
- وقيل : بكرة وعشية روي عن ابن عباس .
- وقيل : إنه شهران ، قاله سعيد بن المسيب .
- وقيل : ستة أشهر ، قال به ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة ، وقتادة .
- وقيل : إنه ثمانية أشهر ، وهو مروي عن علي رضي الله عنه .
- وقيل : سنة ، روي عن ابن عباس ، ومجاهد [٢].

فمن قال : ثمانية أشهر أشار إلى حملها ظاهراً وباطناً ، ومن قال ستة أشهر فهي مدة حملها إلى صرامها ، ومن قال بكرة وعشية ، أشار إلى الاجتناء منها ، ومن قال سنة ، أشار إلى أنها لا تحمل في السنة إلا مرة ، ومن قال شهران ، فهو مدة صلاحها .. ومن قال : كل ساعة ، أشار إلى أن ثمرتها تؤكل دائماً ... [٣].

قال النحاس بعد أن ساق الأقوال في معنى الحين: وهذه الأقوال متقاربة غير متناقضة، لأن الحين عند جميع أهل اللغة – إلا من شذ منهم – بمعنى الوقت ، يقع لقليل الزمان وكثيره ، غير أن الأشبه في الآية أن يكون الحين السنة، لأن إدراك الثمرة كل عام وكذا طلعها [٤].

(بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ) أي : بأمره ، ومشيئته ، أو بتيسيره ، وتكوينه [٥].

---

(١) الوسيط للواحدي ٣/ ٣٠ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٣٢ ، وزاد المسير ٤/ ٣٥٨ .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ٣/ ١٣٢ ، وزاد المسير ٤/ ٣٥٨ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٦٤٣ .

(٣) زاد المسير ٤/ ٣٥٩ .

(٤) معاني القرآن الكريم للنحاس ٣/ ٥٢٨ .

(٥) عيون التفاسير ٢/ ٢٧٨ ، وفتح البيان ٥/ ١٣٩ .

(وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) قال ابن عباس : يريد أهل مكة [1].

(لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) أي : يتعظون بالتفكر في الأمثال ويؤمنون [2].

في الآيتين السابقتين ضرب الله جل وعلا مثلاً للمؤمن ، حيث شبهه بالنخلة فالإيمان الذي يحمله إيمان راسخ ، قوي ، ثابت كثبات النخلة في الأرض، وهو مرتفع في السماء كارتفاع النخلة ، وفي ذلك إشارة إلى أنه يجب على المؤمن أن يعتز بإيمانه ، ويفخر به ، ويرتفع كما ترتفع النخلة في فضاء السماء .

والحكمة في تشبيه المسلم بالنخلة في كثرة خيرها ، ودوام ظلها ، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام ، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس ، ويدخر على أشكال مختلفة ليؤكل على مدار العام ، ومن خشبها ، وورقها، وأغصانها يستعمل عصياً ، وحبالاً ، وفرشاً ، وأواني وغير ذلك، حتى نواها ينتفع به علفاً للإبل، بل صنع منه الآن ما يستفيد منه بنو آدم ، وهي جميلة في نباتها، وحسن هيئة ثمرها ، فهي منافع كلها ، وخير وجمال ، كما أن المؤمن خير كله ، من كثرة طاعاته ، وأخلاقه ، ونفعه للآخرين فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى جملة من الوجوه التي لأجلها شبهت النخلة بالإنسان ومنها :

أولاً : ثبات أصلها في الأرض واستقراره فيها .

ثانياً : طيب ثمرتها وحلاوتها وعموم المنفعة بها .

ثالثاً : دوام لباسها وزينتها .

رابعاً : سهولة تناول ثمرتها وتيسره .

---

(١) الوسيط ٣/ ٣٠ .

(٢) عيون التفاسير ٢/ ٢٧٩ .

خامساً : أن ثمرتها من أنفع ثمار العالم ، فيؤكل رطبه فاكهة وحلاوة ، ويابسه يكون قوتاً وأدما .

سادساً : ان التخلة أصبر الشجر على الرياح والجهد ، وكذلك المؤمن يصبر على البلاء والمصائب .

سابعاً : ان النخلة كلها منفعة لا يسقط منها شيء ،وكذلك المؤمن كله نفع وفائدة.

ثامناً : أنها كلما طال عمرها ازداد خيرها وجاد ثمرها ، وكذلك المؤمن إذا طال عمره ازداد خيره وحسن عمله .

تاسعاً : أن قلبها من أطيب القلوب وأحلاه ، وكذا قلب المؤمن من أطيب القلوب(١) .

والحكمة في تمثيل الإيمان بالنخلة من أوجه كما يقول ابن الجوزي :

أحدها : إنها شديدة الثبوت ، فشبه ثبات الإيمان في قلب المؤمن بثباتها .

الثاني : إنها شديدة الإرتفاع فشبه ارتفاع عمل المؤمن بارتفاع فروعها .

والثالث: أن ثمرتها تأتي في كل حين ، فشبه ما يكسب المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت بثمرتها المجتناة في كل حين على اختلاف صنوفها ، فالمؤمن كلما قال : لا إله إلا الله ، صعدت إلى السماء ، ثم جاءه خيرها ومنفعتها .

الرابع : إنها أشبه الشجر بالإنسان ، فإن كل شجرة يقطع رأسها تتشعب غصونها من جوانبها إلا هي ، إذا قطع رأسها يبست ، ولأنها لا تحمل حتى تلقح، ولأنها فضلة تربة آدم عليه السلام فيما يروى (٢) .

---

(١) انظر : مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٣٠ وما بعدها – بتصرف- .

(٢) زاد المسير ٤/ ٣٥٩ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٣ .

يشير ابن الجوزي رحمه الله إلى الحديث الذي يروى وهو : (أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من فضلة طينة أبيكم آدم ، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران فأطعموا نساءكم الوالد الرطب ، فإن لم يكن رطباً فتمراً) وهو حديث ضعيف بل موضوع ، أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ٤/٢٥٦ ، وأخرجه ابن عدي في

ووجه الحكمة في تمثيل الإيمان بالشجر على الإطلاق : أن الشجرة لا تسمى شجرة إلا بثلاثة أشياء : عرق راسخ ، وأصل ثابت ، وفرع نابت ، وكذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء : تصديق بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأبدان والأركان (١) .

وهكذا فإن النخلة ، تلك الشجرة المباركة هي مثل تلك الكلمة الطيبة وهي لا إله إلا الله كما قال ابن عباس ، وهو قول عامة المفسرين ، كما مر معنا في تفسير الكلمة الطيبة ، والتي تصدر من المؤمن المبارك ، وهذا المؤمن في ثبات هذه الكلمة ورسوخها في قلبه ، وكذلك في عطائه وشموخه ، يشبه هذه الشجرة المباركة كما جاء في الحديث عن المصطفى ﷺ ، حيث تؤتي هذه الشجرة أكلها كل حين ، وبأصناف مختلفة ، وأشكال متغايرة ، وطعوم متفاوته ، وكذا المؤمن نفعه كبير ، وعطاؤه غزير ، ليله ونهاره طاعة لله وعباده .

المبحث الثالث : التوجيه النبوي الكريم حول التمر

من أبرز ثمار النخلة التمر تلك الثمرة الطيبة ، الحلوة المذاق ، وهي فاكهة من الفواكه التي يتفكه بها ، وغذاء من الأغذية ، ودواء وعلاج بإذن الله جل وعلا ، ولقد حفلت السنة المطهرة بأحاديث تدل على فضل التمر ومنها :

أن التمر أطيب وأغنى غذاء :

- عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال : (لا يجوع أهل بيت عندهم التمر) (٢).

الكامل ٦/ ٢٤٢٤ ، وساقه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/ ٢٨٣ ، وانظر : اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١/ ١٥٥ ، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/ ٧٢ .

(١) فتح البيان ٥/ ١٤٠ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الأشربة ٣/ ١٦١٨ ، وأخرجه الدارمي في سننه ٢/ ١٠٤ .

– وعنها رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (بيت لا تمر فيه جياع أهله ، يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله ، أو جاع أهله ، قالها مرتين) [١].

وفي هذين الحديثين فضيلة التمر ، وجواز ادخاره للعيال ، والحث عليه [٢].

وهكذا يبين ﷺ أهمية التمر ، وأنه ينبغي ألا يخلو منه بيت مؤمن ، وذلك لأنه غذاء على مدار العام وفيه أيضاً من العناصر الغذائية ما يجعله يكفي المرء عن كثير من الأطعمة .. ويؤيد هذا الحديث الذي بعده .

– وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة – ابن أختها – ، إنا كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلت : ما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار ، كان لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناه [٣].

إن في التمر وقاية ودواء وشفاء :

ويستحب أن يحنك المولود [٤] بالتمر عند ولادته ، وأن يقوم بهذا العمل رجل صالح، أو امرأة صالحة .. ولا شك أنه لا بد أن يكون من يقوم بهذه المهمة شخص سليم من الأمراض لئلا ينقل المرض لهذا الطفل .

– فعن أبي موسى رضي الله عنه قال : ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ ، فسماه إبراهيم ، فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ، وكان أكبر ولد أبي موسى [٥].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الأشربة ٣/ ١٦١٨، والدارمي في سننه ٢/ ١٠٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ٢٤٩ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الرقاق ٧/ ١٨١ ، وصحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٨٣ .
والمراد : إنه كان يمر عليهم الشهر والشهرين وهم على هذه الحال ، حيث لا يوجد عندهم طعام يحتاجون في إعداده إلى إيقاد النار .

(٤) التحنيك : أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي داخل فمه ، وحَنّك الصبي بالتمر ، وحنّكه : دلك به حنكه . انظر : لسان العرب ١٠/ ٤١٦ .

(٥) أخرجه البخاري كتاب العقيقة ٦/ ٢١٦ واللفظ له ، وأخرجه مسلم كتاب الآداب ٣/ ١٦٩٠ .

ويسن للصائم أن يفطر على التمر إذا تيسر له ذلك .

- فعن سلمان بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا كان أحدكم صائماً فليفطر على التمر ، فإن لم يجد التمر فعلى الماء ، فإن الماء طهور) (1) .

وذلك لأن التمر سهل الامتصاص ، والمعدة خالية من الطعام لمدة طويلة ، فناسب أن يبتدىء الصائم بالتمر في إفطاره ، لأن السكريات الموجودة في التمر مما يسهل امتصاصه وبسرعة ، فتعطي الصائم شيئاً من النشاط ، وتنبه المعدة لاستقبال الطعام بعد ذلك .

والتمر وقاية من بعض الأمراض بإذن الله جل وعلا .

- فعن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من تصبح بسبع تمرات لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) (2) .

- وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : (إن في عجوة العالية شفاء، أو أنها ترياق (3) أول البكرة) (4) .

وهذا الفضل شامل لكل أنواع التمر الذي ينتج عن هذه النخلة المباركة ، يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله : ويرجى أن ينفع الله بذلك التمر كله ، لكن نص على المدينة ؛ لفضل تمرها والخصوصية فيه ، ويرجى أن الله ينفع ببقية التمر إذا تصبح بسبع تمرات ، وقد يكون ﷺ ذكر ذلك لفضل خاص ، ومعلم خاص لتمر المدينة لا يمنع من وجود تلك الفائدة من أنواع التمر

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه ٢/ ٣٠٥ ، وأخرجه الترمذي في السنن ٢/ ٨٤ وقال : حديث حسن . وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٥٤٢ .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة ٦/ ٢١٢ ، وأخرجه مسلم في كتاب الأشربة ٣/ ١٦١٨ .

(3) **الترياق** : دواء السموم ، وهو ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين .
انظر : لسان العرب المحيط ٩/ ٣٢ .

(4) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة ٣/ ١٦١٩ .

الأخرى التي أشار إليها عليه الصلاة والسلام ، وأظنه جاء في بعض الروايات : "من تمر" من غير قيد[١] .

أن في التصدق بقليل التمر ثواب عظيم :

وفي الصدقة – ولو كانت يسيرة – خيرٌ كثير ، وثواب جزيل ولا يحقر المؤمن من الخير شيئاً .

– فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (اتقوا النار ولو بشق تمرة) [٢] .

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – وإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فلوّه ، حتى تكون مثل الجبل)[٣] .

وهكذا فإن ثمرة هذه الشجرة المباركة تعددت منافعها وتنوعت فوائدها ، حتى شملت مجالات كثيرة ، وهذا دليل على فضلها و مكانتها و منزلتها .. فهي أقرب الأشجار شبهاً بالمؤمن ، فسبحان من جعلها كذلك ، وتبارك من وفق من شاء من عباده إلى طاعته ليكون بهذه الصفة والله أعلم .

المبحث الرابع : الصيغ التي جاء لفظ النخلة عليها في القرآن

ورد لفظ النخلة في القرآن على أربع صيغ ، في آيات متعددة من كتاب الله جل وعلا:

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ٨/ ١٠٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ١١٤ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ١١٣ .

١- فجاءت بلفظ المفرد (النخلة) في موضعين من سورة مريم:

◉ في الآية رقم (٢٣) قال الله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾.

◉ في الآية (٢٥) قال الله تعالى: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾.

٢- وجاءت بلفظ (نخلاً) في موضع واحد في سورة عبس.

◉ في الآية (٢٩) قال الله تعالى: ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾

٣- وجاءت بلفظ (نخيل) في سبعة مواضع:

◉ في الآية رقم (٢٦٦) من سورة البقرة قال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾.

◉ في الآية رقم (٤) من سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

◉ في الآية رقم (١١) من سورة النحل في قوله تعالى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

◉ في الآية رقم (٦٧) من سورة النحل في قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ .

◉ في الآية رقم (٩١) من سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴾.

◉ في الآية رقم (١٩) من سورة المؤمنون في قوله تعالى: ﴿ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾.

◉ في الآية رقم (٣٤) من سورة يس في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴾.

٤- وجاءت بلفظ (النخل) في عشرة مواضع:

◉ في الآية رقم (٩٩) من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ .

⦿ في الآية رقم (١٤١) من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾.

⦿ في الآية رقم (٣٢) من سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾.

⦿ في الآية رقم (٧١) من سورة طه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾.

⦿ في الآية (١٤٨) من سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾.

⦿ في الآية رقم (١٠) من سورة ق في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾.

⦿ في الآية رقم (٢٠) من سورة القمر في قوله تعالى: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾.

⦿ في الآية رقم (١١) من سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴾.

⦿ في الآية رقم (٦٨) من سورة الرحمن في قوله تعالى :﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ ﴾

⦿ في الآية رقم (٧) من سورة الحاقة في قوله تعالى :﴿ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ .

وهكذا فإن لفظ النخلة ومشتقاتها ، قد ورد في كتاب الله جل وعلا في عشرين موضعاً، وقد وردت في موضوعات متفرقة ، وأغراض متعددة ، وسيتبين لنا في المباحث القادمة بإذن الله مزيدٌ من تفاصيل هذه الآيات ، وما يتعلق بها ، وما اشتملت عليه من الفوائد والأحكام فإلى ذلك بإذن الله جل وعلا .

المبحث الخامس : ذكر النخلة في القرآن من باب الامتنان على الخلق

ذكر الله جل وعلا النخلة في معرض امتنانه على الخلق في ثلاثة عشر موضعاً من كتابه الكريم ، مما يدل على المكانة العالية التي تحتلها النخلة ، والأهمية الكبيرة التي تمثلها وها هي تلك المواضع :

١- قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ [(١)].

٢- وقال تعالى : ﴿ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [(٢)].

- ﴿ مِن طَلۡعِهَا ﴾ الطلع أول ما يخرج من ثمر النخل[(٣)]، وقيل : من غصنها[(٤)].

---

(١) سورة الأنعام آية / ٩٩/ .

(٢) سورة الأنعام آية / ١٤١/ .

(٣) تفسير البغوي ٢/ ١١٨ .

(٤) عيون التفاسير ٢/ ٢٩ .

- ﴿ قِنْوَانٌ ﴾ جمع قنو ، كما الصنوان جمع صنو ، وهو العذق[1].

وقيل المراد به : الطلع قاله الضحاك ، وقيل : إنه الجمار[2].

- ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ المراد بها : قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض . روي هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما [3].

وقيل المراد : قريبة من المتناول [4].

وقيل : دانية بعضها من بعض لتقاربها [5]

وقيل : سهلة الاجتناء للقائم والقاعد والنائم [6].

وفيه اختصار معناه : ومن النخل ما قنوانها دانية ، ومنها ما هي بعيدة ، فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لسبقه إلى الأفهام كقوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ [7].يعني الحر والبرد ، فاكتفى بذكر أحدهما [8]، ولأن الامتنان بالقريب أتم [9].

- ﴿ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ﴾أي : وخلق النخل والزرع ، مختلفاً ثمره وطعمه ، مثل : الحامض ، والحلو ، والمر ، والجيد ، والرديء [10].

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٤٤٥ ، وتفسير البغوي ٢/ ١١٨ .
(٢) تفسير الماوردي ٢/ ١٤٩ .
(٣) الوسيط ٢/ ٣٠٥ ، وتفسير الطبري ٩/ ٤٤٦ .
(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ١٥٩ .
(٥) تفسير الماوردي ٢/ ١٤٩ .
(٦) عيون التفاسير ٢/ ٢٩ .
(٧) سورة النحل آية / ٨١/ .
(٨) تفسير البغوي ٢/ ١١٨ .
(٩) عيون التفاسير ٢/ ٢٩ .
(١٠) تفسير السمرقندي ١/ ٥١٨ ، وتفسير البغوي ٢/ ١٣٥ .

- ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا ﴾ في النظر ، والشكل [١].

وقيل : مشتبهاً ورقهما ، مختلفاً ثمرهما [٢].

- ﴿ وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ في الطعم ، مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف[٣].

وحتى وهو يسقى بماء واحد ، وفي تربة واحدة إلا أن ثماره تختلف ، وتتفاوت ، وفي ذلك آية عظيمة ، وبرهان ساطع على أن خالقه سبحانه وتعالى هو الذي يفاوت بينه في الأكل قال سبحانه : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٤].

- ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ من رطبه ، وعنبه [٥]، وقدم ذكر الأكل لأمرين :

أحدهما : تسهيلاً لإيتاء حقه ، والثاني : تغليباً لحقهم وافتتاحاً بنفعهم بأموالهم[٦].

- ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ قيل: هي الصدقة المفروضة ، وهو قول الجمهور .

وقيل : هي صدقة غير الزكاة مفروضة يوم الحصاد والصرام .. قاله عطاء، ومجاهد.

---

(١) عيون التفاسير ٢/ ٤٢ ، وتفسير البغوي ٢/ ١٣٥ .

(٢) الوسيط ٢/ ٣٠٥ .

(٣) تفسير البغوي ٢/ ١٣٥ ، وعيون التفاسير ٢/ ٤٢ .

(٤) سورة الرعد آية / ٤/ .

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨١ .

(٦) تفسير الماوردي ٢/ ١٧٨ .

وقيل : إن هذا كان مفروضاً قبل الزكاة ثم نسخ بها قاله ابن عباس ، وغيره[١].

- ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ قيل المعنى : لا تسرفوا في الإعطاء فتعطوا فوق المعروف [٢].

قيل إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جذ نخلاً فقال : لا يأتين اليوم أحد إلا أطعمته ، فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة ، فقال الله "﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ "[٣].

وقيل المعنى : نهوا عن السرف في كل شيء ، وقال إياس بن معاوية : ما جاوزت به أمر الله فهو سرف ، وقال السدي : لا تعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء، وقال سعيد بن المسيب ، ومحمد بن كعب : لا تمنعوا الصدقة فتعصوا ربكم[٤].

واختار ابن جرير أن معناها : النهي عن جميع معاني الإسراف ولم يخصص منها معنى دون معنى[٥]. ولعل ما اختاره ابن جرير في معنى الآية هو الصواب ، والله أعلم .

وقال ابن كثير : ولا شك أنه [٦]صحيح ، لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية حيث قال تعالى : ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ

(١) تفسير الماوردي ٢/ ١٧٨ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٨١ ، وتفسير الطبري ٩/ ٥٩٥ وما بعدها .
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٢ .
(٣) تفسير الطبري ٩/ ٦١٥ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٨٢ .
(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٢ .
(٥) تفسير الطبري ٩/ ٦١٧ .
(٦) يشير إلى اختيار ابن جرير الطبري .

﴿ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ أن يكون عائداً على الأكل ، أي : لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن [(١)].

ولا شك أن الإسراف مذموم في دين الإسلام ، نهى الله عنه في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [(٢)].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [(٣)].

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [(٤)].

فالتوسط في الأمور كله خير ، وهكذا حتى في مجال الصدقة يحسن بالمؤمن أن يكون متوازناً فلا إفراط ولا تفريط .

٣- قال تعالى : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [(٥)].

- ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ أي : بقاع مختلفة ، يجاور بعضها بعضاً ، مع أن هذه طيبة تنبت ما ينفع الناس ، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئاً ،

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٢ .

(٢) سورة الأعراف آية / ٣١/ .

(٣) سورة الفرقان آية / ٦٧/ .

(٤) سورة الإسراء آية / ٢٩/ .

(٥) سورة الرعد آية / ٤/ .

هكذا روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وغير واحد .. ويدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض فهذه تربة حمراء ، وهذه بيضاء ،وهذه صفراء ، وهذه سوداء، وهذه محجرة ، وهذه سهلة ، وهذه مرملة ، وهذه سميكة ، وهذه رقيقة ، والكل متجاورات ، فهذه بصفتها ، وهذه بصفتها الأخرى ، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار ، لا إله إلا هو ولا رب سواه [١].

وقيل المراد بالمتجاورات : المدن وما كان عامراً ، وغير المتجاورات : الصحاري وما كان غير عامر [٢].

- ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾أي : بساتين كثيرة[٣]والجنة : كل بستان ذي شجر من نخيل وأعناب ، وغير ذلك ، سمي جنة لأنه يستر بأشجاره الأرض [٤].

– ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ ذكر سبحانه الزرع بين الأعناب والنخيل لأنه يكون في الخارج كثيراً كذلك .. ومثله في قوله سبحانه : ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [٥][٦].

قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص : "وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغير صنوانٌ" بالرفع في الجميع .

وقرأ الباقون : بالجر في كلها [٧].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٠٠ ، وفتح البيان ٥/ ٦٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ٦ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٤١٦ وما بعدها ، وعيون التفاسير ٢/ ٢٥٧ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٢ ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ٣/ ٤٦٨ ، وتفسير مجاهد / ٤٠٣/ .

(٢) تفسير الماوردي ٣/ ٩٣ .

(٣) عيون التفاسير ٢/ ٢٥٧ ، والوسيط للواحدي ٣/ ٤ .

(٤) فتح البيان ٥/ ٦٩ .

(٥) سورة الكهف آية / ٣٢/ .

(٦) فتح البيان ٥/ ٦٩ .

(٧) السبعة لابن مجاهد / ٣٥٦/ ، وحجة القراءات / ٣٦٩/ .

وكلهم كسر الصاد في صنوان ، وروي عن القواس ، عن حفص ، عن عاصم بضم الصاد والتنوين "صُنوان ولم يقله غيره عن حفص " [١].

- ﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ أي : يكون أصله واحد ، وفرعه متفرق ، وواحده صنو ، والاثنان : صنوان[٢].

وهذا قول جميع أهل اللغة والتفسير ، فالصنوان : جمع صنو، وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها [٣].

ويطلق الصنو على الغصن الخارج عن أصل الشجرة[٤].

وروي عن البراء رضي الله عنه : كالصنوان هي النخلات في أصل واحد ، وغير الصنوان : المتفرقات [٥].

"والصنو : المثل ، ومنه قوله ﷺ : "عم الرجل صنو أبيه" [٦] " [٧].

والمعنى:أن أصلها واحد ، يقال :فلان صنو فلان إذا كان أخاه وشقيقه لأمه وأبيه[٨].

- ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ ﴾.

---

(١) السبعة لابن مجاهد / ٣٥٦/ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٢٢ .

(٣) فتح البيان ٥/ ٦٩ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ٤١٢ .

(٤) المفردات / ٢٨٧/ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ٤١٢ .

(٥) تفسير الطبري ١٣/ ٤٢١ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٠٠ .

(٦) يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ٢/ ٦٧٧ وفيه يقول صلى الله عليه وسلم : "يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه " .

(٧) فتح البيان ٥/ ٦٩ .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري ١٢/ ٢٤٣ ، ومعجم مقاييس اللغة ٣/ ٣١٢ .

قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو: "تسقى" بالتاء ، و "نفضل" بالنون ، وقرأ حمزة ، والكسائي : "تسقى" بالتاء بمالة القاف ، و "يفضل" بالياء مكسورة الضاد .

وقرأ عاصم ، وابن عامر : "يُسْقَىٰ" بالياء ، " و"نفضل" بالنون [١].

والمعنى : تسقى هذه الأشجار بماء واحد وهو ماء السماء [٢].

وقيل : البئر واحدة ، والشرب واحد ، والجنس واحد [٣].

- ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ ﴾،عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ في قوله : "ونفضل بعضها على بعض في الأكل " قال : (الدقل[٤]، والفارسي ، والحلو ، والحامض) [٥].

والمراد من ذلك كله الإشارة إلى أن هذه الجنات من الأعناب ، والزرع ، والنخيل الصنوان وغير الصنوان تسقى بماء واحد عذب لا ملح ويخالف الله بين طعوم ذلك ، فيفضل بعضها على بعض في الطعم فهذا حلو وهذا حامض [٦]. وهذا كله دليل على قدرة الخالق جل وعلا ، وبديع صنعه .

قال الإمام الرازي عند تفسيره لهذه الآية :

وهذا كله يدل على أن هذه الحوادث السفلية لا بد لها من مؤثر ، وذلك المؤثر ليس هو الكواكب والأفلاك والطبائع ، وهنا يجب القطع بأنه لا بد من فاعل آخر سوى هذه الأشياء وعندها يتم الدليل ، ولا يبقى بعده

---

(١) السبعة لابن مجاهد / ٣٥٦/ ، وحجة القراءات / ٣٦٩/ .

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٤٢٩، وفتح البيان ٥/ ٧٠ .

(٣) الوسيط ٣/ ٥ .

(٤) قال الأزهري : وتمر الدقل من أردأ التمر ، إلا أن الدقلة تكون من مواقير النخل .تهذيب اللغة للأزهري ٩/ ٣١ ، ولسان العرب ١١/ ٢٤٦ .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ٤/ ٢٥٧ وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٦) تفسير الطبري ١٣/ ٤٣٠ .

للفكر مقام البته ، فلهذا السبب قال هاهنا "إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون" لأنه لا دافع لهذه الحجة إلا أن يقال : إن هذه الحوادث السفلية حدثت من غير مؤثر البته ، وذلك يقدح في كمال العقل ، لأن العلم بافتقار الحادث إلى محدث لما كان علماً ضرورياً ، كان عدم حصول هذا العلم قادحاً في كمال العقل فلهذا قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ، وقال في الآية التي قبلها:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1][2].

وقد ختمت هذه الآية بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وختمت الآية التي قبلها بقوله :﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فكان الختم تارة بالفكر ، وتارة بالعقل ، ووجه التنويع والمغايرة أن الحديث لما كان عن مدّ الأرض وإرسائها ، وأنهارها وزوجية أثمارها ، وإغشاء ليلها ونهارها ، ومثل هذه الآيات لا يمكن الوصول إليها ومعرفتها إلا بالاجتهاد والتدبر وإعمال الفكر ، فناسب الختم بيتفكرون.

أما الآية الثانية فقد اشتملت على آيات قريبة من الحس ، معروضة لجميع الإنس ، بحيث يشتركون جميعاً في بلوغ معانيها وإدراك المرام منها ، فلا تحتاج إلى إجهاد الفكر بل يكفيها مجرد العقل الذي يميز الإنسان عن الحيوان[3].

وفي هذا كله دعوة إلى النظر ، والتفكر ، والاعتبار ، ودعوة إلى إعمال الفكر والعقل في مخلوقات الله ، للنظر في بديع صنعه ، وجميل خلقه ، والذي يقود في النهاية إلى توحيده ، وتعظيمه ، وخوفه ، وخشيته .. وقد حفلت آيات القرآن بالكثير من الآيات الداعية إلى النظر والتفكر والتدبر .

---

(١) سورة الرعد آية / ٣/ .

(٢) تفسير الرازي ١٩/ ٧ .

(٣) تفسير سورة الرعد لمحمد صالح مصطفى / ٧٢/ .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [(١)].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [(٢)].

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [(٣)].

وهذا هو المقصود الأعظم من القرآن ، قراءته بتدبر وخشوع ، والعمل بما جاء فيه فإنه إنما أنزل ليعمل به ويتخذ نبراساً وهادياً إلى الله .

٤- قال تعالى : ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [(٤)].

٥- وقال تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [(٥)].

- ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ ﴾ أي: يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد ، على اختلاف في صنوفها ، وطعومها ، وألوانها ، وروائحها، وأشكالها [(٦)].

(١) سورة محمد آية / ٢٤/ .
(٢) سورة القمر آية / ١٧/ ، وآية / ٣٢/ ، وآية / ٤٠/ .
(٣) سورة الغاشية الآيات / ١٧ – ١٨ – ١٩ – ٢٠/ .
(٤) سورة النحل آية / ١١/ .
(٥) سورة النحل آية / ٦٧/ .
(٦) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٦٤ .

و"ٱلزَّرۡعَ " قال ابن عباس : يريد الحبوب ، "وَٱلزَّيۡتُونَ " جمع زيتونة ، يقال للشجرة نفسها زيتونة[١] ، وَٱلۡأَعۡنَٰبِ : أي : الكروم [٢].

- ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي:دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله كما قال تعالى :﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾ [٣] [٤]

- ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًا ﴾

لما ذكر سبحانه في الآية التي قبلها – من سورة النحل - بعض منافع الحيوانات ، ذكر في هذه الآية بعض منافع النبات [٥].

وقد امتن الله تعالى على عباده بهذه الآية بما يتخذونه من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب ، وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه ، ولهذا امتن به عليهم بقوله : "ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً" وقد دل هذا على إباحته شرعاً قبل تحريمه [٦].

---

(١) الوسيط للواحدي ٣/ ٥٨ .

(٢) عيون التفاسير ٢/ ٣٠٥ .

(٣) سورة النمل آية / ٦٠/ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٦٤ .

(٥) تفسير الرازي ٢٠/ ٦٧ .

(٦) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٤ .

وقيل : السكر ما حرم من شرابه ، والرزق الحسن ما أحل من ثمرته ، روي هذا القول عن ابن عباس وغيره [١].

وقيل : إن هذه الآية منسوخة نسخها تحريم الخمر [٢].

- ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ناسب ذكر العقل هاهنا فإنه أشرف ما في الإنسان، ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها[٣].

فإن قيل : الخمر محرمة فكيف ذكرها الله في معرض الإنعام ؟

أجيب عنه من وجهين :

الأول : ان هذه السورة مكية – سورة النحل – ، وتحريم الخمر نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير محرمة .

الثاني : أنه لا حاجة إلى التزام هذا النسخ ، وذلك لأنه تعالى ذكر ما في هذه الأشياء من المنافع ، وخاطب المشركين بها ، والخمر من أشربتهم فهي منفعة في حقهم ، ثم إنه تعالى نبه في هذه الآية أيضاً على تحريمها ، وذلك لأنه ميز بينها وبين الزرق الحسن في الذكر، فوجب ألا يكون السكر رزقاً حسناً ، ولا شك أنه حسن بحسب الشهوة ، فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسناً بحسب الشريعة [٤].

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٢٧٦ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٥ .
(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٢٧٩ ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ٤/ ٨١ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٥ .
(٤) تفسير الرازي ٢٠/ ٦٨ .

٦- قال تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ (١).

- ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ أي : اذكر لهم خبر رجلين ، قيل : نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل ، وكان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ ، والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد ابن عبد ياليل ، وقيل : هذا مثل لعيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان ، وأصحابه شبههما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس ، وقال مقاتل : تمليخا ، والآخر كافر واسمه قطروس ، وقال وهب : قطفير ، وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة الصافات(٢)، وكانت قصتهما أنهما ورثا عن أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها ، فعمد أحدهما فاشترى أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه : اللهم إن فلاناً اشترى أرضاً بألف دينار ، فإني أشتري منك ارضاً في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار ، فقال هذا : اللهم إن فلاناً بنى داراً بألف دينار ، فإني أشترى منك داراً في الجنة بألف دينار ، فتصدق بذلك ، ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار ، فقال هذا المؤمن : اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار ، فتصدق بألف دينار ، ثم اشترى صاحبه خدماً ومتاعاً بألف دينار ، فقال هذا اللهم إلي اشترى منك متاعاً وخدماً في الجنة بألف دينار ، فتصدق بألف دينار ، ثم أصابته حاجة شديدة ، فقال : لو أتيت

---

(١) سورة الكهف آية / ٣٢/ .

(٢) المراد بقوله جل وعلا : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [سورة الصافات الآيات / ٥١-٥٧] .

صاحبي لعله ينالني منه معروف، فجلس على طريقه حتى مر به في حشمه ، فقام إليه فنظر إليه الآخر فعرفه ، فقال : فلان؟ قال : نعم ، فقال : ما شأنك ؟ قال : أصابتني حاجة بعدك فأتيتك لتصيبني بخير ، فقال : ما فعل مالك وقد اقتسمنا مالاً فأخذت شطره فقص عليه قصته ، فقال : وإنك لمن المصدقين بهذا . اذهب فلا أعطيك شيئاً ...

وروى أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أموال نفسه ، فنزل فيهما "واضرب لهم مثلاً رجلين" [1]. وهذه القصة وإن لم تثبت بسند صحيح إلا أنها مما يستأنس به هنا ، لاسيما وانها تتعلق بموضوع واسع ، وهو مما تكلم فيه بعض المفسرين ونقلوا فيه مثل هذه الرواية .

ويروى أن اليهود قالوا – لقريش – : سلوه عن أصحاب الكهف ، وعن الروح ، وعن رجلين ؟ فأنزل الله عز وجل هذا ، وجعله مثلاً لجميع الناس[2].

وهذا المثل ضربه الله لمن يتغرر بالدنيا ، ويستنكف عن مجالسته الفقراء ، وعلى هذا فهو متصل بقوله قبل ذلك ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ [3].

– ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ ﴾ أي : بساتين من كروم [4].

والجنة : البستان [5]، فكان له بستان واحد وجدار واحد ، وكان بينهما نهر فلذلك كانا جنتين ، ولذلك سماه جنة من قبل الجدار الذي عليها [6].

(١) تفسير البغوي ٣/ ١٦١ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٩٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٨ .
(٢) معاني القرآن الكريم للنحاس ٤/ ٢٣٨ .
(٣) سورة الكهف آية / ٢٨/ ، وانظر : فتح البيان ٥/ ٤٥١ .
(٤) عيون التفاسير ٣/ ٤٧ .
(٥) تفسير الماوردي ٣/ ٣٠٥ .
(٦) فتح البيان ٥/ ٤٥١ .

-﴿ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾ أي : حوطناهما به ، وقد حف القوم بفلاف : إذا أحدقوا [١]، ومنه قوله سبحانه : ﴿ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ [٢].

فمعنى الآية : وجعل النخل مطبقاً بالجنتين من جميع جوانبها [٣].

- ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ أي جعلنا حول الأعناب النخيل،ووسط الأعناب الزرع ، وقيل : بينهما أي : بين الجنتين زرعاً يعني لم يكن بين الجنتين موضع خراب [٤].

وهكذا فإن الله جل وعلا ذكر هاتين الجنتين بتلك الصفة الحسنة الجميلة ، وهما مما يفضله أرباب الأموال والتجارات ، ويرغبوا في تملكه لما له من الحسن والجمال ، ولما يكون فيه من النماء والثمار ، فلا تقع العين إلا على منظرٍ حسن أخاذ ، وهذا مما يمتن الله به على عباده ، ويذكرهم بأن الواجب أن يدفعهم هذا إلى مزيد القرب منه ، لا إلى البعد عنه ، بل محاربته ومبارزته بالكفر كما حصل لصاحب الجنتين هنا ، وهذا من الخذلان عياذاً بالله من ذلك .

٧- قال تعالى: ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [٥].

٨- وقال تعالى : ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ [٦].

---

(١) معاني القرآن الكريم للنحاس ٤/ ٢٣٨ .
(٢) سورة الزمر آية / ٧٥/ .
(٣) فتح البيان ٥/ ٤٥١ .
(٤) تفسير البغوي ٣/ ١٦١ .
(٥) سورة المؤمنون آية / ١٩/ .
(٦) سورة الشعراء آية / ١٤٨/ .

٩- وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ [١].

- ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ ﴾ يعني : وأخرجنا بالماء ، جنات :يعني : الخضرة ، ويقال: جعلنا لكم بالماء البساتين[٢].

- ﴿ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما فإنهما يقومان مقام الطعام والإدام والفواكه رطباً ويابساً ، وقيل : اقتصر عليهما لأنهما الموجودان في الطائف والمدينة وما يتصل بذلك ، وقيل : لأنهما أشرف الأشجار ثمرة وأطيبها منفعة وطعماً ولذة[٣].

- ﴿ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي : لكم في الجنات فواكه كثيرة ، تتفكهون بها ، تطعمون منها شتاءً وصيفاً ، وقيل : ومن هذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعاشكم ، كقولهم : فلان يأكل من حرفة كذا وهو بعيد [٤].

واختلف في لفظ الفاكهة على ماذا يطلق ، وأحسن ما قيل : إنها تطلق على الثمرات التي يأكلها الناس ، وليس بقوت لهم ولا طعام ولا إدام[٥].

- ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ الطلع الكفرى[٦]وهو عنقود التمر قبل أن يخرج من الكم في أوله نباته[٧]، وطلع إناث النخل ألطف ، وهو ما يطلع

(١) سورة يس آية / ٣٤/ .

(٢) تفسير السمرقندي ٢/ ٤١١ .

(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٢٨ ، وفتح البيان ٦/ ٢٧٥ .

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ٢٨ ، وفتح البيان ٦/ ٢٧٥ .

(٥) فتح البيان ٦/ ٢٧٦ .

(٦) الكُفُرَّى : وعاء طلع النخل ، وهو أيضاً الكافور ، وهو وعاء الطلع وقشره الأعلى . انظر : لسان العرب ٥/ ١٤٩ .

(٧) تفسير الثعالبي ٣/ ١٥٠ ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٢/ ٤٧٥ .

معها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو[١]، "هضيم" قال الضحاك : يركب بعضه بعضاً [٢].

وقيل: هو المنضم في وعائه قبل أن يظهر ومنه رجل أهضم الجنبين أي : منهضمهما، وهذا قول أهل اللغة [٣].

وقال مجاهد : إنه المتهشم المتفتت إذا مس تفتت[٤].

وقال الحسن : إنه الذي ليس فيه نوى[٥].

وقال عكرمة : الرطب اللين[٦].

وقال سعيد بن جبير : المذنب من الرطب[٧].

وقال ابن عباس : اليانع النضيد[٨].

وقال النحاس : أي هاضم مريء لطيف أول ما طلع[٩].

قال الطبري بعد ذكره لجملة من الأقوال في معنى الهضيم : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الهضيم هو المنكسر من لينه ورطوبته ، وذلك من قولهم : هضم فلاناً فلاناً حقه ، إذا انتقصه وتحيّفه ، فكذلك الهضم في الطلع ،

---

(١) تفسير البيضاوي / ٤٩٤/ .

(٢) معاني القرآن الكريم للنحاس ٥/ ٩٥ ، وتفسير الطبري ١٧/ ٦٢٠ .

(٣) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٤/ ٢٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٨٦ .

(٤) تفسير مجاهد / ٥١٢/ ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٤/ ٢٩٣ .

(٥) تفسير الحسن البصري ٢/ ١٧٨ .

(٦) تفسير الماوردي ٤/ ١٨٢ .

(٧) تفسير الماوردي ٤/ ١٨٢ ، وتفسير القرطبي ١٣/ ٨٦ .

(٨) تفسير الطبري ٢٧/ ٦١٩ ، وتفسير الماوردي ٤/ ١٨٣ .

(٩) معاني القرآن الكريم للنحاس ٥/ ٩٥ .

إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه ، إما بمس الأيدي ، وإما بركوب بعضه بعضاً [١].

والذي يظهر والله أعلم أن لفظ الآية يحتمل كل هذه المعاني سواء ما قاله أهل اللغة، أو أهل التفسير لأنها جميعاً معاني متقاربة وكلها يمر بها ثمر النخلة منذ أن كان طلعاً إلى أن ينتهي إلى وقت الصرام .. ، وهو مع ذلك كله هاضم مرىء سهل الهضم وسريعه ، يمتصه الجسم بسرعة فائقة ، ولذا شرع للصائم الإفطار على التمر والله أعلم .

- ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ أي : جعلنا في الأرض ، "جنات" من أنواع النخل والعنب ، وخصهما بالذكر لأنهما أعلى الثمار ، وأنفعها للعباد[٢].

- ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ يعني : أجرينا في الأرض الأنهار تخرج من العيون [٣].

١٠- وقال تعالى : ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾[٤].

١١- وقال تعالى : ﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴾[٥].

١٢- وقال تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [٦].

١٣- وقال تعالى : ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾ [٧].

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٦٢٠ .
(٢) تفسير القرطبي ١٥/ ١٨ ، وفتح البيان ٨/ ٢٠ .
(٣) تفسير السمرقندي ٣/ ٩٨ .
(٤) سورة ق آية / ١٠/ .
(٥) سورة الرحمن آية ١١.
(٦) سورة الرحمن آية / ٦٨/ .
(٧) سورة عبس آية (٢٩)

- ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ قال مجاهد ، وعكرمة وقتادة : طوالا .

يقال : بسقت النخلة بسوقاً إذا طالت[١] .

وقال سعيد بن جبير : مستويات [٢] .

وقال عكرمة : أنها التي قد ثقلت من الحمل[٣] .

والأشهر في لغة العرب : القول الأول ، يقال : بسقت النخلة بسوقاً إذا طالت ، وبسق فلان الناس : أي طالهم وزاد عليهم في الفضل ، وحسن الذكر[٤] .

- ﴿ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾ أي:بعضه على بعض[٥]، والطلع هو أول ما يخرج من ثمر النخل ، يقال طلع الطلع طلوعاً ، ويسمى طلعاً قبل أن ينفتح ، فهو نضيد في أكمامه فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد[٦] .

وقيل : النضيد : المنظوم .

وقيل : هو القائم المعتدل [٧] .

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٢١ ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٢٦٩ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٣٤٣ ، وتفسير الطبري ٢١/ ٤١٢ ، وتفسير مجاهد / ٦١٢/ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٢١ .

(٣) تفسير الماوردي ٥/ ٣٤٣ .

(٤) فتح البيان ٩/ ٩٥ ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ١/ ٢١٦ .

(٥) تفسير الطبري ٢١/ ٤١٣ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٣٤٣ ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٢٦٩ .

(٦) فتح البيان ٩/ ٩٥ ، وانظر : صحيح البخاري ٦/ ٤٧ .

(٧) تفسير الماوردي ٥/ ٣٤٣ .

وفي كون طلع هذه النخيل متراكباً بعضه على بعض ، زيادة إنعام عليهم ، وامتنان .. وهذا من البركة التي تكون في هذه الثمار .

- ﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴾ الفاكهة : كل ما يتفكه به الإنسان من ألوان الثمار ، والنعم التي لا تحصى[١].

وٱلْأَكْمَامِ : جمع كُمّ ، وهو وعاء الثمرة ، وكل ما غطى شيئاً فهو كم له ، ومنه : كم القميص لتغطيته اليد ، ويجمع على كمام أيضاً ، وأكمة ، وأكاميم .

وقيل : أكمام النخلة : ما غطى جمارها من الليف والسعف[٢].

ومعنى ذات الأكمام : ذات الليف ، فإن النخلة قد تكمم بالليف ، وكمامها : ليفها الذي في أعناقها [٣]. وقيل : ذات الأكمام : ذات الطلع قبل أن يتفتق [٤].

قال الطبري : والصواب أن يقال : عني بذلك أنها ذات ليف ، وهي فيه متكممه ، وذات طلع ، وهو في جفِّه [٥]متكمم ، فيُعَمَّ كما عم ذلك جل ثناؤه[٦].

- ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ هذا من صفات الجنتين المذكورتين في السورة الكريمة قبل ذلك ، وقد اختلف في المعنى الذي من أجله أعيد ذكر

(١) تفسير القرطبي ١٧/ ١٠٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٦٦ .

(٢) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٣/ ٥٠١ ، وفتح البيان ٩/ ٢١٩ ، ولسان العرب المحيط ١٢/ ٥٢٦ .

(٣) تفسير القرطبي ١٧/ ١٠٢ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٣٤٣ .

(٤) تفسير القرطبي ١٧/ ١٠٢ .

(٥) جف الطلعة : وعاؤها الذي تكون فيه . انظر : لسان العرب ٩/ ٢٨ .

(٦) تفسير الطبري ٢٢/ ١٨٣ .

النخل والرمان ، وقد ذكر قبل أن فيهما الفاكهة: فقال بعضهم : أعيد ذلك لأن النخل والرمان ليسا من الفاكهة . وقال آخرون : هما من الفاكهة [(١)].

وخص هاتين الفاكهتين بالذكر : لمزيد حسنهما ، وكثرة نفعهما بالنسبة على سائر الفواكه .

وقيل : إنما خصهما لكثرتهما في أرض العرب ، لأن النخل عامة قوتهم ، والرمان كالشراب ، فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليهما .

وقيل : خصهما لأن النخل فاكهة وطعام ، والرمان فاكهة ودواء [(٢)].

وقد أخرج عبد الرزاق في تفسيره ، عن معمر ، عن رجل ، عن سعيد ابن جبير في هذه الآية قال : نخل الجنة جذوعها ذهب ، وكرانيفها زمرد ، أو قال : جذوعها زمرد ، وكرانيفها ذهب ، وسعفها كسوة أهل الجنة ، ورطبها كالدلاء أشد بياضاً من اللبن ، وألين من الزبد ، وأحلى من العسل ، ليس له عجم [(٣)].

وأخرج الطبري بإسناده ، عن وهب الذماري قال : بلغنا أن في الجنة نخلاً جذوعها من ذهب ، وثفاريقها [(٤)] من ذهب ، وجريدها من ذهب ، وسعفها كسوة لأهل الجنة ، كأحسن حلل رآها الناس قط ، وشماريخها [(٥)] من ذهب ،

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٦٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ١٠٣ .

(٢) فتح البيان ٩/ ٢٤٦ ، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٢١ .

(٣) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٦٦ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ٢٦١ ، والعَجَمُ بالتحريك : النوى ، نوى التمر .. الواحدة عجمة ، مثل قصبة وقصب . لسان العرب ١٢/ ٣٩١ .

(٤) الكرانيف جمع واجده كُرنافة وهي : أصول الكرب تبقى في الجذع بعد قطع السعف . انظر : القاموس المحيط ٣/ ١٩٦ .

(٥) الشماريخ : جمع شمراخ والشمراخ وهو الذي يكون عليه البسر . انظر : تهذيب اللغة ٧/ ٦٤٦ .

وعراجينها [١] من ذهب ، وتفاريقها[٢] من ذهب ، ورطبها أمثال القلال أشد بياضاً من اللبن والفضة ، وأحلى من العسل والسكر ، وألين من السمن والزبد [٣].

- ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾ الزيتون : هو ما يعصر منه الزيت ، وهو شجرة الزيتون المعروفة، والنخل : جمع نخلة [٤]. وهي شجرة التمر وفي هذه الآية ، وما قبلها ، وما بعدها يمتن الله على عباده بإنزال المطر الذي هو سبب الحياة للإنسان والنبات بعد الله جل وعلا ، ثم شقه سبحانه للأرض بأنواع النبات وأشكاله المختلفة ، مما يكون غذاء للإنسان ، وغذاء للحيوان، ثم هذه النباتات تكون مختلفة الأشكال ، والأحجام ، والألوان ، والطعوم ، وكل ذلك بقدرة الخالق جل وعلا ، وهو القادر بعد ذلك على إحياء الموتى وبعثهم ، ثم مجازاتهم على أعمالهم ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وتعالى إله الأولين والآخرين .

المبحث السادس : ذكر النخلة مثالاً على ما حل بالأمم السالفة من العذاب

ضرب الله النخلة كمثال على ما نزل بالأمم السابقة من العذاب في موضعين من كتابه الكريم .. حيث شبه سبحانه ما حل بالمعاندين من قوم هود عليه السلام بعد نزول العذاب بهم بأعجاز النخيل الخاوية ، وهو تشبيه رهيب تقشعر منه الأبدان ، فبعد أن كانت هذه الأجسام قمة في الجمال والكمال ، وغاية في القوة والجبروت ، صارت مثل بقايا النخل البالية ، إنه تشبيه يبعث في النفس الإنسانية الخوف والرهبة من الجبار جل وعلا إذا هم خالفوا أمره ، وعصوا

---

(١) العراجين جمع عرجون وهو العذق إذ يبس واعوج ، وقيل هو أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً . لسان العرب المحيط ١٢/ ٢٨٤ .

(٢) الثقاريق : العناقيد تخرط مما عليها فيبقى عليها التمرة والتمرتان والثلاث . تهذيب اللغة ٩/ ٤١٥ .

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٦٧ .

(٤) فتح القدير ٥/ ٣٨٥ .

رسوله ، وحادوا عن منهجه ودعوته ، وهو دليل على أن الخلق ليس أهون منهم على الله إذا هم عصوه وحاربوه ، فإنه ليس بينه وبين أحد منهم نسباً .

١ – قال تعالى : ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾[١].

٢ – وقال تعالى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[٢].

– ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ ﴾ أي : تقلعهم من الأرض من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها[٣].

قيل : كانت تقلع الناس وترمي بهم على رؤسهم ، فتندق رقابهم وتبين من أجسادهم[٤].

وقيل : تنزع الناس من البيوت ، وقيل : من قبورهم لأنهم حفروا حفائر فدخلوها[٥].

– ﴿ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ الأعجاز : جمع عجز وهو مؤخر كل شيء ، وعن ابن عباس قال : أصول النخل ، وعنه قال : أعجاز سواد النخل[٦]، والعجز في الأصل مؤخر الإنسان ، ثم شبه مؤخر غيره به[٧].

---

(١) سورة القمر آية / ٢٠/ .
(٢) سورة الحاقة آية / ٧/ .
(٣) فتح القدير ٥/ ١٢٥ .
(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٥ .
(٥) فتح البيان ٩/ ٢٠٤ .
(٦) فتح البيان ٩/ ٢٠٤ .
(٧) المفردات للراغب الأصفهاني / ٣٢٢/ ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٣/ ٤٠ .

وقوله "مُّنقَعِرٍ" أي : منقطع ، ساقط ، يقال : قعرت النخلة إذا قلعتها من أصلها حتى تسقط ، وقد انقعرت هي . شبههم في طول قاماتهم حيث صرعتهم الريح وكبتهم على وجوههم بالنخيل الساقطة على الأرض التي ليست لها رؤوس ، وذلك أن الريح قلعت رؤوسهم أولاً ثم كبتهم على وجوههم [(١)].

- ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ ﴾ أي : سلطها كذا قال مقاتل [(٢)].

وقيل : أرسلها ، وقال الزجاج : أقامها عليهم كما شاء [(٣)].

- ﴿ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ أي : المتتابعة ، قال الفراء: الحسوم : التباع ، إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره ، قيل فيه : حسوم ، وإنما أخذ والله أعلم من حسم الداء إذا كوى صاحبه ، لأنه يكون بمكواة ثم يتابع ذلك عليه [(٤)].

وهذا الذي قاله الفراء في معنى الحسوم هو قول عامة المفسرين [(٥)].

وقال الزجاج : الذي توجبه اللغة أن معنى حسوماً : تحسمهم حسوماً ، أي : تذهبهم وتفنيهم [(٦)].

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٢١٠ ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٣٠٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٨٩ ، وفتح البيان ٩/ ٢٠٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٣٩٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٤ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٠ .

(٥) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٤٤ ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٣٩٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٦ ، وتفسير مجاهد/ ٦٧١/ ، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢١٤ ، وفتح البيان ١٠/ ٤٥ ، وفتح القدير ٥/ ٢٨٠ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢١٤ .

- ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ ﴾ جمع صريع أي : موتى [١].

- ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ أي : أصول نخل ساقطة، أو بالية ، وقيل : خالية لا جوف فيها[٢].

وهكذا شبه الله هؤلاء العصاة ، العتاة ، بتلك النخيل التي سقطت رؤسها، وقلعت هي من أصولها ، وخلت أوساطها وهذا حالهم بعد أن صرعتهم الريح ، وألقت بهم على وجه الأرض فصاروا عبرة لكل معتبر . وفي تشبيههم بهذه الاعجاز – اعجاز النخل – بهذه الصورة ، صورة تدل على مقدار العذاب الذي لحق بهم ، وبشاعة النهاية التي انتهوا إليها وصاروا ، بسبب كفرهم وعنادهم ، وتكبرهم وتجبرهم ، فكما أن أعجاز النخل البالية ، إذا سقطت على الأرض ، وتهشمت لا يلقي لها الناس بالاً ، ولا يكترثون بها ، فكذلك هؤلاء الذين صرعتهم الريح ، وألقت بهم على قارعة الطريق ، صاروا شيئاً لا يفطن له ، بعد القوة التي كانوا عليها ، والجبروت الذي أعلنوه ، وهكذا فما أهون الخلق على الله إذا هم خالفوا أمره ، وحاربوا دعوة رسله ، وعاندوا وتكبروا ، فإن نهايتهم ستكون إلى ذل وهوان والله أعلم .

المبحث السابع : ذكر النخلة في معرض تعنت المشركين عن إجابة دعوة الرسول

قال تعالى : ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [٣].

---

(١) فتح القدير ٥/ ٢٨٠ ، وفتح البيان ١٠/ ٤٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٦ .

(٢) فتح القدير ٥/ ٢٨٠ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٦ ، والوسيط للواحدي ٤/ ٣٤٤ .

(٣) سورة الإسراء آية / ٩١/ .

- ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ ﴾ أي : بستان تستر أشجاره أرضه ، والمعنى : هب أنك لا تفجر الأنهار لأجلنا ففجرها لأجلك بأن تكون لك جنة ، وقال ابن عباس : جنة : ضيعة [(١)].

- ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ ﴾ خصوهما بالذكر لأنهما كانا الغالب في تلك النواحي ، ولكثرة فوائدهما [(٢)].

- ﴿ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ أي : تجريها بقوة [(٣)].

- ﴿ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾ أي : وسطها تفجيراً كثيراً ، وتشقيقاً [(٤)] ، والمقصود إما إجراء الأنهار خلالها عند سقيها ، أو إدامة إجرائها [(٥)].

في هذه الآية الكريمة يذكر الله جل وعلا تعنت المشركين ، وتصلبهم حيث اجتمعوا برسول الله ﷺ وطلبوا منه عدة مطالب وهي :

أن يفجر لهم ينبوعاً من الأرض ، وأن يوسع الله لهم بلادهم بأن يبعد عنهم جبالها، ويفجر فيها الآبار ، وتتحول إلى جنات وبساتين ، أو أن تسقط السماء عليهم كسفاً ، أو أن تكون له جنة من نخيل وعنب ، أو يأتي بالله والملائكة قبيلا، أو يكون له بيت من ذهب، أو يرقى في السماء فينزل عليهم كتاباً يقرؤنه ، وكلها مطالب تعجيزية ، ليس الهدف منها التوثق والاطمئنان كما هو زعمهم ، بل

---

(١) فتح القدير ٣/ ٢٥٧ ، وفتح البيان ٥/ ٤٠٥ .

(٢) الضياء في تفسير سورة الإسراء / ٢٨٩/ .

(٣) فتح القدير ٣/ ٢٥٧ ، وفتح البيان ٥/ ٤٠٥ .

(٤) فتح القدير ٣/ ٢٥٧ ، وفتح البيان ٥/ ٤٠٥ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٧ .

(٥) الضياء في تفسير سورة الإسراء / ٢٨٩/ .

الهدف إحراج النبي ﷺ ، وإظهار أنهم قد غلبوه ، حيث طالبوه بهذه الأشياء ، فجاءه الجواب من ربه قل لهم تعجباً من فرط حماقتهم "سبحان ربي"!!

فالله جل وعلا قد أعطى نبيه ﷺ من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله ، مثل القرآن ، وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وغير ذلك ، وليست تلك المعجزات بأقل مما اقترحوه ، بل هي أعظم ، ولكن القوم كانوا متعنتين ، معاندين ، ولم يكن قصدهم ولا مرادهم طلب الدليل والاسترشاد ، وقد علم الله ذلك منهم ، وأنهم لن يؤمنوا حتى ولو تحققت هذه المطالب قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [2]. والله أعلم .

فتلك المطالب من هؤلاء المعاندين ، ما هي إلا بقصد التعجيز والاحتيال، ومحاولة إظهار الرسول صلى الله عليه وسم بمظهر العاجز ، وذلك بعد عجزهم عن مجاراة الرسول ﷺ في تحديه لهم بأن يأتوا بمثل القرآن ، أو بمثل عشر سور منه ، أو بمثل سورة منه ، فلما أعيتهم الحيلة ، لجأوا إلى هذه الطلبات المعجزة ، والأمور البعيدة ، مع أنهم لن يستجيبوا حتى لو تحققت تلك المطالب كما مر معنا ولكنه العناد والصلف والغرور.

---

(١) سورة يونس آية / ٩٦ – ٩٧/ .

(٢) سورة الأنعام آية / ١١١/ .

المبحث الثامن : سياق النخلة في معرض ضرب المثل

قال تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

هذا مثل ضربه الله جل وعلا للمنافقين الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، وليس ابتغاء مرضاة الله جل وعلا ، فالناس بما يُظهر من الصدقة ، واعطاء ما يعطي ، وعمله الظاهر ، يثنون عليه ويحمدونه، فعمله هذا في حسنه كحسن هذا البستان الزائل الذي ضربه الله لعمل هذا المنافق مثلاً من نخيل وأعناب ، له فيه من كل الثمرات ، لأن المنافق في عمله الذي يعمله في الظاهر في الدنيا له فيه من كل خير من عاجل الدنيا ، يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذريته ، ويكتسب به الحمد وحسن الثناء عند الناس ، ويأخذ به سهمه من المغنم ، إلى غير ذلك ، فله في ذلك الكثير من خير الدنيا كما وصف سبحانه هذه الجنة التي ضربها مثلاً لعمله ، بأن فيها من كل الثمرات ، وهي في أوج عطائها ، ونمائها ، وإثمارها ، فأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار أطفال ، فأصاب هذه الجنة إعصار فيه نار ، وهي الريح الشديدة المصحوبة بالنار فأحرقت تلك الجنة ، وهو في قمة حاجته إليها ، وضرورته إلى ثمرها ، لكبره وضعفه عن القيام عليها وإصلاحها ومتابعتها ، وأولاده صغار لا يستطيعون ذلك ، فبقي ولا شيء له، فكذلك المنافق الذي ينفق ماله رياء للناس ، وطمعاً في ثنائهم ، يطفىء الله نور عمله ، ويذهب بركته وفائدته إذا لقي ربه يوم القيامة وهو أحوج ما يكون لهذا

(١) سورة البقرة آية / ٢٦٦/ .

العمل، في وقت لا مجال فيه للتوبة والرجوع ، والعمل ، وهكذا شبه الله هذا المنافق المنفق ماله لأجل الناس ، يعود قصده هذا عليه ، ويرجع وزر عمله عليه في ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [١]، وكذلك حال من يبطل صدقاته بالمن والأذى فإنه يشبه هذا " [٢].

- ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ أي : أيحب أحدكم[٣].

- ﴿ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ الجنة تطلق على الشجر الملتف ، وعلى الأرض التي فيها شجر[٤]، وهي البستان .

- ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ إنما ذكر النخيل والأعناب ، لأنهما من أنفس ما يكون في البساتين [٥]، ولأنهما يجمعان فنون المنافع لما فيهما من الغذاء والتفكه [٦].

- ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ لأن أنفس البساتين ما كان ماؤها جارياً [٧].

- ﴿ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ من النخيل ، والأعناب ، والفواكه [٨]، فليس شيء من الثمار إلا وهو فيها نابت [٩].

---

(١) سورة الشعراء آية / ٨٨ – ٨٩/ .

(٢) أحكام من القرآن الكريم لمحمد بن صالح بن عثيمين ٢/ ٢٨٤ .

(٣) سورة البقرة آية / ٢٦٦/ .وانظر : تفسير البغوي ١/ ٢٥٤ ، وزاد المسير١/ ٣٢٠

(٤) فتح القدير ١/ ٢٨٨ .

(٥) زاد المسير ١/ ٣٢٠ .

(٦) فتح البيان ١/ ٤٤٦ .

(٧) تفسير الماوردي ١/ ٣٤١ .

(٨) أحكام من القرآن لابن عثيمين ٢/ ٢٨٣ .

(٩) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٠٧ .

- ﴿ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ ﴾ أصابه الكبر : لا يستطيع أن يعمل فيها ، وله ذرية ضعفاء : لا يقومون بما ينبغي لهذه الجنة[1]، لأن الكبر قد ينسي من سعي في الشباب في كسبه فيكون أضعف أملاً وأعظم حسرة ، وهو على ذريته الضعفاء أخوف وأحنّ ، وإشفاقه عليهم أكثر[2]،وفي هذا كله زيادة ألم نفسي عليه يضاف إلى الواقع الذي يعيشه

- ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ في المراد بالإعصار قولان : أحدهما : إنه السموم الذي يقتل[3] .

والثاني : الإعصار ريح تهب من الأرض إلى السماء كالعمود تسميها العامة الزوبعة، وإنما قيل لها إعصار لأنها تلتف كالتفاف الثوب المعصور [4].

وقيل : إنها الريح التي فيها برد [5].

وإنما قيل للريح إعصار ، لأنه يعصر السحاب ، والسحاب معصرات [6].

- ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ أي يوضح لكم الدلائل،ويضرب لكم الأمثال[7].

---

(١) أحكام من القرآن لابن عثيمين ٢/ ٢٨٣ .

(٢) تفسير الماوردي ١/ ٣٤١ .

(٣) تفسير الطبري ٤/ ٦٩٠ ، وتفسير الماوردي ١/ ٣٤١ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٢٣٠ ، والجامع لأحكام القرآ، ٣/ ٢٠٧ .

(٤) تفسير البغوي ١/ ٢٥٢ ، وتفسير الماوردي ١/ ٣٤١ ، والوسيط للواحدي ١/ ٣٨٠ ، وزاد المسير ١/ ٣٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٠٧ .

(٥) تفسير الطبري ٤/ ٦٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٠٧ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٠٧ .

(٧) تفسير الماوردي ١/ ٣٤١ .

- ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي تعتبرون ، وقيل : تهتدون [١].

وهكذا تتبين للمنصف العاقل بلاغة القرآن الكريم في ضرب الأمثال التي تشد الذهن إلى الإصغاء لما يلقى ، والتي تدفع المؤمن إلى التدبر لكتاب ربه ، فيزداد بذلك عقلاً وفهماً وإدراكاً لما يريده الله منه ، ولذا ختم جل وعلا هذه الآية بقوله "لعلكم تتفكرون" ، وهذا يدلنا على أهمية التفكر والتدبر في كتاب اله جل وعلا ، والنظر في آياته نظر تمعن واعتبار، وأن يكون هذا التفكير في آيات الله الشرعية والكونية مبنياً على آيات الله عز وجل ، لا على أفكار منحرفة ، لأن الإنسان قد يكون لديه ثقافة وتفكير ولكنها مبنية على أفكار منحرفة، فيزداد ضلالاً ، وإنما التفكير النافع ما كان في آيات الله ، مبنياً على نصوص الشرع المطهر .

ولقد حفل كتاب ربنا بالآيات التي تدعو إلى التدبر وإعمال الذهن والعقل ليزداد المرء إيماناً مع إيمانه ، وليقتنع المتجرد المنصف من غير المؤمنين ، إذا نظر إلى هذه الآيات بعين الإنصاف والبصيرة ، بأن هذا الدين حق وصواب قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [٢].

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [٣].

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

(١) الماوردي ١/ ٣٤١ .

(٢) سورة محمد آية / ٢٤/ .

(٣) سورة القمر آية / ١٧/ .

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (1).

المبحث التاسع : استخدام الجبابرة للنخلة في تعذيب المؤمنين

قال تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ (2).

– ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ يقال: آمن له، وآمن به، فمن الأول قوله: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ (3)، ومن الثاني، قوله: ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ (4)، وقيل: إن الفعل هنا متضمن معنى الاتباع (5).

قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: (ءامنتم) على لفظ الخبر، وقرأ أبو عمرو، ونافع، وابن عامر: (ءاامنتم) بهمزة ممدودة، استفهام.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم (ءآمنتم) بهمزتين الثانية ممدودة، والأولى للاستفهام (6).

---

(1) سورة آل عمران الآيات / ١٩٠ – ١٩١/ .
(2) سورة طه آية / ٧١/ .
(3) سورة العنكبوت آية / ٢٦/ .
(4) سورة الأعراف آية / ١٢٣/ .
(5) فتح القدير ٣/ ٣٧٦ .
(6) السبعة لابن مجاهد / ٤٢١/ ، وحجة القراءات / ٤٥٨/ .

- ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ قال ابن عباس : يريد معلمكم ، قال الكسائي : الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه ، قال : جئت من عند كبيري [١].

وقيل المعنى : إن موسى لعظيمكم الذي علمكم السحر [٢].

- ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ أي : فلأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم مخالفاً بين قطع ذلك ، وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين ، أو يسرى اليدين ويمنى الرجلين ، فيكون ذلك قطعاً من خلاف ، وكان أول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون [٣].

- ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ يعني : على أصول النخل [٤] ، وإنما قال : (في جذوع) ؛ لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها ، ثم يصير عليها ، فيقال : صلب عليها[٥].

- ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ أي : أدوم ، أنا على إيمانكم ، أو رب موسى على تركهم الإيمان به [٦].

وهكذا بين الله لنا كيف يفعل الجبابرة ، والمتغطرسون ، الذين لا يؤمنون بالله جل وعلا مع من خالفهم في توجههم ، واعتقادهم فهذا فرعون عدو الله لما

(١) زاد المسير ٥/ ٣٠٧ ، والوسيط للواحدي ٣/ ٢١٤ .
(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ١١٤ .
(٣) تفسير الطبري ١٦/ ١١٥ .
(٤) تفسير السمرقندي ٢/ ٣٤٩ .
(٥) تفسير الطبري ١٦/ ١١٥ .
(٦) زاد المسير ٥/ ٣٠٧ ، والوسيط للواحدي ٣/ ٢١٤ .

آمن السحرة بموسى – عليه السلام – بعد أن عرفوا الحق وميزوه ، اتهمهم بهذا الاتهام وأن موسى كبيرهم الذي علمهم السحر ، قال هذا القول أمام قومه ليخدعهم ، وإلاَّ فهو يعلم علم اليقين أنه لا اتصال بينهم وبين موسى ، ثم توعد هؤلاء المؤمنين بالعذاب الأليم البشع ، بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ويصلبهم في جذوع النخل حتى الموت ، ليكون في ذلك تخويفاً لكل من تسول له نفسه الخروج عن دين فرعون ، ولكن هيهات فقد انفلت الأمر من يدي فرعون وزبانيته ، وسارع الناس في الدخول في دين الله ، ثم صار لهم ما صار بعد ذلك حتى أغرق الله فرعون وأتباعه ، ونجى موسى وقومه فصارت العاقبة للمؤمنين المتقين والله غالب على أمره ، ومُتم نوره ولو كره الكافرون .

ولعل صلبه لهم في جذوع النخل دون غيرها من الأشجار ، لكثرة النخيل لديهم في ذلك الوقت ، أو لمكانة النخلة عندهم وفي نفوسهم ، أو لأن المكان الذي وقع فيه هذا الحديث كان مكاناً كثير النخل ، فربطهم في تلك النخيل وعمل بهم ما عمل .

المبحث العاشر : لجوء مريم – عليها السلام – إلى النخلة وكونها مصدر رزق وطعام لها

١ – قال تعالى : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [١].

٢ – وقال تعالى : ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [٢].

(١) سورة مريم آية / ٢٣/ .

(٢) سورة مريم آية / ٢٥/ .

- ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي : ألجأها، يُقال : جاءها وأجاءها بمعنى واحد [١]. وقيل : فجأها المخاض [٢] ، أي جاءها فجأة ، والمخاض هو ألم الولادة ، وبداياتها .

- ﴿ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ أي : ساق النخلة [٣]، وكانت نخلة يابسة في الصحراء ، ليس لها رأس ولا سعف ، وقيل : التجأت إليها لتستند إليها ، وتتمسك بها على وجع الولادة[٤].

- ﴿ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾ تمنت الموت استحياء من الناس ، وخوف الفضيحة[٥].

- ﴿ وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ النسي : ما أغفل من شيءٍ حقير ونسي . قال ابن عباس، وقتادة : شيئاً متروكاً لا يذكر ، وقال عكرمة ، ومجاهد : حيضة ملقاة ، والمنسي : المتروك الذي لا يذكر [٦] ، وقيل : شيئاً تافهاً لا يؤبه له ، مما حقه أن ينسى ويترك ، قلة مبالاة به ، ولم يكفها أن تتمنى أن تكون شيئاً تافهاً حتى بالغت فيه فقالت (منسياً) [٧].

قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم: (نِسيا) بكسر النون .

---

(١) الوسيط للواحدي ٣/ ١٨٠ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٣٢١ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٩٢ .
(٢) تفسير الماوردي ٣/ ٣٦٢ .
(٣) زاد المسير ٥/ ٢٢٠ .
(٤) تفسير البغوي ٣/ ١٩٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٢٠ .
(٥) تفسير البغوي ٣/ ١٩٢ ، والوسيط للواحدي ٣/ ١٨٠ .
(٦) الوسيط للواحدي ٣/ ١٨٠ .
(٧) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٤/ ٢٠٠ .

وقرأ حمزة ، وحفص عن عاصم : (نَسْياً) بفتح النون [1].

- ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾ الهز : التحريك ، يُقال : هزه فاهتز ، والمعنى : اجذبي إليك [2]، والمراد بهزها إيّاه تحريكه ، وقد كان جذعاً يابساً ، وذلك في أيام الشتاء ، فكان الرطب يتساقط عليها [3].

- ﴿ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ ﴾ أي : يسقط عليك وينزل من النخلة .

قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي : (تَسَّاقط) بفتح التاء مشددة السين ، وفي هذه القراءة ما يدل على تساقط الرطب بكثرة ووفرة ، فيكون أدعى للطمأنينة ، وأرغد للعيش في اللحظات العصيبة ، وأكبر دلالة على كرم الله وفضله وإحسانه ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

وقرأ حمزة : (تساقط) بفتح التاء مخففة السين .

واختلف عن عاصم : فروى عنه أبو بكر (تساقط) مثل أبي عمرو ، وروى عنه حفص (تُساقِط) بضم التاء وكسر القاف مخففة السين [4].

- ﴿ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ أي : مجنياً ، وهو الذي بلغ الغاية ، وجاء أوان اجتنائه [5]، والرطب : النضيج من البسر [6].

---

(١) السبعة لابن مجاهد / ٤٠٨ ، وحجة القراءات / ٤٤١/ .

(٢) الوسيط للواحدي ٣/ ١٨١ .

(٣) تفسير الطبري ١٥/ ٥١٠ – ٥١١ .

(٤) السبعة لابن مجاهد / ٤٠٩/ ، وحجة القراءات / ٤٤٢/ .

(٥) تفسير البغوي ٣/ ١٩٣ .

(٦) الوسيط للواحدي ٣/ ١٨١ .

قال الربيع بن خيثم : ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية ، ولو علم الله شيئاً هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم ، ولذلك قالوا : التمر عادة للنفساء من ذلك الوقت[١]، وقيل : ما للنفساء خير من الرطب ، ولا للمريض خير من العسل ، وقيل : إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب [٢].

في هاتين الآيتين الكريمتين يخبرنا الله جل وعلا عن حال مريم – عليها السلام – ، عندما داهمها المخاض ، حيث ألجئت إلى النخلة لتستعين بها عند الولادة ، حيث تمسك بها فتساعدها بإذنِ الله على ذلك ، وفي الآية الثانية يوجهها سبحانه إلى أن تهز بجذع النخلة التي جلست تحتها لتساقط عليها رطباً جنياً ، وأمرها بأن تأكل منه وتشرب من الماء الذي تحتها ، وقد ألمح المفسرون كما مر معنا إلى أن في ذلك إشارة إلى أن للتمر فائدة في هذا الموقف – عند الولادة – وإلاَّ لما كان الله يوجهها إليه ، ويوجده لها من تلك النخلة اليابسة ، في الشتاء ، حيث إن الشتاء ليس موسماً للتمر كما هو معروف .. وقد ذكر الأطباء في العصر الحديث هذا الأمر وأكدوا عليه .

يقول الأستاذ الدكتور جابر سالم القحطاني عن الرطب :

.. إن الأبحاث الحديثة جاءت لتكشف آثارها التي تعادل آثار العقاقير الميسرة لعمليات الولادة ، والتي تكفل سلامة الأم والجنين معاً ، فهو يقوم بدور الهرمونات التي يصفها الطبيب ، كما يسهل انقباض الرحم بعد الولادة ، ويمنع النزيف ، ويقي من ارتفاع ضغط الدم أثناء الولادة ، كما أن له تأثيره المهدئ للأعصاب وذلك بتأثيره على الغدة الدرقية [٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٥ .

(٢) الكشاف للزمخشري ٢/ ٤٠٩ .

(٣) موسوعة جابر لطب الأعشاب ٢/ ٩٨ ، ونخلة التمر لمحمد جودة صوان / ٣٤-٣٥/ .

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – :

والتمر من أكثر الثمار تغذية للبدن ، بما فيه من الجوهر الحار الرطب وأكله على الريق يقتل الدود ، فإنه مع حرارته فيه قوة ترياقية ، فإذا أديم استعماله على الريق جفف مادة الدود وأضعفه ، وقلله ، أو قتله .

وهو فاكهة ، وغذاء ، ودواء ، وشراب ، وحلوى .

وقد ثبت عنه – ﷺ – أنه أكل التمر بالزبد[1]، وأكل التمر بالخبز[2]، وأكله مفردا [3][4].

فسبحان من جعل هذه الخصائص والمزايا في هذه الثمرة ، وسبحان من هدى إليها مريم ووفقها ووجهها في هذا الموقف الذي تذهل فيه المرأة عن كل شيء لما تعاين وتحس من آلام الطلق والولادة ، وما ذاك إلاَّ لما فيه من الفائدة لها، فسبحانه من إلهٍ عظيم ، كريم رحيم بعباده ، وهو المنعم المتفضل سبحانه وتعالى .

المطلب الحادي عشر: قطع النخيل وأثره النفسي على المحاربين

قال تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [5].

---

(١) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه ٣/ ٣٦٣ ، عن ابني بسر السلميين قالا : دخل علينا رسول الله – ﷺ – فقدمنا زبداً وتمراً وكان يحب الزبد والتمر .

(٢) كما ثبت في الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه ٣/ ٣٦٢ ، عن يوسف بن عبدالله بن سلام قال : رأيت النبي – ﷺ – أخذ كسرة من خبز شعير فوضع عليها تمرة وقال : هذه إدام هذه

(٣) كما ثبت في صحيح مسلم ٣/ ١٦١٦ من حديث أنس بن مالك قال : رأيت النبي – ﷺ – مقعياً يأكل تمراً .

(٤) الطب النبوي لابن قيم الجوزيه / ٢٢٥/ .

(٥) سورة الحشر آية / ٥/ .

في هذه الآية الكريمة عرض القرآن الكريم صورة من صور الحرب التي يجابه بها الأعداء، ويتقى خطرهم، مسنداً ذلك إلى حقائق وقعت في زمن الرسول - ﷺ -، كما حدث في حرب بني النضير، فالحرب حربان: حرب حسية، وهي التي تتبادر إلى الذهن عند إطلاق كلمة الحرب والجهاد، وهي تعني مقابلة العدو في العدد والعدة، ومنازلته في ميدان القتال ومحاولة القضاء على أفرادِ وعدته بالقتال، والاستيلاء عليها، والقسم الآخر حرب معنوية، وهي محاولة إضعاف همة العدو، وتفتيت قوته، عن طريق حشو قلوب أفراده بالرعب والخوف، وقد استخدم المسلمون في حربهم مع المشركين الحرب المعنوية، فأدت دورها، وآتت ثمارها، ففي غزوة الأحزاب أمر - ﷺ - أبا نعيم الغطفاني الذي أسلم سراً وقال له: إنك رجل واحد لن تستطيع عمل شيء فخذّل عنا [1]، وقد رأينا كيف عملت الحرب المعنوية دورها في صفوف الشرك، مما أدى إلى تصدع هذا البناء الذي تجمع للقضاء على الإسلام وأهله، وعندما حاصر المسلمون يهود بني النضير وكانوا قد تحصنوا في حصونهم، أمر النبي - ﷺ - المسلمون بقطع نخيلهم، وإحراق بعضها، مما قذف الخوف، والرعب في قلوبهم.

وقد صوَّر الله تعالى هذا الأمر بقوله: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

وهكذا أخزى الله أعداءه، فاستسلموا ونزلوا على حكم المسلمين أذلة صاغرين..

(١) انظر: قصة أبي نعيم في زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢٧٣.

- ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا ﴾ نزلت عندما حرق رسول الله - ﷺ - نخل بني النضير ، وقطع [١]. وهي البويره .

وذكر المفسرون أن بني النضير لما تحصنوا في حصونهم ، فأمر بقطع نخيلهم، وإحراقها ، فجزعوا ، وقالوا : يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح ، أفمن الصلاح عقر الشجر ، وقطع النخل ؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على رسول الله - ﷺ - ، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم ، واختلف المسلمون ، فقال بعضهم : لا تقطعوا ، فإنه مما أفاء الله علينا ، وقال بعضهم : بل نغيظهم بقطعها ، فنزلت هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله [٢].

واللينة : هي النخلة ، وقيل : النخل كله إلاَّ العجوة [٣].

وقيل : كرام النخل ، وقيل : جميع الأشجار للينها بالحياة [٤].

- ﴿ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أي : بأمر الله قطعت ، ولم يكن فساداً، ولكن نقمة من الله ، وليخزي اليهود بأن يريهم أموالهم يتحكم فيها المؤمنون كيف أحبوا [٥].

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر في صحيحه ٦/ ٥٨ كتاب التفسير ، وأخرجه مسلم في الصحيح من حديث ابن عمر ٣/ ١٣٦٥ كتاب الجهاد .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي / ٤٤٢/ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ٥٠٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣١٥ ، وزاد المسير ٨/ ٢٠٧ ، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٧١ .

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٠٦ وما بعدها ، وتفسير مجاهد / ٦٥٢/ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٥٠٢ ، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٧١ .

(٤) تفسير الماوردي ٥/ ٥٠٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٠٨ .

(٥) تفسير الطبري ٢٢/ ٥١٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٠٨ .

وهكذا تبين كيف كان هذا السلاح فعّالاً ، وذا أثر بالغ أثَّر في نفسيات اليهود ، ودفعهم إلى الاستسلام ، والنزول على حكم المسلمين فحكموا عليهم بالجلاء عن المدينة ، فخرجوا إلى الشام يجرون أذيال الهزيمة والعار ، بسبب غدرهم بالمسلمين ، ونقضهم للعهود التي أبرموها معهم ، ووقوفهم مع أعداء الله من المنافقين ، والمشركين ، والذين وعدوهم بالنصر والمؤازرة ولكنهم خذلوهم في ساعة الجد .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والحمد لله الذي وفق لإكمال هذا البحث ، وبعد الوصول إلى هذه المرحلة لا بد من التوقف قليلاً لتسجيل بعض الفوائد والإيجابيات التي لاحت لي خلال كتابة هذا البحث ، وهي فوائد كثيرة ، أذكر منها :

١- أن كتاب الله هو المعين الصافي ، والنبع الفياض ، الذي ينبغي على المسلم ألاَّ يغفل عنه في أي لحظة ، بل لا بد أن ينهل منه ، ويرتوي ، خاصة إذا حزبه أمر ، ونزل به كرب ، فيه النجاة بإذن الله ، وفي توجيهاته الخلاص من مشاكل الدنيا .

٢- أن نعم الله على عبادهِ كثيرة ، وآلاءه عظيمة لا تحصى ولا تعد ، والواجب على المرء شكر هذه النعم بشكر مسديها ، وذكر موليها ، بحمده قولاً وفعلاً، وتطبيقاً وعملاً .

٣- أن من نعم الله على عباده هذه النخلة التي هي مثال للمؤمن ، تلك الشجرة المباركة التي تكرر ذكرها في كتاب الله ، وتردد لفظها أكثر من مرة ، وما ذاك إلاَّ لفضلها ، ومكانتها .

٤- أن المؤمن يشبه النخلة بثباتها ورسوخها في الأرض ، وسموها إلى السماء بطولها وبما تحتوي عليه من الثمار والآثار التي يستفيد الناس منها في كل وقت من السنة ، والمؤمن كذلك ثابت على دينه ، راسخ بمعتقده ، شامخ بروحه وعقله إلى السماء والعلو ، فلله ما أجمله من مثل ، وما أحسنه من شبه .

٥- مما يلفت النظر في ذكر النخلة في القرآن أنها في الغالب تأتي مقرونة مع العنب، والذي يظهر والله أعلم أن سبب هذا الارتباط أن النخيل

والأعناب هما الشجرتان المعروفتان بكثرة عند أهل مكة وما جاورها ، أو لأن ثمار النخلة والكرمة يتشابهان في أن كلاً منهما يؤكل رطباً ويدخر ليؤكل يابساً بعد ذلك، ولأن كلاً منهما ثمار النخلة والعنب يصنع منه شراب الخمر والذي كانت العرب تستعمله بكثرة في ذلك الوقت .

٦- أن التمر غذاء ودواء ، فهو غذاء يقوم مقام الأكل ، ويمكن أن يستغني به المرء فترة من الزمن ، وهو دواء كما أخبر المصطفى – ﷺ – أن من تصبح بسبع تمرات لم يضره سم ولا سحر في هذا اليوم ، إضافةً إلى أنه مفيد للمرأة عند ولادتها كما تبين من خلال البحث .

٧- أن ثمر النخيل وهو التمر سريع الامتصاص ، سهل الهضم يحتوي على أنواع السكريات التي تذوب في الجسم سريعاً ، ولذا شرع للصائم أن يكون إفطاره على الرطب والتمر ، وهذا لحكمة عظيمة .

٨- أن المسلمين قد استخدموا النخيل في حربهم للأعداء ، حيث قاموا بقطع بعض نخيل اليهود عند محاصرتهم لهم ، مما قذف الرعب في قلوبهم ، والخوف في أفئدتهم ، فاستسلموا وتنازلوا ، وهذا نوع من أنواع الحرب ، وهي الحرب النفسية ، وقد تنبهت الدول المتحضرة لأهمية هذه الحرب فبدأوا بتطويرها ، وتنويع أساليبها ، مما أنتج أنواعاً من الحروب النفسية ، والتي ربما هزمت بعض الجيوش قبل اللقاء في ميدان الحرب والقتال .

أسأل الله بأسمائِهِ الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني به ووالدي ، ووالديهم ، وذرياتهم ، ومن قرأه ، وانتفع به إنه سميع مُجيب الدعوات ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

*****

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .

٢. أحكام من القرآن الكريم : لمحمد بن صالح العثيمين ، مدار الوطن للنشر ، الرياض طبعة عام ١٤٢٥هـ .

٣. أسباب نزول القرآن : لأبي الحسن علي بن الواحدي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة ، ط(٢) ١٤٠٤هـ .

٤. البحر المحيط : لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط(٢) ١٤٠٣هـ .

٥. تفسير البغوي (معالم التنزيل) : لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط(١) ١٤٠٦هـ .

٦. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) : لناصر الدين أبي سعيد عبدالله ابن عمر البيضاوي ، دار الجيل .

٧. تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) : لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

٨. تفسير الحسن البصري :جمع وتوثيق ودراسة د/ محمد عبدالرحيم ، دار الحديث، القاهرة .

٩. تفسير السمرقندي (بحر العلوم) :لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٠. تفسير القرآن : للإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الرياض ، ط (١) ١٤١٠هـ .

١١. تفسير القرآن العزيز : لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط(١) ١٤٢٣هـ .

١٢. تفسير القرآن العظيم : للإمام الجليل أبي الفداء إسماعيل ابن كثير ، دار الفكر .

١٣. التفسير الكبير : للفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط(٣) .

١٤. تفسير سورة الرعد : للدكتور/ محمد صالح مصطفى ، دار النفائس للنشر والتوزيع الرياض ، ط(١) ١٤٠٨هـ .

١٥. تفسير مجاهد بن جبر : دار الفكر الإسلامي الحديثة .

١٦. تفسير مقاتل بين سليمان : للإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٧. تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، ط(١) ١٤٢٢هـ .

١٩. الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط(١) ١٤٠٨هـ .

٢٠. حجة القراءات : لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجله ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، ط(٣) ١٤٠٣هـ .

٢١. زاد المسير في علم التفسير : لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي ، المكتب الإسلامي ، ط (٣) ١٤٠٤هـ .

٢٢. السبعة في القراءات : لابن مجاهد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط (٢) .

٢٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة : لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط(٤) ١٣٩٨هـ .

٢٤. سنن ابن ماجه : للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٢٥. سنن أبي داود : لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٢٦. سنن الترمذي : للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذي ، دار الفكر ١٣٩٨هـ .

٢٧. سنن الدارمي : للإمام أبي محمد عبدالله بن بهرام الدارمي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٢٨. صحيح البخاري : لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر ، للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ .

٢٩. صحيح مسلم : لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ١٤٠٠هـ .

٣٠. صحيح مسلم بشرح النووي : دار أبي حيان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط(١) ١٤١٥هـ .

٣١. الضعفاء الكبير : لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) .

٣٢. الضياء في تفسير سورة الإسراء : الدكتور/ محمد أبو النور الحديدي ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ١٣٩٧هـ .

٣٣. الطب النبوي : لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٣٤. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ .

٣٥. عيون التفاسير للفضلاء السماسير : لشهاب الدين أحمد بن محمود السيواسي ، دار صادر ، بيروت ، ط(١) ١٤٢٧هـ .

٣٦. فتح البيان في مقاصد القرآن : لصديق حسن خان ، أم القرى للطباعة والنشر ، القاهرة .

٣٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٣٨. القاموس المحيط : لمجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل .

٣٩. الكامل في ضعفاء الرجال : لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط(١) ١٤٠٤هـ .

٤٠. كتاب النخل : لأبي حاتم السجستاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط(١) ١٤٠٥هـ .

٤١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٤٢. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط(٣) ١٣٥١هـ .

٤٣. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط(٢) ١٣٩٥هـ .

٤٤. لسان العرب المحيط : لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي دار صادر ، بيروت .

٤٥. مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط(٢) ١٤٠١هـ .

٤٦. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، مؤسسة الحرمين الخيرية ، الرياض ، ط(٣) ١٤٢٣هـ .

٤٧. مرويات الإمام أحمد في التفسير : جمع وتخريج : حكمت بشير ياسين ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، ط(١) ١٤١٤هـ .

٤٨. معاني القرآن : لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ .

٤٩. معاني القرآن الكريم : للإمام أبي جعفر النحاس ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط(١) ١٤٠٨هـ .
٥٠. معاني القرآن وإعرابه : لأبي إسحاق إبراهيم بن سري الزجاج ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ .
٥١. معجم البلدان : لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .
٥٢. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : أ. ي . ونسك ، و: ي .ب منسنج، مطبعة بريل في مدينة ليدن ، ١٩٦٥م .
٥٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : لمحمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٥٤. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : لأبي عبدالله عبدالعزيز البكري الأندلسي ، عالم الكتب ، بيروت .
٥٥. معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار الكتب العلمية إسماعيليان نجفي ، إيران ، قم .
٥٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزيه ، مكتبة الرياض الحديثة .
٥٧. المفردات في غريب القرآن : لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
٥٨. موسوعة جابر لطب الأعشاب : أ.د/ جابر بن سالم القحطاني ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط(٢) ١٤٢٩هـ .
٥٩. نخلة التمر : محمود جوده صوان ، دار المشاعل للطباعة والنشر والتوزيع ، ط(١) ١٤١٤هـ .
٦٠. النكت والعيون تفسير الماوردي : لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط(١) ١٤١٢هـ .

٦١. الوسـيط في تفـسير القـرآن المجيـد: لأبي الحـسن عـلي بـن أحمـد الواحـدي النيسابوري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥هـ .

*****

أخبار المصادر الواردة في مقدمة كتاب النشر للحافظ ابن الجزري حتى عام (١٤٢٩هـ)

د: أمين محمد أحمد الشيخ الشنقيطي

- عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية .
- حصل على درجة الماجستير بتحقيق (كتاب غاية الاختصار في القراءات العشر للهمذاني) .
- حصل على درجة الدكتوراه بأطروحته (الانفرادات عن علماء القراءات).

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن على سيد المرسلين وجعله على سبعة أحرف رفقا بالمؤمنين، والصّلاة والسّلام على خير المرسلين، نبيّنا محمّد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله، وصحبه أجمعين، الذين نقلوا لنا القرآن المبين.
أمّا بعد:

فإنّ علم القراءات من أجلّ العلوم قدراً وأرفعها منزلة لتعلّقه بكتاب ربّ العالمين، وهو علم يحفل بنصوص القراءات بأنواعها،والأحكام التجويدية بتطبيقاتها ورسم المصحف وضبطه، وعدد الآي، وتراجم القراء،وتوجيه القراءات، وللعلماء في مباحثه تآليف مشهورة ظلّت تتوارثها الأجيال بعوامل النّقل والتّلقي، والرّحلة، والنّسخ وغيرها،حتى وصلت إلينا اليوم.

كما أنّه يحظى بعناية فائقة من المتخصصين حفظاً، وتدريساً، وتصنيفاً، وقد لاحت لي فكرة جمع أخبار بعض مصادره ،حيث لم يفردها أحد بالتأليف فيما أعلم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أهمية الموضوع ظاهرة من عنوانه،ومن موضوعه وهو أخبار مصادر[(١)] كتاب النشر، وهو جانب مهمّ للعمل لدى الباحثين والطلبة والدارسين،

(١) هذه الكتب تُعرف بمصادر النشر، وتعرف كذلك بأصول النشر، والفرق بينهما أنّ الأصول هي: الكتب التي أسند منها المؤلف طرقه، والمصادر هي: الكتب التي روى منها المؤلف طرقه من غير إسناد إليها.
انظر (منهج ابن الجزري في كتاب النشر ،وتحقيق قسم الأصول منه)،للسالم محمد محمود(/ ١٥٤)،(/ ٢٢٦)، وكتاب(السلاسل الذهبية لأيمن سويد (/ ٢٤).

وتشدهم إليه ضرورات كثيرة، منها مثلاً معرفة مصادر علم القراءات والعلم بأخبارها، والكشف عن قدر من تراثنا المخطوط، أملاً أن يجد فيه الدارسون نسخا لكتب مفقودة، أو عناوين،ومؤلفين لم يقفوا عليها من قبل، لتضاف إلى كنوزنا التراثية.

إنّ هذه المصادر التي بين أيدينا في هذا البحث هي بالتحديد التي وقع عليها اختيار الحافظ المقرئ، شيخ الإقراء في زمانه، الإمام (ابن الجزري)[١] - رحمه الله – في كتابه العظيم النفع والفائدة (النشر في القراءات العشر)[٢].

ونظراً لأنّ هذا الجانب قليل من يتحدثً عنه، ونادر أن يجد الطلبة فيه مؤلفا في المكتبات العلمية، لأسباب منها: تعدد الجهات العلمية المسؤولة عن تحقيق التراث، وندرة التعاون الإخباري فيما بينها، وعدم التزام بعض الباحثين بالإعلان عن ما سيقوم به من تحقيق علمي إلا بعد طبعه ونشره، أي بعد مضي وقت طويل على عثوره عليه، ونحو ذلك مما أصبح اليوم غير مبرر في ظل توفر وسائل الاتصال، وكثرة الدّارسين والراغبين في تحقيق التراث الإسلامي، جاء هذا البحث.

(١) هو محمد بن محمد بن على بن يوسف بن الجزري،شمس الدين، أبو الخير، الشافعي ،أحد علماء القراءات ، تلقّى علم القراءات على شيوخ منهم: ابن السّلار ،وابن الّلبّان وغيرهم ، قرأ عليه جماعة منهم ابنه أحمد، والشّيخ محمود الشّيرازي ،وغيرهم كثير ،وله مؤلفات ككتابه (النشر في القراءات العشر)،و(غاية النّهاية في طبقات القرّاء)، وغيرها، توفى سنة(٨٣٣هـ).(غاية النّهاية لابن الجزري (٢/ ٢٣٧).

(٢) كتاب النشر من أجلّ الكتب المؤلفة في القراءات العشر، وأبعدها صيتاً، ولا تكفي هذه العجالة لبيان جميع محاسنه ومزاياه.

أهداف البحث:

- الإسهام في خدمة الدّراسات القرآنية،بالتعريف بأشهر مصادر علم القراءات منذ القرن الرابع وحتى التاسع، وتسهيل الوصول إلى أخبارها.
- تطبيق عملية الفهرسة التي تمتاز بترتيب مسائل العلوم،وتيسير الإفادة منها.
- جمع أخبار التحقيقات العلمية،وأسماء المحققين، وجهات التحقيق العلمية، والناشرين، والدور الناشرة، وتاريخ النشر ،وذلك على غرار بعض معاجم مصنفات القرآن، وعلومه[١].
- التعرف على المكتبات المحلّية، والعالمية التي توجد بها بعض المخطوطات النادرة.
- تلافي سلبيات عديدة يمكن وقوعها بين الباحثين أثناء تحقيق بعض كتب التراث [٢].
- خدمة كتاب النشر لابن الجزري، وبيان بعض مسائله المهمة[٣].

الدراسات السابقة:

من الدّراسات التي وجدتها تحدّثت عن هذا الموضوع، أو قاربته لكنها لم تفرده بالتأليف:

---

(١) كمعجم مصنفات القرآن الكريم لعلي شواخ إسحاق،وفي هذا المعجم أخبار عدد من المخطوطات، وبعض المنشور من مصنفات القراءات.

(٢) أشار لبعض أشكال الحيف، والفوضى بحق المخطوط، والدارسين، وأنّه لم يعدْ الباحثون يملكون إجابة علمية عن الأسئلة التالية: ماذا حُقّق من التراث، وماذا بقي؟ أحمد محمد الخراط في كتابه (عوامل تحصين الأمة/ ٤٦).كما أشار حاتم الضامن إلى بعض أشكال من السرقات لجهود المحققين العلمية في مقدمة كتابه (مفردة يعقوب/ ٥).

(٣) قلت: صنيع ابن الجزري هذا في كتاب النشر،وقيامه بجمع مصادره،والحديث عنها في مقدمته يعبر عن محاولة جبارة لجمع تراث علم القراءات في زمنه، وتأليف المؤلفات منها، وكذلك حتى يمكن لمن بعده التأكد من صحة ماعزاه إليها.(تقريب الطيبة لإيهاب فكري/ ٦٠٢).

١- رسالة دكتوراه بعنوان: (منهج ابن الجزري في كتاب النشر ،وتحقيق قسم الأصول منه)،للسالم محمد محمود [١]، وقد ذكر الباحث فيها أخبار هذه المصادر، وقد رجعت إلى ماذكره من أخبار، وأضفت إليه أخباراً جديدة.

٢- كتاب (السلاسل الذهبية بالأسانيد النّشرية من شيوخي إلى الحضرة النبوية) لأيمن سويد[٢] ،وقد ذكر المؤلف فيه الطرق الواردة في كتب القراءات التي اختارها ابن الجزري في كتابه النشر، ولهذا السبب لم يذكر جميع (المصادر الواردة في مقدمة كتاب النشر) بل ذكر ماكان بحسب منهجه،وقد رجعت إلى ماذكره من أخبار، وأضفت إليه أخباراً جديدة.

٣- الفهارس العامة في مصنفات القرآن الكريم، كمعجم مصنفات القرآن الكريم، ومعجم الدراسات القرآنية وغيرهما، وهي تحتاج من الناحية الإخبارية إلى التجديد والتدقيق.

خطة البحث:

- تتألّف من مقدّمة، فأخبار المصادر الواردة في مقدمة كتاب النشر مع ترتيب عناوينها هجائياً، ففهارس عامة.

منهجي في البحث:

- اعتمدت في البحث على نظام الفهرسة للعناوين.
- كما اعتمدت فيه كذلك على المنهج الوصفي التحليلي للأخبار، نظرا لأنّ الأخبار أمرٌ علمي يتوجّب التّحري والتّدقيق.

(١) صفحة(/ ١٥٤)،قلت: هذه الرسالة غير منشورة،وقد طالعتها بعد أن أوشكت على الانتهاء من هذا البحث.

(٢) صفحة (/ ٥).

ففي الفهرس قمت:

- بذكر العناوين بحسب كتاب النّشر المطبوع[1].
- ثم جعلتها تحت رقم مسلسل،ورتّبتها هجائياً، وحذفت لفظة (كتاب) التي ترد قبلها في كتاب النشر.
- كما تدخلت في بعض العناوين كـ(شروح الشّاطبية مثلاً) حيث لم يذكر ابن الجزري أسماءها، فذكرت أسماءها من مصادر أخرى، ثم ضبطتها بالشّكل من كتاب غاية النّهاية لابن الجزري،وغيره.

وفي أخبار المصادر،قمت بتنظيمها،منهجياً من خلال التفاصيل التالية:

- **عرّفت بمؤلف الكتاب (المصدر)**: فبدأت بكنيته، ولقبه، واسمه، واسم أبيه، وجدّه، ثم بلده، ثمّ تاريخ وفاته، من كتاب غاية النِّهَاية لابن الجزري، اختصاراً للحواشي،وقمت بضبطها بالشكل بحيث تسهل قراءتها.
- **جعلت الكتب المطبوعة (المنشورة)بحسب نظام فهارس الكتب المطبوعة:** فرتّبت أخبارها لتبدأ بعبارة: طُبع بتحقيق، ثمّ ذكرت اسم المحقّق، وتاريخ الطَّبْعة، واسم الدّار، وبلدها، وتاريخها، ولم أتحدّث عن أخبار مخطوطات هذه الكتب لوجودها في مقدمة تحقيقات الباحثين لها، انظر مثلاً ترجمة رقم(١) من هذا البحث.
- **جعلت الرسائل الجامعية بحسب نظام فهارس الرسائل الجامعية:** فذكرت اسم محقّقها،فالدّرجة العلميّة، قبلهما قوسين كبيرين، دوّنت بداخلهما اسم القسم؛ فالكلّية؛ فالجامعة المانحة للدّرجة؛ فالتاريخ، ثمّ أغلقت القوس،

(١) النسخة التي اعتمدتها من كتاب النشر هي التي بتصحيح على محمد الضباع، كما عرضت العناوين وغيرها على مصورة من رسالة: (منهج ابن الجزري في كتاب النشر ،وتحقيق قسم الأصول منه)،للسالم محمد محمود.،بعد أن تيسر لي الوقوف عليها.

ولم أتحدث كذلك عن أخبار مخطوطاتها لوجودها ضمن هذه التحقيقات، انظر مثلا ترجمة رقم(٥) من هذا البحث.

- **جعلت المخطوطات بحسب نظام فهارس المخطوطات التي وجدتها فيها:** فذكرت ما عثرت عليه من أخبارها في الفهارس، وقد ذكرت أخبارها بحسب طريقة الفهرس في إيرادها، كعدد نسخ الكتاب المخطوطة ،وبلد المكتبة التي تُوجَد بها، وأحلت في الحاشية إلى تلك الفهارس، انظر مثلا ترجمة رقم(٦) من هذا البحث.
- **ذكرت المخطوطات التي في حكم المفقودة**، وحدّ علمي بها حتى عام (١٤٢٩هـ)، انظر مثلا ترجمة رقم(٢).
- اتبعت في الفهارس المساعدة في آخر البحث، إجراءات الفهرسة المعروفة.
- وفي التّوثيق لما أذكره من أخبار،أو ملاحظات اعتمدت على عدد من كتب القراءات المطبوعة[١]، وبعض الكتب المؤلفة حديثاً في القراءات[٢]، والفهارس [٣]، وقواعد المعلومات [٤]، وشبكة المعلومات الدّولية (الإنترنت)[٥].

هذا ما أحببت أنْ يكون القارئ على علمٍ به على عجالةٍ، واختصارٍ شديدٍ، وهو عمل من شأنه أن ينهض ولو بقدرٍ يسيرٍ بدراساتٍ جديدة مفيدةٍ في

---

(١) ككتاب إبراز المعاني لأبي شامة، انظر ترجمة(١) من هذا البحث.

(٢) ككتاب السلاسل الذهبية لأيمن سويد.

(٣) كمعجم الدراسات القرآنية لابتسام الصفار، والفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي،وغيرهما.

(٤) كدليل الرسائل العلمية،بالجامعة الإسلامية بالمدينة.

(٥) كمواقع الجامعات،والملتقيات العلمية كملتقى أهل التفسير،وقد ذكرت أسماء هذه المواقع باللغة العربية دون كتابته بالإنجليزية،كما استعنت بالمواقع غير الرسمية أحياناً لتوفر معلومات حديثة فيها عن بعض الكتب، وهذه المواقع يمكن البحث فيها من خلال شبكة المعلومات (الإنترنت)، ثم عبر محرك (قوقل)، انظر مثلاً صفحة (/ ١١) من هذا البحث.

القراءات وعلومها [1]، على أن تُستكمل - إن شاء الله تعالى - بقيتها حال وجودها، ولا أدّعي الكمال فيه؛ فهو عمل اجتهادي قابل للأخذ والرّدّ، ومقصوده الأوّل هو تقريب المعلومة إلى القارئ، وتوفير الوقت، والجهد، والمال، وليس التّجديد، والاستدراك على المصنّفات، أو المصنّفين.

وأخيراً : فقد عثر هذا البحث على خبر نشر ستة وثلاثين كتاباً منها، وتحقيق عشرة رسائل علمية، وبقاء ثمانية منها مخطوطة، وفقدان خمسة عشرة منها، من بين تسعة وستين مصدراً[2].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) قلت: ممّا يُحمَد لكثير من الباحثين، والجامعات الشرعية، و الجمعيات، والمؤسسات التعليمية داخل المملكة العربية السعودية، وخارجها الاهتمام الكبير بـ (مصادر كتاب النشر في القراءات العشر)، ونشرها، ومن ذلك ما يعرف اليوم عند البعض بسلسلة (أصول النشر)،وكذلك قيامها بتخصيص دراسات علمية عليا لتحقيق هذه الكتب كقسم القراءات بالجامعة الإسلامية، وأم القرى،وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهي جهود مشكورة، وتحتاج إلى مزيد تنسيق بين جميع هذه الجهات، وذلك بتبنّي فهارس إخبارية يمكنها تلافي تكرار أعمال تحقيقها من قبل بعض الباحثين، أو إعادة إنتاجها مرة أخرى دون مبررات معقولة، وتعمل كذلك على إيجاد بديل لبعض المنشورات غير العلمية، المخالفة لضوابط التحقيق العلمي،وحبذا لو تولّى هذا التنسيق مستقبلاً أحد الأقسام العلمية المتخصصة في الجامعات الإسلامية، كقسم القراءات بالجامعة الإسلامية،مثلاً لخبرته الطويلة في هذا التخصص المبارك.

(٢) نص على هذا العدد أيمن سويد في السلاسل الذهبية(/ ٢٤).

قلت: من الملاحظات التي خرج بها هذا البحث أيضاً : وجود كتب نُشرت أكثر من مرة، انظر مثلاحواشي ترجمة(١١)، وتحقيق كتب أكثر من مرة رسالة علمية، حواشي ترجمة (٢٧)،ووجود طبعات تجارية لا تعتمد على نسخ مخطوطة، حواشي ترجمة(٤٩)، وتوزيع مخطوط واحد على أكثر من واحد رسائل جامعية، حواشي ترجمة (٢١)، ووجود تحقيقات ضعيفة حواشي ترجمة (٢١)، وغير ذلك ممّا هو مبثوث داخل البحث.

أخبار المصادر الواردة في مقدمة كتاب النشر للحافظ ابن الجزري، مع ترتيب عناوينها هجائياً

١- **إِبْرَازُ المعاني من حِرْزِ الأماني** لأبي القاسم، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، المعروف بأبي شَامَة(ت٦٦٥هـ)، وهو شَرْح للشَّاطِبِيّة [١].

- طُبع بتحقيق، وتعليق محمود عبد الخالق جادو، ط١، الجامعة الإسلَامِيَّة ، (١٤١٣هـ).
- طُبع بتحقيق،وتقديم وضبط إبراهيم عوض عطوة، شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، (١٣٩٨هـ) [٢].
- طُبع طبعة باشرها محمد أمين عمران، مطبعة البابي الحلبي،مصر، في شعبان سنة (١٣٤٩هـ) [٣].
- طُبِع بتحقيق جمال محمّد شرف، ط١، دار الصّحابة للتراث، طنطا (١٤٢٩هـ)[٤].

٢- **إِرَادَة الطَّالب في القراءات العشر** لأبي محمّد، سِبْطِ أبي منصور الخَيَّاط، عبد الله بن علي بن أحمد (ت٥٤١هـ) [٥].

- في حكم المفقود .

(١) لم يذكر له ابن الجزري في النشر اسماً (١/ ٦٣)،وذكر أنّه شرح للشاطبية، وكذلك في (غاية النِّهَاية ١/ ٣٦٥)، وقد أثبتّ اسمه بحسب ما جاء على طبعة الشيخ محمود جادو.

(٢) كتاب (الإمام أبو القاسم الشاطبي / ١٥٨)، ولم يسمّ له نسخا خطية.

(٣) في (معجم الدراسات القرآنية / ٤٢٣) بعض أخبار هذه الطبعة غير المحققة.

(٤) ولم يذكر نسخة مخطوطة حقق عليها الكتاب.

(٥) كذا اسمه في (النشر ١/ ٨٤)،ولم يذكر له اسماً في (غاية النِّهَاية ١/ ٤٧٠)، واسمه في (معجم المؤلفين ٦/ ٨٦)، و(هدية العارفين١/ ٤٥٥) إرادة الطالب وإفادة المواهب في القراءات.

٣- **الإِرْشَاد**[١] لأبي الطَّيِّب، الحلَبِي، عبد المنعم بن عبيد الله بن غَلبُون (ت٣٨٩هـ)[٢].

- سجله ليحقّقه باسم حمدي السَّيِّد (رسالة دكتوراه، قسم القراءات كلّية القرآن الكريم الجامعة الإسلَامِيَّة)، (١٤٢٨هـ)،(ولم ينته منه بعد).

٤- **الإِرْشَـاد في العـشر** لأبي العـزّ، القَلَانِـسِي،محمّد بـن الحسين بـن بُنْدَار (ت٥٢١هـ)[٣].

- طُبع بتحقيق ودراسة عمر حمدان الكبيسي، ط١ ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، (١٤٠٤هـ) .
- طُبع بمراجعة، وتعليق جمال محمّد شرف، دار الصّحابة للتراث، طنطا(٤).

٥- **الإِشَارَة في القراءات العشر** لأبي نصر، العراقي، منصور بن أحمد بن إبراهيم (ت ٤٥٠ هـ تقريباً)[٥].

- حقّقه أحمد بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح، ومهدي عبد الله قاري محمّد صديق،(رسالتا دكتوراه، قسم الكتاب والسنة، كلّية الدّعوة، جامعة أمّ القرى بمكة)[٦]، (ولم يُطْبَع تحقيقهما فيما أعلم).

---

(١) (النشر١/ ٨٠،٧٩)،.

(٢) اسمه في (غاية النِّهَاية ١/ ٤٣٢) الإرشاد في السبع، وفي(السلاسل الذهبية (/ ٣٥) اسمه: الإرشاد في معرفة القراء السبعة وشرح أصولهم.

(٣) كذا اسمه في(النشر١/ ٨٦)،وفي (غاية النِّهَاية ٢/ ١٢٨) اسمه: الإرشاد في العشر،وفي (السلاسل الذهبية / ٣٤) اسمه: كتاب إرشاد المبتدي، وتذكرة المنتهى في القراءات العشر.

(٤) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

(٥) (النشر١/ ٩٣)وفي (غاية النِّهَاية٢/ ٣١١) اسمه: الإشارة في القراءات. وفي (السلاسل الذهبية / ٣٦) اسمه: الإشارة بلطيف العبارة في القراءات المأثورات بالروايات المشهورات في القراءات العشر واختيار أبي حاتم.

(٦) معلومة مستقاة من موقع (جامعة أم القرى مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية،الرسائل الجامعية).

- سُجِّل رسالة بكلّية القرآن الكريم بطنطا، في جمهورية مصر العربية[١]، (ولم يُطْبَع هذا التحقيق فيما أعلم).
- درسه، وحقّقه عدنان الزّعبي من (أوّل الكتاب إلى آخر سورة الأنعام)، (رسالة ماجستير، جامعة القرآن الكريم، أمّ درمان، السّودان (١٤١٣هـ)[٢]، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

٦- **الإِعْلَان** لأبي القاسم، الصّفْرَاوِي، عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل (ت ٦٣٦هـ) [٣].

- مخطوط موجود، منه مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية برقم (١/ ٤٣٦٨)[٤].

٧- **الإِقْنَاع في القراءات السّبع** لأبي جعفر، ابن البَاذِش، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٥٤٠هـ)[٥].

---

(١) كما جاء ضمن قائمة بأسماء الأبحاث المسجلة في الماجستير والدكتوراه بكلية القرآن الكريم بطنطا، معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير).

(٢) (السلاسل الذهبية / ٣٦)، وفي موقع إدارة شؤون القرآن والشؤون الإسلامية، دولة الكويت على (الإنترنت) أنّه حُقّق في جامعة القرآن في السودان.

(٣) (النشر ١/ ٧٩)، (غاية النِّهاية ١/ ٣٧٣). وفي (السلاسل الذهبية / ٣٧) اسمه: كتاب الإعلان بالمختار من روايات القرآن في القراءات السبع).

(٤) وهي مصورة عن نسخة جامعة برنستون مجموعة جاريت، وهي نسخة ناقصة من أولها، (تبدأ من أواخر أبواب الأصول)، وخطّها جيد، وعليها سماع المؤلف. (فهرس كتب القراءات القرآنية،الجامعة الإسلامية / ٣٦).
وأخبار هذه المخطوطة أيضاً في (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي١/ ١٩٥) وأنّها في جاريت/ برنستون برقم (١٢٠٧)، (١١٧ - ٦١١) ورقة.
- وعند أيمن سويد نسخة تبدأ من (باب ذكر مذاهب القراء في الوقف على مرسوم الخط إلى آخر الكتاب). (السلاسل الذهبية / ٣٧).

(٥) (النشر ١/ ٨٩)، (غاية النِّهاية ١/ ٨٣) ،واسمه في (السلاسل الذهبية / ٣٨) كالذي في النشر.

- طُبِع بدراسة، وتحقيق عبد المجيد قطامش، ط١، جامعة أم القرى، مَطْبعة ركابي، ونصر، دمشق (١٤٠٣هـ).
- طُبِـع بتحقيـق وتعليـق أحمـد فريـد المزيـدي ،ط١، منـشورات محمـد عـلي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،(١٤١٩هـ).
- طُبِع بمراجعة، وتعليق جمال محمّد شرف، دار الصّحابة للتـراث، طنطا[١].

٨- **الإِيجَاز**[٢] لأبي محمّد، سِبْطِ أبي منصور الخَيَّاط، عبد الله بن علي بـن أحمـد (ت١٥٤١هـ)، وهو فرش قصيدة في القراءات العشر [٣].

- في حكم المفقود.

٩- **البُسْتَان في القراءات الثلاث عشرة** لأبي بكر، ابـن الـجُنْدِي، عبـد الله بـن آيْدُغْدِي بن عبد الله (ت٧٦٩هـ)[٤].

- طبع بتحقيق ودراسة حسين بـن محمّـد العـواجي، ط١، مكتبـة دار الزمـان، المدينة المنورة، (١٤٢٩هـ)[٥].

١٠- **تَبْصِرَة الـمُبْتَدِي** لأبي محمّد، سِبْطِ أبي منصور الخَيَّاط، عبد الله بن علي بن أحمد (ت١٥٤١هـ)[٦].

---

(١) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

(٢) نسبه له في (معجم مصنفات القرآن الكريم٤/ ٢٨).

(٣) (غاية النِّهَاية ١/ ٤٣٤) وسمّاه: القصيدة المنجدة في القراءات العشر، وفي النشر: ((وهـو فـرش القصيدة المنجدة))،(١/ ٨٣)،وذكر محقّق كتاب الاختيار في القراءات العشر لسبط الخياط (/ ١٩) أنّ اسمه: الإيجاز في القراءات السبع، وهو خطأ ،والصواب أنّه في القراءات العشر، كما ذكر ابن الجزري في النشر، وأنّ كتاب الإيجاز،هو في فرش القصيدة المنجدة وهي قصيدة في العشر.

(٤) (النشر١/ ٩٧)، (غاية النِّهَاية ١/ ١٨٠). قلت: اسمه على تحقيق حسين العواجي هكذا: بستان الهداة في اختلاف الأئمة والرواة ،في القراءات الثلاث عشرة واختيار اليزيدي.

(٥) أصله (رسالة ماجستير،قسم القراءات،كلّية القرآن الكريم، الجامعة الإسلَامِيَّة) (١٤١٦هـ).

(٦) (النشر١/ ٨٤)، وفي (غاية النِّهَاية ١/ ٤٣٢) اسمه كتاب التبصرة.

- مخطوط، موجود في امبروزيانا / ميلانو برقم (٦٨)، (١٤٧)ورقة [١].

١١ - التَّبْصِرَة لأبي محمّد، القَيْسِي، مَكِّي بن أبي طالب بن حمّوش[٢](ت ٤٣٧هـ) [٣].

- طُبع بتحقيق محمّد محيي الدين رمضان، الكويت (١٤٠٥هـ).

- طُبع بتحقيق محمّد غوث النّدوي، ط١، نشر الدار السلفية الهند، (١٤٠٢هـ).

-طُبع بمراجعة، وتعليق جمال محمّد شرف، دار الصّحابة للتراث، طنطا[٤].

١٢ - التَّجْرِيد لأبي القاسم، ابن الفَحَّام، عبد الرحمن بن عتيق بن خلف(ت٥١٦ هـ) [٥].

- طُبع بتحقيق ضاري الدوري، ط١، دار عمار، عمّان، الأردن (١٤٢٢هـ).

- حقّقه مسعود أحمد إلياس، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلَامِيَّة (١٤٠٨هـ)، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

١٣ - التِّذْكَار في القراءات العشر لأبي الفتح، ابن شِيْطا، عبد الواحد بن الحسين بن أحمد (ت ٤٤٥ هـ)[٦].

---

(١) تاريخ كتابتها (٥٨٢هـ)، (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي١/ ١٠٨)، == يتبع قلت: ذكر لي بعض من قرأ هذا البحث عن خبر هذا الكتاب بأنّ له مخطوطة واحدة في العالم،توجد في مكتبة الإمبروزيانا في إيطاليا، وأنّ بعض الباحثين حصل على صورة منها فتبيّن له أنها في النحو،وليست في القراءات،وفي موقع (ملتقى أهل التفسير)،و(منتديات القراءات العشر)،أنّه قد حققته رحاب محمد مفيد الشقفي، وهي معلومة خاطئة فقد حقّقت الباحثة كتاب (التبصرة في قراءات الأئمة العشرة)،لعلي بن فارس،وهو كتاب لمؤلّف غير المؤلّف المذكور هنا.

(٢) (التّبصرة، بتحقيق محمد غوث الندوي/ ١٥٨).

(٣) (النشر١/ ٧٠)، (غاية النِّهَاية ٢/ ٣٠٩).

(٤) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

(٥) (النشر١/ ٧٥)، (غاية النِّهَاية١/ ٣٧٤) ،(السلاسل الذهبية / ٤١)،وسمّاه: كتاب التجريد لبغية المريد في القراءات السبع.

(٦) (النشر١/ ٨٤)، (غاية النِّهَاية/ ٤٧٣)، (السلاسل الذهبية/ ٤٣)، (معجم مصنفات القرآن الكريم ٤/ ٤١).

- في حكم المفقود.

١٤- **التَّذْكِرَة في القراءات الثّمان** لأبي الحسن، ابن غَلبُون، طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله(٣٩٩هـ) [(١)].

- طُبع بدراسة، وتحقيق أيمن رشدي سويّد، ط١، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، دار راسم، (١٤١٢هـ) [(٢)].
- طُبع بتحقيق عبد الفتاح بحيري، ط٢، دار الزهراء ، (١٤١١هـ).

١٥- **التَّكْمِلَة الـمُفِيدة لحافظ القَصِيدَة** لأبي الحسن، القَيْجَاطِي، علي بن عمر بن إبراهيم (ت٧٢٣هـ)، وهي قصيدة زادها على الشَّاطِبِية[(٣)].

- مخطوط، موجود بدار الكتب الوطنية بتونس، ضمن مجموع رقمه (١٤٨٢٦) [(٤)].

١٦- **التَّلخِيص في القراءات الثّمان** لأبي معشر، الطَّبَرِي، عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمّد (ت٤٧٨هـ)[(٥)].

- طُبِع بدراسة، وتحقيق محمّد حسن عقيل موسى، ط١، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، جدّة (١٤١٢هـ)[(٦)].

١٧- **تَلخِيص العِبَارَات** لأبي علي، ابن بَلِّيمَة، الحسن بن خلف بن عبد الله (ت٥١٤هـ) [(٧)].

---

(١) (النشر١/ ٧٣)، (غاية النِّهَاية١/ ٣٣٩)، (السلاسل الذهبية/ ٤٤).

(٢) أصله رسالة ماجستير (١٤١١هـ) للباحث نفسه، جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(٣) (النشر١/ ٩٧)، (غاية النِّهَاية ١/ ٥٥٧).

(٤) أشار إليه كتاب (الجمع بالقراءات المتواترة/ ٤١٢)، وكتاب(الإمام أبو القاسم الشاطبي/ ٢٠٢).
قلت: عرفت مكان وجوده عن طريق السالم محمد محمود، محقّق كتاب النشر، فجزاه الله خيراً.

(٥) (النشر١/ ٧٧)، (غاية النِّهَاية١/ ٤٠١)، (السلاسل الذهبية/ ٤٨).

(٦) أصله رسالة ماجستير (١٤١٢هـ) ،بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(٧) (النشر١/ ٧٢)، (غاية النِّهَاية١/ ٢١١)، (السلاسل الذهبية/ ٤٦)وسمّاه: كتاب تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع.

- طُبع بتحقيق سبيع حمزة حاكمي،ط١، دار القبلة للثقافة الإسلَامِيَّة، جدّة، مؤسّسة علوم القرآن، دمشق، وبيروت (١٤٠٩هـ) [١].
- طُبع بمراجعة، وتعليق جمال محمّد شرف، دار الصّحابة للتراث، طنطا[٢].

١٨- **التَّيْسِير**، لأبي عمرو، الدَّانِي، عثمان بن سعيد بن عمر (ت٤٤٤هـ) [٣].

- طُبع بتحقيق المستشرق أو توبريزل، ط١، جمعية المستشرقين الألمانية، مَطْبعة الدولة، إستانبول (١٩٣٠م).
- أعادت نشره بالأوفيست مكتبة المثنى سنة (١٩٦٥م)[٤].
- طُبع بتحقيق حاتم بن صالح الضامن، ط١، مكتبة الصحابة ، الإمارات، الشارقة (١٤٢٩هـ).
- طُبع تحت عنوان مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار،بتحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي، ط١، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،(١٤٢٠هـ).
- حقّقه خلف الشّغدلي، (رسالة ماجستير،قسم القراءات،كلّية القرآن الكريم، الجامعة الإسلَامِيَّة (١٤٢١هـ)، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

---

(١) وهي طبعة رديئة، سقط منها (٣٦٠) كلمة،من أصل النّص في مواضع عدة. (السلاسل الذهبية/ ٤٦).

(٢) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

(٣) (النشر ١/ ٥٨)،وسمّاه في (غاية النِّهَاية ١/ ٥٠٣) كتاب التيسير.

-وعلى الطبعة التي بتحقيق حاتم الضامن: التيسير في القراءات السبع، وفي (السلاسل الذهبية/ ٥٠) اسمه: كتاب التيسير لحفظ مذاهب القراء السبعة.

(٤) (معجم الدراسات القرآنية/ ٤٢٩).

١٩- **الجَامِع في العَشْر**[١] **وقراءة الأعمش**[٢] لأبي الحسين، الفَارِسِي، نصر بن عبد العزيز بن أحمد (ت٤٦١هـ).

- مخطوط موجود، منه نسخة في دار الكتب الظاهرية، من القرن التاسع، برقم (٤٤٢٥)، عدد أوراقها (٨) [٣].

٢٠- **الجَامِع في القراءات العشر** لأبي الحسن، الخَيَّاط،علي بن محمّد بن فارس، (ت٤٥٢هـ) [٤].

- طُبِع بتحقيق أيمن سويّد، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، بجدّة [٥].

٢١- **جَامِع البَيَان في القراءات السّبع** لأبي عمرو، الدَّانِي، عثمان بن سعيد بن عمر (ت٤٤٤هـ) [٦].

---

(١) كذا اسمه في (النشر١/ ٧٥).

(٢) (غاية النِّهَاية ٢/ ٣٣٦) ، وفي (السلاسل الذهبية/ ٥٦)، اسمه: كتاب الجامع في القراءات العشر،وقراءة الأعمش، وابن محيصن.

(٣) أخبار هذا المخطوط في (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية١/ ٣٤٨)، وفي (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي١/ ٨٧) ،

قلت: كلاهما الفهرسين يذكر أنّه (ثمانية) أوراق ، ويبدو أن في أوراقه نقصاً،بسبب هذا العدد القليل، وقال عنه أيمن سويد في السلاسل الذهبية: ((له نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية رقم (٢/ ٥٢) استانبول)).

(٤) (النشر ١/ ٨٤)،وفي (غاية النِّهَاية ١/ ٥٧٥) اسمه: الجامع في القراءات العشر، وقراءة الأعمش، واسمه في (السلاسل الذهبية/ ٥٤)كما في النشر ،

- قلت: وللمؤلف أيضا كتاب آخر باسم : التبصرة في قراءات الأئمة العشرة ، درسته وحققته رحاب محمد مفيد الشققي،وقد سبق التنويه في ترجمة (١٠) من هذا البحث بأنّه ليس تبصرة المبتدي لسبط الخياط.

(٥) (السلاسل الذهبية (/ ٥٤).

(٦) (النشر١/ ٦١)، (غاية النِّهَاية١/ ٥٠٣)، وقد حقّقه حاتم الضّامن تحت عنوان: جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، و(اسمه في السلاسل الذهبية/ ٥٢) ،كما في النشر.

- طُبع بتحقيق محمّد صدوق الجزائري، ط١ ، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٦هـ) [١].
- طُبِع بتحقيق عبد الرّحيم الطرهوني، يحيى مراد ،ط١، دار الحديث، القاهرة (١٤٢٧هـ) [٢].
- طُبع بتحقيق محمّد كمال عتيك، تركيا (١٤٢٠هـ)[٣].
- طُبِع بتحقيق عبد المهيمن طحان، وزملائه، ط١، جامعة الشارقة، الإمارات، (١٤٢٨هـ).
- أصله رسائل علمية لعبد المهيمن عبد السلام الطحان، من (أوّل الكتاب،إلى فرش الحروف، رسالة دكتوراه، قسم الدِّراسات العليا، كلّية الشّريعة فرع الكتاب والسنّة،جامعة أمّ القرى).

وطلحة ملا من(فرش الحروف إلى نهاية الأنعام)، وسامي عمر الصّبة، من (بداية الأعراف إلى نهاية سورة القصص).

وخالد علي بن عبدان الغامدي (من أوّل العنكبوت إلى نهاية الكتاب)، (قسم العقيدة،كلّية الدّعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة (١٤١٥هـ)، [٤].

٢٢- جَمَال القُرَّاء، وكَمَال الإِقْرَاء لأبي الحسن، السَّخَاوِي، علي بن محمّد بن عبد الصمد(ت٦٤٣هـ) [٥].

---

(١) قال عنه صاحب (السلاسل الذهبية/ ٥٢) : ((تحقيقه ضعيف)).

(٢) قلت: هو مطبوع في مجلدين، وقد تصفّحته فوجدت فيه كثيراً من الأخطاء الإملائية.

(٣) قال في (السلاسل الذهبية / ٥٢): ((تحقيقه ضعيف)).قلت: خبر تحقيقه مذكور في (دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ/ ٣١٥).

(٤) معلومة مستقاة من موقع (جامعة أم القرى، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية، الرسائل الجامعية).

(٥) (النشر / ٩٧)، (غاية النِّهَاية١/ ٥٦٨).

- طُبع بتحقيق علي حسين البواب، ط١، مكتبة التراث، مكة المكرمة، مَطْبعة المدني بالقاهرة (١٤٠٨هـ)(١).
- طُبع بتحقيق عبد الحق عبد الدّايم سيف القاضي، ط١، مؤسّسة الكتب الثقافية، بيروت (١٤١٩هـ) (٢).
- طُبع بتحقيق، وتعليق، عبد الكريم الزّبيدي، ط١، دار البلاغة، بيروت (١٤١٣هـ) (٣).
- طُبع بتحقيق مروان الظّفيري، دار المأمون، دمشق (١٩٨٥م)(٤).

٢٣- **جَمْعُ الأُصُول في مَشْهُور المَنْقُول** لأبي الحسن، الدِّيوَانِي، علي بن أبي محمّد بن أبي سعد (ت٧٤٣هـ)، وهو قصيدة لَامِيَّة، نظم فيها الإِرْشَاد لابن غَلبُون في القراءات السّبع (٥).

- سجّله ليحقّقه مهدي دهيم (رسالة دكتوراه ،قسم القراءات،كلّية القرآن الكريم، الجامعة الإسلَامِيَّة) (١٤٢٩هـ) (٦)، (ولم ينته منه بعد).

---

(١)(جمال القراء وكمال الإقراء/ ١١-١٣).

(٢) أصل هذا التحقيق، كان لجزء منه (من أوله إلى نهاية الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ) رسالة دكتوراه، من كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية)،(١٤١٠ هـ).

(٣) معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير).

(٤) طبع على نفقة أبناء سمو الشيخ حمدان بن محمد بن خليفة آل نهيان-رحمه الله-، عام (١٩٨٥م) ،في مجلدين كبيرين في نحو (١٢٠٠) صفحة. معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير)، بتصرف.

(٥) (النشر ١/ ٩٤)، (غاية النِّهاية ١/ ٥٨٠).

(٦) أخبار هذا المخطوط توجد في (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية١/ ٣٤٩ فما بعدها)، و(معجم مصنفات القرآن الكريم٤/ ٥٧).

٢٤- **الجَـوْهَر النَّـضِيد في شَرْح القَـصِيد** لأبي بكـر، ابـن الجُنْـدِي، عبـد الله بـن آيْدُغْدِي بن عبد الله (ت٧٦٩هـ)، وهو شَرْح للشَّاطِبِية [١].

- حقّقه عبد الرّزاق محمّد كامل من (أوّله إلى باب الإدغام الكبير)، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).
- سجّله ليحقّقه كذلك خالد بن محمّد إسحاق عبد الرّحيم، من (أوّل الهمزتين من كلمتين، إلى أوّل باب الفتح والإمالة وبين اللّفظين).

ومحمّد بن محفوظ بن محمّد الشنقيطي، من أوّل باب الفتح والإمالة وبين اللّفظين إلى نهاية الأصول.

وعبد الله برناوي، من (فرش سورة البقرة كاملة)،وهذه الرسائل الأربع كلّها (رسائل دكتوراه،قسم القراءات،كلّية القرآن الكريم ، الجامعة الإسلَامِيَّة)، (١٤٢٨هـ)،(ولم ينته تحقيقهم له بعد).

وعبد الله سالم البلوشي، من (أوّل سورة آل عمران إلى آخر سورة المائدة).

ومحمّد بن أحمد بن حسين برهجي، من (أوّل سورة الأنعام إلى نهاية سورة الأنفال).

وعبد الكريم الميموني، من (أوّل سورة التوبة إلى نهاية سورة الحجر)، (١٤٢٩هـ)، و(هذه الرسائل الثلاث كالسابقة،لم تنته بعد).

٢٥- **الـدُّرَّة الفَرِيـدَة في شَرْح القَـصِيدَة** لأبي يوسـف، الـهَمَذَانِي، المنتجب بـن يعقوب بن رشيد (ت٦٣٤هـ)، وهو شَرْح للشَّاطِبِية [٢].

---

(١) (غاية النِّهَاية / ١٨٠)،لم يذكر له ابن الجزري في النشر اسما (١/ ٦٤)، وأثبت اسمه من الفهرس الشامل١/ ٢٨٩).

(٢)كذا عنوانه في (غاية النِّهَاية ٢/ ٣١٠) ،ولم يذكر له ابن الجزري في (النشر اسما ١/ ٦٣)، وفي (غاية النِّهَاية) اسم والد مؤلف الكتاب يعقوب بن أبي العزّ بن رشيد.

- مخطوط ،موجود منه نسخة في دار الكتب المصرية في جزأين، (٢٨١-٤١٤)ورقة [١].

٢٦- الدّرُّ النَّثِير والعَذْب النَّمِير لأبي محمد، الـمَالقِي، عبد الواحد بن محمد بن أبي السّداد (ت٧٠٥هـ)، وهو في شرح مشكلات وحلّ مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير [٢].

- طبع بتحقيق ودراسة أحمد عبد الله أحمد المقري، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة،دار الفنون للطباعة،(١٤١١هـ) [٣].
- طبع بتحقيق وتعليق عادل عبد الموجود،وعلي محمد معوض،وأحمد عيسى المعصراوي، ط١، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،(١٤٢٤هـ).

---

(١) أخبار هذا المخطوط توجد في (فهرس دار الكتب المصرية/ ٨٣)، وكذلك في (فهرس المصورات بمركز البحث العلمي وإحياء التراث / ٢٣١)،وذكر له نسختين،إحداهما ميكروفيلمية مصورة عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ٣٨٥،(٢٧٦)ورقة، والثانية تحت رقم (٢٨٨/ ٣٨٩) مغاربة (٣٥٣)ورقة.

- وأيضا أخباره في (فهرس علوم القرآن بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الجزء الثاني / ١٥٧،١٥٨).

-وكذلك (معجم مصنفات القرآن الكريم ٤/ ٧٣)،و(معجم الدراسات القرآنية/ ٤٨٩)، و(أعلام الدراسات القرآنية لمصطفى/ ٢٢٢) وفي(الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي١/ ٢٠٠)أن له تسع نسخ،وفي (فهرس الجامعة الإسلامية أنّ له ثلاث نسخ / ١٣٦- ١٣٨).

(٢)لم يذكر له ابن الجزري في (النشر اسما ١/ ٦٠)، وقال: وأخبرني بشرحه...)، وكذلك لم يذكر له في (غاية النِّهَاية ٢/ ٤٧٧ اسماً،وقال: (شرح كتاب التيسير شرحاً حسناً).وقد أثبت اسمه كما جاء على طبعة أحمد عبد الله المقري.

(٣) أصله رسالة دكتوراه،الجامعة الإسلامية، (١٤١٠هـ).

٢٧- الرَّوضَة في القِرَاءَات الإِحْدَى عَشْرَة لأبي علي، المَالِكِي، الحسن بن محمّد بن إبراهيم (ت٤٣٨هـ)[١].

- طُبع بدراسة وتحقيق مصطفى عدنان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، (١٤٢٤هـ)[٢].
- حقّق نبيل آل إسماعيل منه (قسم الأسانيد والأصول)،(رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلَامِيَّة، الرياض (١٤١٥هـ)، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

٢٨- الرَّوضَة لأبي إسماعيل، المُعَدِّل، موسى بن الحسين بن إسماعيل [٣].

- درسها، وحقّقها عاصم جنيد الله قارئ، أثناء دراسته العليا (رسالة ماجستير قسم القراءات ،كلّية القرآن الكريم، الجامعة الإسلَامِيَّة)[٤].(ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

٢٩- الرَّوضَة لأبي عمر، الطَّلَمَنْكِي، أحمد[٥] بن عبد الله بن لب (ت ٤٢٩ هـ) [٦].

- في حكم المفقودة.

---

(١) وفي (النشر/ ٧٤)،وهي قراءات العشرة المشهورة وقراءة الأعمش، (غاية النِّهَاية١/ ٢٣٠)، وفي(السلاسل الذهبية/ ٥٩) اسمه: كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة القراءات العشر، وقراءة الأعمش.

(٢) رسالة دكتوراه، من بغداد.

(٣) (النشر١/ ٧٩)، (غاية النِّهَاية ٢/ ٣١٩)،وفي (السلاسل الذهبية/ ٦١) تاريخ وفاته هو (ت٤٧٧هـ)، وسمّاه: كتاب روضة الحفاظ، بتهذيب الألفاظ في اختلاف الأئمة الغرر القرأة الخمسة عشر، تعرف بـ(روضة المعدل).

(٤) (دليل الرسائل العلمية بالجامعة الإسلامية/ ٤٧٧)،قلت: قد صرّح محققها بطبعها لموقع (منتديات القراءات العشر).

(٥) في (غاية النهاية أحمد بن محمد١/ ١٢٠).

(٦) (النشر١/ ٧١)، وفي (السلاسل الذهبية/ ٥٨) وسمّاه: كتاب الروضة في القراءات السبع.

٣٠- رَوْضَة القَرِير[١] **في الخلف بين الإِرْشَاد، والتَّيْسِير** لأبي الحسن، الدِّيوَانِي، علي بن أبي محمّد بن أبي سعد (ت٧٤٣هـ) [٢]، وهي قصيدة جمع فيها زوائد الإِرْشَاد، والتَّيْسِير.

- سَجّل النّظم، مع شرحه ليدرسه، ويحقّقه عبد العزيز بن سليمان المزيني ، (رسالة دكتوراه، قسم القراءات، كلّية القرآن الكريم، الجامعة الإسلَامِيَّة ، (١٤٢٨هـ)، (ولم ينته منه بعد).

٣١- السَّبْعَة لأبي بكر، ابن مُجَاهِد، أحمد بن موسى بن العبّاس (ت٣٢٤هـ)، [٣].

- طُبِع بتحقيق شوقي ضيف ،ط٢، دار المعارف، القاهرة.
- طُبِع بمراجعة، وتعليق جمال محمّد شرف، ط١، دار الصّحابة للتراث، طنطا،١٤٢٨هـ [٤].

---

(١) في (غاية النهاية١/ ٥٨٠) روضة التقرير .

(٢) (النشر١/ ٩٥)، (غاية النِّهَايَة١/ ٥٨٠). قلت: أخبار هذه المنظومة في (فهرس القراءات القرآنية، الجامعة الإسلامية/ ١٩٢). وموقع (ملتقى أهل التفسير).

وأيضاً: فإنّ لهذه المنظومة شرحاً تحت عنوان : شرح روضة القرير في الخلف بين الإرشاد والتيسير،وهو مخطوط وأخباره في (معجم مصنفات القرآن الكريم ٤/ ٨٩)، و(معجم الدراسات القرآنية/ ٥٠٨).

قلت: وقد سُجِّل هذا الشرح من قبل مجموعة من الطالبات،في جامعة أمّ القرى،بمكة،وهي معلومة مستقاة من (منتديات القراءات العشر).

(٣)(النشر١/ ٨١)، (غاية النِّهَاية/ ١٣٩)، (السلاسل الذهبية/ ٦٢).

(٤) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

٣٢- السُّرْعَة [١] **في القِرَاءَات السَّبْعَة** لأبي القاسم، ابن البَارِزِي ، هبة الله بن عبد الرّحيم بن إبراهيم (ت ٧٣٨هـ)، وهو تأليف في أصول القراءات السّبع بدون فرش الحروف [٢] .

- مخطوط، موجود منه نسخة في المكتبة الأزهرية بمصر تحت رقم (٢٧٨)، تقع في (٢٩)ورقة [٣].

٣٣- شَرْح الشَّاطِبِية لأبي العبّاس، المَقْدِسِي، أحمد بن محمّد بن عبد الولي بن جُبَارَة (ت٧٢٨هـ) [٤].

(١) قلت: ورد هكذا اسمه في مقدمة كتاب النشر المطبوع،وكذلك في المحقّق رسالة علمية، وتسميته (الشرعة) بالشين، تحريف، وقد صحّحه محقّق كتاب النشر (الرسالة العلمية)،وسمّاه (السرعة)،(/ ٥٢٧)،

وهو بهذا الاسم (السرعة) في فهرس دار الكتب المصرية،(/ ١٥٥)،و(معجم الدراسات القرآنية (/ ٥٠٥)،وفي (أعلام الدراسات القرآنية / ٢٤٩) وسماه: السرعة في القراءات السبعة، وذكر أنه: في مكتبة بلدية إسكندرية، ومعه نسخة أخرى هي شرح له في مجلد مكتوبة بقلم عادي سنة (٧٣٦هـ)، وهو بهذا الاسم بالسين في (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي١/ ٢٧٤) وسماه: السرعة في القراءات السبعة.

(٢) (غاية النِّهَاية ٢/ ٣٥١)، (النشر ١/ ٩٦)، قال عنه: ((كتاب حسن في بابه بديع الترتيب جميعه أبواب لم يذكر فيه فرشا بل ذكر الفرش في أبواب أصولية)).

(٣) منسوخة سنة (٧١٣هـ)، ومنها نسخة في دار الكتب المصرية رقم (٤١٧٧).(معجم مصنفات القرآن الكريم٤/ ٩٩).

وفي (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي١/ ٢٧٤) له نسخة أخرى بنفس المكتبة (٣/ ٣٥٧٤)ج، ضمن مجموع،تاريخ الكتابة (٧٣٦هـ).

وفي (أعلام الدراسات القرآنية اسمه: المفيد في شرح القصيد/ ٢٤٥)،نسخة كتبت في عهد المؤلف وقرئت عليه .. مؤرخة سنة(٨٠٧هـ)، البلدية (١٥٢٩ب-) (٢٩٠ق).

(٤) لم يذكر له ابن الجزري في النشر (١/ ٦٤) اسما،وأثبتّ اسمه من (غاية النِّهَاية ١/ ١٢٢) .

- مخطوط، موجود [1] منه نسخة في بلدية الإسكندرية، بمصر رقم (١٥٢٩) – ب – (٢٩٠) ق [2].

٣٤- **الشَّاطِبية** لأبي القاسم، الشَّاطِبي، القاسم بن فِيرُّه بن خلف (ت٥٩٠هـ)، وهي نظم [3].

- طُبِعت بضبط، وتصحيح، ومراجعة محمّد تميم الزعبي، ط٤، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة (١٤٢٥هـ) [4].

٣٥- **الشّمْعَة في القِرَاءَات السَّبْعَة** لأبي عبد الله، شُعْلَة المُوْصِلي، محمّد بن أحمد بن محمّد (ت٦٥٦هـ)،وهي نظم [5].

---

(١) (معجم الدراسات القرآنية/ ٥٥١)،وسمّاه المفيد في شرح القصيد،(كتاب الإمام أبو القاسم الشاطبي/ ١٦٨).

(٢) معهد المخطوطات رقم (٨٨). (أعلام الدراسات القرآنية/ ٢٤٥).

(٣) (النشر ١/ ٦١)، (غاية النِّهَاية ٢/ ٢٠)، وعلى الطبعة التي بتحقيق محمد تميم الزعبي، اسمه: متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، وفي (السلاسل الذهبية/ ٦٣) كما في النشر.

(٤) قلت: لها طبعات أخرى منشورة، منها تحقيق علي محمد الضباع ، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (١٣٥٥هـ)، وطبعة مكتبة دار المطبوعات الحديثة في المدينة المنورة سنة (١٤٠٩هـ)، وطبعة دار الصحابة للتراث بطنطا ، بتصحيح وتعليق محمد عبد الدايم خميس سنة(١٤١٢) هـ، ،وطبعة مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة بالرياض دون تاريخ، ضمن مجموع إتحاف البررة بالمتون العشرة في القراءات والرسم والآي والتجويد، كما طبعت عدة مرات في الهند سنة (١٢٧٨هـ)،و في مصر سنة(١٣٠٢) هـ)، وفي مصر سنة (١٣٠٨هـ)،وفي المطبعة الكريمية بقزان، روسيا،سنة (١٣٢٥هـ)،وطبعت مع تقريب النفع في القراءات السبع لعلي بن محمد الضباع.معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير).

(٥) اسمه في (النشر بتحقيق على الضباع١/ ٩٤)،الشفعة،وهو تحريف،والصواب أنه (الشمعة)،وفي (غاية النِّهَاية ٢/ ٨٠) اسمه: الشمعة في قراءات السبعة،وسمّاه حاجي خليفة في (كشف الظنون٢/ ١٠٦٥): الشمعة المضيّة بنشر القراءات السبعة المرضية، وكذلك في كتاب (الإمام أبو القاسم الشاطبي/ ٢١٥).

- في حكم المفقودة .

٣٦- عِقْدُ الَّلاَلِي في القِرَاءَات السَّبْع العَوَالِي لأبي حَيَّان، الأندلسي، محمّد بن يوسف بن علي(٧٤٥هـ)، وهو قصيدة لَامِيَّة في القراءات السّبع،خالية من الرُّموز،على وزن الشَّاطِبِية[1].

- سجّله ليدرسه، ويحقّقه،ويشرحه معاذ بن إبراهيم بن محمّد نور سيف (رسالة دكتوراه ،قسم القراءات كلّية القرآن الكريم،الجامعة الإسلَامِيَّة (١٤٢٩هـ) ، (ولم ينته منه بعد).

٣٧- العُنْوَان لأبي طاهر،الأَنْصَارِي، إسماعيل بن خلف بن سعيد (٤٥٥هـ) [2].

- طُبع بتحقيق، وتقديم زهير زاهد، وخليل العطية، ط٢ ، عالم الكتب، بيروت(١٤٠٦هـ) [3].

- طُبع بدراسة وتحقيق خالد حسن أبو الجود، ط١، دار البخاري، بمصر، (٢٠٠٨م)[4].

---

(١) (النشر ١/ ٩٥)، (غاية النِّهَاية ٢/ ٢٨٥)،وأخباره في (معجم مصنفات القرآن الكريم٤/ ١٠٦).

ملاحظة: لهذا النّظم شرح للناظم نفسه اسمه: (نكت الأمالي)، منه نسخة في مكتبة عشيرة شرف الملك – المكتبة المحمدية حالياً– بمدينة مدراس بالهند برقم (١/ ٧) .(معجم مصنفات القرآن الكريم٤/ ١٠٦).

(٢) (النشر ١/ ٦٤)، (غاية النِّهَاية ١/ ١٦٤) ،وسمّاه في (السلاسل الذهبية/ ٦٤) كتاب العنوان في القراءات السبع،وهو الذي على الطبعة التي بتحقيق زهير زاهد، وخليل العطية.

(٣) قال أيمن سويد عن هذه الطبعة : ((رديئة)). (السلاسل الذهبية/ ٦٤).

(٤) وقد صرح المحقّق بأنه حقّقه على خمس نسخ مخطوطة،وأنه تمّ تصحيح أخطاء الطبعة الأولى كاملة، وإضافة الأجزاء الناقصة من الطبعة الأولى، وأنه وضع أرقام صفحات الطبعة الأولى في حواشي الصفحات ، وأنه قد أضاف أسانيد المؤلف من كتاب الاكتفاء كما أراد مؤلفه، وذلك في هامش الكتاب. معلومة مستقاة من (موقع أهل التفسير).

- درسه، وحقّقه عبد المهيمن عبد السلام طحان، (رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى) [1]، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

٣٨- **غَايَة الاخْتِصَار** لأبي العلاء، الـهَمَذَانِي، الحسن بن أحمد بن الحسن (ت ٥٦٩هـ) [2].

-طُبِع بتحقيق، ودراسة أشرف محمّد فؤاد طلعت، ط١، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، بجدة (١٤١٤هـ).

- حقّقه، ودرسه أمين محمّد أحمد الشيخ، (رسالة ماجستير، قسم القراءات، كلّية القرآن الكريم، الجامعة الإسلَامِيَّة (١٤١٤هـ)،(ولم يُطْبَع تحقيقه بعد).

٣٩- **الغَـايَة** لأبي بكر، الأَصْبَهَانِي، أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١هـ) [3].

- طُبِع بتحقيق سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، وأعادت طبعه دار القبلة بجدة، (١٤٠٧هـ) [4].
- طُبِع بدارسة، وتحقيق محمّد غياث الجنباز، ط١، شركة العبيكان، (١٤٠٥هـ).
- طُبِع ثانية بدارسة، وتحقيق محمّد غياث الجنباز، بعنوان: (الغاية في القراءات العشر، يليه باب في الاستعاذة، والتّسمية، وإمالات قتيبة عن الكسائي)، بتقديم أحمد علم الدين، ومصطفى مسلم،ط٢، دار الشّواف للنشر، والتوزيع، الرياض، (١٤١١هـ).

---

(١) معلومة مستقاة من موقع (جامعة أم القرى مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية،الرسائل الجامعية)، و(السلاسل الذهبية/ السابق).

(٢) كذا في (النشر ١/ ٨٧)، واسمه في (غاية النِّهَاية ١/ ٢٠٤) الغاية في القراءات العشر.
وفي (السلاسل الذهبية/ ٦٦) اسمه: كتاب غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار.

(٣) (النشر ١/ ٨٩)، اسمه في (غاية النِّهَاية ١/ ٤٩) الغاية في العشر، واسمه في (السلاسل الذهبية / ٦٨)كتاب الغاية في القراءات العشر،واختيار أبي حاتم السجستاني.

(٤) (السلاسل الذهبية / ٦٨).

- حقّقه رسالة علمية صبغة الله محمّد شفيع رسول، بعنوان: (ابن مهران المقرئ ودوره في القراءات، مع تحقيق، ودراسة كتابه الغاية في القراءات العشر واختيار أبي حاتم)، (رسالة ماجستير،كلّية القرآن الكريم، الجامعة الإسلَامِيَّة (١٤٠٧هـ)، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

٤٠- **غاية المطلوب في قراءة يعقوب** ، لأبي حَيَّان، الأندلسي، محمّد بن يوسف بن علي(٧٤٥هـ) ،وهو نظم لكتابه المطلوب في قراءة يعقوب[١].

- في حكم المفقود.

٤١- **فَتْحُ الوَصِيد في شَرْحِ القَصِيد** لأبي الحسن، السَّخَاوِي، علي بن محمّد بن عبد الصمد،(ت٦٤٣هـ)، وهو شرح للشاطبية [٢].

- طُبِع بتحقيق مولاي محمّد الإدريسي الطاهري، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢٣هـ)[٣].

- طُبِع بتحقيق أحمد عدنان الزعبي ،ط١، مكتبة دار البيان ،الكويت (١٤٢٣هـ).

- طُبِع بمراجعة، وتعليق جمال محمّد شرف، دار الصّحابة للتراث، طنطا[٤].

- طُبع بتحقيق الخرافي، دار البيان، الكويت [٥].

---

(١) كذا في (النشر ١/ ٩٥)، و(منهج ابن الجزري في كتاب النشر ،وتحقيق قسم الأصول منه / ٢٥٦). ولم يذكر له في (غاية النِّهَاية اسما ٢/ ٢٨٦)،

(٢) لم يذكر له في (النشر اسما ١/ ٦٣)،قلت: أثبتّ اسمه في النّص كما في (غاية النِّهَاية ١/ ٥٦٨) ،وما جاء على طبعة مولاي الإدريسي.

(٣) قلت: في (معجم الدراسات القرآنية / ٤٣٨) أنّه مطبوع ، ولم تذكر الباحثة بقية أخبار هذه الطبعة.

(٤) قلت: لاتوجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقّق.

(٥)هذه المعلومة مستقاة من موقع (ملتقى أهل التفسير).

٤٢- **القَاصِـد** لأبي القاسـم، الخَزْرَجِـي، عبـد الـرحمن بـن الحسن بـن سـعيد (ت ٤٤٦ هـ)[١].

- في حكم المفقود.

٤٣- **القَصِيدَة الحُصْرِية في قِرَاءَة نَافِع** لأبي الحسن، الحُصْرِي، علي بن عبد الغني (٤٨٨هـ)،وهي قصيدة رائية في قراءة نافع[٢].

- طُبِعت بتحقيق توفيق بن أحمد العبقري، ط١، مكتبة أولاد الشيخ، القاهرة، (١٤٢٣هـ).

٤٤- **الكَافِي** لأبي عبد الله، ابن شريح، محمّد بن شريح بن أحمد (ت٤٧٦هـ)[٣].

- طُبع بهامش كتاب المكرّر فيما تواتر من القراءات السّبع وتحرّر،للنشار، ط٢، مكتبة البابي الحَلَبِي وأولاده، مصر، (١٣٧٩هـ).
- طُبع بتحقيق أحمد محمود عبد السميع، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢١هـ).
- طبع بالمطبعة الميمنية، (١٣٢٦هـ)، مصر[٤].
- حققته إيمان صالح مهدي عباس(رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد)، (١٤١٧هـ)[٥].

---

(١)(النشر ١/ ٧١)، (غاية النِّهَاية ١/ ٣٦٧)،وفي (السلاسل الذهبية/ ٧٠) اسمه كتاب القاصد في القراءات السبع،وكذا في (معجم مصنفات القرآن الكريم ٤/ ١٢١).

(٢) (النشر ١/ ٩٦)، (غاية النِّهَاية ١/ ٥٥٠).

(٣) (النشر ١/ ٦٧)، (غاية النِّهَاية ٢/ ١٥٣) ،وفي (السلاسل الذهبية/ ٧١) اسمه: كتاب الكافي في القراءات السبع.

(٤) (معجم الدراسات القرآنية/ ٤٤١)، ولايوجد فيه اسم محقّق الكتاب.

(٥)معلومة مستقاة من موقع (دولة الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،إدارة شئون القرآن الكريم).

- حقّقه سالم بن غرم الله بن محمّد الزهراني، (رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلّية الدّعوة، جامعة أم القرى)[١]، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

٤٥ - الكَامِل في القِرَاءَات الـخَمْسِين، القراءات العشر،والأربعين الزائدة عليها لأبي القاسم، الـهُذَلِيّ، يوسف بن علي بن جُبَارَة (ت٤٦٥هـ) [٢].

- طُبِع بتحقيق، وتعليق جمال بن السَّيِّد رفاعي الشّايب، مؤسّسة سما للنشر، والتوزيع، ط١، (١٤٢٨هـ).
- حقّقه عداب الحمش، ولم يُتِمَّهُ بعد [٣]، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).
- حقّق قسم فرش الحروف ،مع توجيه القراءات فوق السّبع منه أيمن سويّد، (١٤٢٠هـ)، كما أنّه يقوم بتحقيق القسم الأول منه [٤]،(ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).
- حقّق كتاب العدد منه عمار أمين الدّدو، ومصطفى عدنان محمد سلمان، مجلة الشريعة بجامعة الإمارات، عدد (٢٥).
- حقّق كتاب الوقف والابتداء منه عمار أمين الدّدو ، مجلة كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات، عدد (٣٤).
- يعمل على دراسته، وتحقيقه كاملاً باحث من كلّية القرآن الكريم، بطنطا، جمهورية مصر العربية [٥]، (ولم يُطْبَع هذا التحقيق فيما أعلم).

---

(١) معلومة مستقاة من موقع (جامعة أم القرى، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية،الرسائل الجامعية).

(٢) (النشر ١/ ٩١)، (غاية النِّهَاية ٢/ ٣٩٧) ،(السلاسل الذهبية / ٧٢). (الاختيار في القراءات القرآنية وموقف الهذلي منه/ ١٢٤).

(٣) معلومة مستقاة من (موقع أهل التفسير).

(٤)(السلاسل الذهبية/ ٧٢).

(٥) كما جاء في قائمة بأسماء الأبحاث المسجلة في الماجستير والدكتوراه بكلية القرآن الكريم بطنطا، معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير).

٤٦- **الكِفَايَة**[١] لأبي محمّد، سِبْطِ أبي منصور الخَيَّاط، عبد الله بن علي بن أحمد (ت ٥٤١هـ) [٢].

- حققه سمير معبر، لندن[٣].

٤٧- **الكِفَايَة في القراءات العشر** لأبي محمّد، الوَاسِطِي، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه هبة الله (ت ٧٤٠هـ)،وهو نظم [٤].

- في حكم المفقود .

٤٨- **الكِفَايَة الكُبْرَى** لأبي العز، القَلَانِسِي، محمّد بن الحسين بن بُنْدَار (ت ٥٢١هـ) [٥].

---

(١) أخباره في (فهرس الجامعة الإسلامية/ ٢٧٢)، برقم (٤٣٦٧/ ١)، مصدرها القاهرة ، دار الكتب المصرية ، عدد أوراقها (٤١) ورقة ،وفي (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي١/ ١٠٨) له نسخة في طلعت/ القاهرة (٢/ ٤٠،١٧٧)،قراءات،ضمن مجموع،مجلة معهد المخطوطات العربية، مج(٣/ ج٢/ ٢٢٩) .

وقال عنه عبد العزيز السبر في تحقيقه لكتاب (الاختيار) لسبط الخياط صفحة (/ ١٩): ((يوجد للكتاب أي (الكفاية) نسخة في دار الكتب ،إلا أنّ فيها بعض النقص ،لدي مصورتها، وبدأت في تحقيقها،إلا أنّ النّقص والسّقط الذي اعتراها منعني من إتمامها، وحتى تتوفر ويتيسر لي أخرى إن شاء الله تعالى)).

وقال عنه في (السلاسل الذهبية/ ٧٦): ((له نسختان في مكتبة طلعت،ودار الكتب المصرية)).

قلت عثرت أخيراً على أن هذا الكتاب قد حقّق.

(٢) هكذا في (النشر ١/ ٨٥)، وذكر في (غاية النِّهَاية ١/ ٤٣٢) أنّه في القراءات الست، واسمه: في (السلاسل الذهبية/ ٧٦) كما في النشر.

(٣)معلومة مستقاة من موقع (دولة الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،إدارة شئون القرآن الكريم).

(٤)(النشر ١/ ٩٤) ، (غاية النِّهَاية ١/ ٤٢٩)، وهو نظم لمؤلف كتاب الكنز ، وقد جمع فيه للسبعة بين الشاطبية والإرشاد،وهو على طريق الشاطبية، ورويّها.

(٥) (النشر ١/ ٨٧)، (غاية النِّهَاية ٢/ ١٢٨) ،واسمه: في (السلاسل الذهبية/ ٧٤) كتاب الكفاية الكبرى في القراءات العشر.

- طُبِع بدراسة، وتحقيق عثمان محمود غزال، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠٠٧م).
- طُبِع بمراجعة، وتعليق جمال محمّد شرف، ط١، دار الصّحابة للتراث، طنطا (٢٠٠٣م).
- درسه، وحقّقه عبد الله الشّثْري، (رسالة ماجستير،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، (١٤١٤هـ)، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

٤٩- **الكَنْز في القراءات العشر** لأبي محمّد، الوَاسِطِي، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه هبة الله (ت ٧٤٠هـ) [١].

- طُبِع بتحقيق هناء الحمصي، ط١، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت (١٤١٩هـ).
- طبع بتحقيق خالد أحمد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (١٤٢٥هـ)، رسالة دكتوراه [٢].

-طُبِع بمراجعة، وتعليق جمال محمّد شرف، دار الصّحابة للتراث، طنطا[٣].

٥٠- **كَنْزُ المَعَانِي في شَرْح حِرْزِ الأَمَانِي وَوَجْهِ التَّهَانِي،في القراءات السّبع** لأبي إسحاق، الجَعْبَرِي ، إبراهيم بن عمر بن إبراهيم (ت ٧٣٢هـ)، وهو شَرْح للشَّاطِبِية [٤].

---

(١) (النشر ١/ ٩٤)، (غاية النِّهَاية ١/ ٤٢٩).

(٢) هذه المعلومة في (دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ / ٣١٨).

(٣) قلت: لاتوجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

(٤)لم يسمّه في (النشر ١/ ٦٤)،قلت: ما أثبتّه هو الذي في (غاية النِّهَاية ١/ ٢١)، وكذلك في (دراسة أحمد اليزيدي)،وأخبار هذا الكتاب في (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي١/ ٢٥٥، ٢٧٢).

- طُبع بتحقيق أحمد اليزيدي، من (أوّله إلى نهاية باب ذكر لام هل وبل)، وعنوان كتابه: الجَعْبَرِي ومنهجه في كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التّهاني، مع تحقيق نموذج من الكَنْز، دراسة أحمد اليزيدي،ط١، وزراة الأوقاف، والشؤون الإسلَامِيَّة، المملكة المغربية(١٤١٩هـ).
- حقّقه يوسف محمّد شفيع، من (أوله إلى نهاية باب الهمزتين من كلمتين)، (رسالة ماجستير،قسم القراءات،كلّية القرآن الكريم،الجامعة الإسلَامِيَّة، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).
- حقّقه أبو هواش إسماعيل أبو طالب، من (بداية فرش سورة البقرة إلى آخر سورة الكهف)،(رسالة دكتوراه ،كلّية الدراسات الإسلَامِيَّة والعربية للبنين ،شعبة أصول اللغة،جامعة الأزهر)، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).
- سجله ليحقّقه عبد الرّحيم بن لطف الله العبّاسي، من (باب إدغام المتماثلين إلى آخر الأصول).

وأحمد بن عبد الله سليماني، من (بداية فرش سورة مريم إلى نهاية الكتاب)، وكلاهما (رسالة دكتوراه، كلّية القرآن الكريم بالجامعة الإسلَامِيَّة ، (١٤٢٨هـ)،(ولم ينتهيا من تحقيقه بعد).

٥١- **الّآلِئُ الفَرِيدَة في شَرْح القَصِيدَة** لأبي عبد الله، الفَاسِي، محمّد بن الحسن بن محمّد(ت٦٥٦هـ)،شرح الفَاسِي على الشَّاطِبية [١].

- طُبع بتحقيق عبد الرزّاق بن علي موسى، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢٦هـ).

---

(١)كذا اسمه في (غاية النِّهَاية ٢/ ١٢٢)، ولم يذكر له ابن الجزري في (النشر ١/ ٦٣ اسما)،وما أثبتّه في النص هو الذي على طبعة عبد الرازق علي موسى .

- حقّقه عبد الله عبد المجيد نمنكاني (رسالة ماجستير،قسم الكتاب والسنّة، جامعة أم القرى)، (١٤٢١هـ) [١]. (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

٥٢- المُبْهِج في القراءات الثّمان لأبي محمّد، سِبْطِ أبي منصور الخَيَّاط، عبد الله بن علي بن أحمد (ت٥٤١هـ) [٢].

- طُبِع بتحقيق سيد كسروي حسن، ط١، توزيع مكتبة عبّاس أحمد الباز، دار الكتب العلمية،بيروت (١٤٢٧هـ).
- حقّقه عبد العزيز السبر (رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، (١٤٠٥هـ). (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).
- حقّقته وفاء بنت عبد الله قزمار [٣] (رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا، كلّية اللغة العربية، جامعة أم القرى ، (١٤٠٥هـ) [٤]،(ولم يُطْبَع تحقيقها فيما أعلم).

٥٣- المُجْتَبَى لأبي القاسم، الطَّرْسُوسُي، عبد الجبار بن أحمد بن عمر (ت٤٢٠ هـ) [٥].

- في حكم المفقود.

---

(١) (الرسائل العلمية في قسم الكتاب والسنة ،في جامعة أم القرى إلى عام ١٤٢٩هـ/ ١٥).

(٢) (النشر ١/ ٨٣)، (غاية النِّهَاية ١/ ٤٣٢) ،وفي (السلاسل الذهبية/ ٧٧) اسمه:كتاب المبهج في القراءات الثمان،وقراءة الأعمش، وابن محيصن، واختيارخلف، واليزيدي.

(٣) (السلاسل الذهبية/ ٧٧).

(٤) معلومة مستقاة من موقع (جامعة أم القرى مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية،الرسائل الجامعية).

(٥)هكذا اسم الكتاب في (النشر ١/ ٧١)، و(غاية النِّهَاية ١/ ٣٥٧)، و(السلاسل الذهبية/ ٧٩)، و(معجم مصنفات القرآن الكريم٤/ ١٥٠)،وفي (فهرست ابن خير/ ٢٥) اسمه: الجامع لقراءات الأئمة.

٥٤- **الـمُسْتَنِير في القراءات العشر** لأبي طاهـر، ابن سِوَار، أحمد بن علي بن عبيد الله (ت٤٩٦ هـ) [١].

- طُبع بدراسة وتحقيق عمار الدّدو، ط١، سلسلة الدراسات القرآنية، دار البحوث للدراسات الإسلَامِيَّة، دبي، (١٤٢٦هـ).
- طُبِع باعتناء، وتعليق جمال الدين محمّد شرف، الناشر دار الصحابة للتراث، طنطا (٢٠٠٢م)[٢].
- حقّقه أحمد طاهر أويس، (رسالة دكتوراه من قسم القراءات كلّية القرآن الكريم، الجامعة الإسلَامِيَّة، (١٤١٣هـ)،(ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

٥٥- **المِصْبَاح في القراءات العشر** لأبي الكرم، الشَّهْرَزُورِي، المبارك بن الحسن بن أحمد (ت٥٥٥هـ) [٣].

- نُشِر منه سورة الفاتحة، وسورة البقرة، في مجلّة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدد (٣٣).

ومن (سورة يونس إلى الإسراء) في مجلّة الدراسات القرآنية، الجمعيّة العلميّة السّعودية للقرآن، وعلومه، عدد (١).

- ومن (أول سورة الكهف إلى نهاية سورة النّور) في مجلّة الدراسات القرآنية السّابقة عدد (٢).

---

(١) (النشر١/ ٨٢)، وفي (غاية النِّهَاية ١/ ٨٦) المستنير في العشر، وفي (السلاسل الذهبية/ ٨١)اسمه: كتاب المستنير في القراءات العشر، واختيار اليزيدي.

(٢) قلت: لم يذكر محقق هذا الكتاب نسخة حقّقه عليها.

(٣)(النشر١/ ٩٠)، وفي (غاية النِّهَاية ٢/ ٣٨) اسمه: المصباح الزاهر في العشر البواهر،وفي (السلاسل الذهبية/ ٨٣) اسمه: كتاب المصباح في القراءات العشر البواهر.

- حقّق أبواب الأصول منه إبراهيم بن سعيد الدوسري، (رسالة دكتوراه، قسم القرآن، كلّية أصول الدين، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلَامِيَّة، (١٤١٤هـ)، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).
- طُبِع بتحقيق عثمان غزال، دار الحديث، القاهرة، (١٤٢٨هـ)[١].
- طبع بتحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٩هـ)[٢].
- حُقّق كاملا بكلّية القرآن الكريم بطنطا ، جمهورية مصر العربية [٣]، (ولم يُطْبَع هذا التحقيق فيما أعلم).

٥٦- **المطلوب في قراءة يعقوب** لأبي حَيَّان، الأندلسي، محمّد بن يوسف بن علي (٧٤٥هـ)[٤].

- في حكم المفقود.

٥٧- **المِفْتَاح في القراءات العشر** لأبي منصور ، ابن خَيْرُون، محمّد بن عبد الملك بن الحسن (ت ٥٣٩ هـ) [٥].

- في حكم المفقود .

---

(١) وهي طبعة في ثلاثة مجلدات، وجدتها تباع لدى مكتبة كنوز المعرفة، جدة، وقد تصفّحتها فلم أجد المحقّق رجع إلى نسخ الكتب المخطوطة.

(٢)وهي طبعة في مجلدين، محقّقة على نسخة خطّية واحدة، محفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٣،قراءات(٦٤٦٧) عدد أوراقها (٣٧٥) ورقة.

(٣) كما جاء ضمن قائمة بأسماء الأبحاث المسجلة في الماجستير والدكتوراه لهذه الكلية، معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير).

(٤) كذا في (النشر ١/ ٩٥)، ولم يذكر له في (غاية النِّهَاية اسما ٢/ ٢٨٦)،((منهج ابن الجزري في كتاب النشر ،وتحقيق قسم الأصول منه / ٢٥٦).

(٥)(النشر ١/ ٨٦) ،واسمه في (غاية النِّهَاية ٢/ ١٩٢) المفتاح في العشر، وفي (السلاسل الذهبية/ ٨٥) كما في النشر ، (معجم مصنفات القرآن الكريم ٤/ ١٥٧).

٥٨- **مُفْرَدَة يعقوب** لأبي عمرو، الدَّانِي، عثمان بن سعيد بن عمر (ت٤٤٤هـ) [(١)].

- طُبِعت بتحقيق حاتم الضامن ، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض، (١٤٢٩هـ).
- طبعت بتحقيق حسين محمّد العواجي،ط١، كنوز إشبيليا، الرياض،(١٤٢٩هـ).

٥٩- **مُفْرَدَة يعقوب** لأبي القاسم، ابن الفَحَّام، عبد الرحمن بن عتيق بن خلف(ت٥١٦ هـ) [(٢)].

- طُبِعت بدراسة وتحقيق إيهاب فكري ، وخالد حسن أبو الجود، ط١، دار أضواء السلف، الرياض، (١٤٢٨هـ).
- حقّقها معاذ نور سيف، (رسالة ماجستير قسم القراءات ،كلّية القرآن الكريم ، الجامعة الإسلَامِيَّة، (١٤٢٧هـ)،(ولم ينته منها بعد).
- حقّقها عمار أمين الدّدو، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،عدد (٥).

٦٠- **مُفْرَدَة يعقوب** لأبي محمّد، الصَّعِيدِي، عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن (ت سنة نيف،و٦٥٠هـ)[(٣)].

- مخطوطة، موجودة في أوقاف الموصل، الجليلي، برقم(٤/ ٢)، (١٨٤) ورقة[(٤)].

---

(١)(النشر ١/ ٦٠)، (غاية النِّهَاية ١/ ٥٠٣)،(وفي السلاسل الذهبية/ ٨٧) اسمه: كتاب مفردة يعقوب.

(٢)(النشر ١/ ٧٧)، (غاية النِّهَاية ١/ ٣٧٤) ، (السلاسل الذهبية/ ٨٨).

(٣) في (غاية النِّهَاية ١/ ٤٠٠) أنّه ألّف في القراءات،ولم يذكر له تاريخ وفاة،و قد ذكر تاريخ وفاته ابن الجزري في النشر (١/ ٩٨).

(٤) تاريخ كتابته (١٢٣٢هـ) ، (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي١/ ٢٠٢).

٦١- **الـمُفِيد في القراءات الثّمان** لأبي عبد الله، الحَضْرَمِي، محمّد بن إبراهيم بن أبي مُشَيْرِح (ت في حدود سنة ٥٦٠هـ)[١].

- دُرِس،وحُقّق بكلّية القرآن الكريم بطنطا، جمهورية مصر العربية[٢]،(ولم يُطْبَع هذا التحقيق فيما أعلم).
- حقق رسالة جامعية ،جامعة بغداد،(٢٠٠٠م)[٣]،(ولم يُطْبَع هذا التحقيق فيما أعلم).

٦٢- **الـمُفِيد في القراءات العشر** لأبي نصر، الخَبَّاز، أحمد بن مسرور بن عبد الوهاب (ت٤٤٢هـ) [٤].

- في حكم المفقود .

---

(١) قال ابن الجزري عنه: ((وهو كتاب مفيد كاسمه اختصر فيه كتاب التلخيص لأبي معشر الطبري وزاد فوائد)). (النشر ١/ ٩٣)، وفيه أنه توفي في حدود سنة (٥٦٠هـ)، ولا يوجد في (غاية النِّهَاية ٢/ ٤٦) تاريخ وفاة المؤلف.

ملاحظة: هناك كتاب آخر في القراءات ليس من مصادر النشر اسمه (المفيد)،وهو في القراءات الثّمان، ولازال مخطوطاً ، وهو لأبي جعفر أحمد بن محمد الأندلسي(ت٥١٦هـ). (المصدر السابق).

(٢) كما جاء ضمن قائمة بأسماء الأبحاث المسجلة في الماجستير والدكتوراه لهذه الكلية، معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير)،

قلت أخبار هذا الكتاب في (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي١/ ١١٢، ١١٣).

(٣) هذه المعلومة ذكرها لي بعض من قرأ هذا البحث،ووجدت كذلك في (ملتقى أهل التفسير)،أنّها رسالة ماجستير في كلية التربية ،جامعة الأنبار، بالعراق، تقدَّم بها الباحث محمد أحمد يوسف الصماتي، بإشراف محمد أمين عواد الكبيسي في شهر محرم (١٤٢١ هـ).

(٤)(النشر١/ ٨٤) ،وفي (غاية النِّهَاية ١/ ١٣٧) المفيد في القراءات، وفي (معجم مصنفات القرآن الكريم ٤/ ١٥٩)اسمه: المفيد في القراءات العشر.

٦٣- **الـمُنْتَهَى في القراءات العشر** لأبي الفضل، الخُزَاعِي، محمّد بن جعفر بن عبد الكريم (ت٤٠٨هـ) [١].

- درسه وحقّقه محمّد شفاعت ربّاني، (رسالة دكتوراه، قسم القراءات ،بكلّية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامِيَّة، (١٤١٥هـ)، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

٦٤- **المـُهَذَّب في العشر** لأبي منصور، الخَيَّاط، محمّد بن أحمد بن علي(ت٤٩٩هـ)[٢].

- في حكم المفقود .

٦٥- **الـمُوُضِح** لأبي منصور، ابن خَيْرُون، محمّد بن عبد الملك بن الحسن(ت ٥٣٩ هـ)[٣].

- في حكم المفقود .

٦٦- **النّونية** لأبي الحسن، السَّخَاوِي، علي بن محمّد بن عبد الصمد(ت٦٤٣هـ)[٤].

- طبعت ضمن كتاب جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي.
- طبعت بتحقيق عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، القاهرة،(١٤٠٢هـ).

---

(١) (النشر١/ ٩٣)، (غاية النِّهَاية ٢/ ١٠٩) ،واسمه في (السلاسل الذهبية/ ٨٩) كتاب المنتهى في القراءات الخمسة عشر، القراءات العشر واختيار أبي بحرية وسلام وأيوب بن المتوكل،وأبي حاتم،وأبي عبيد.

(٢) (النشر١/ ٨٤)، (غاية النِّهَاية ٢/ ٧٤)، (معجم مصنفات القرآن الكريم ٤/ ١٦٨)،وسمّاه: المهذب في القراءات العشر.

(٣)(النشر١/ ٨٦)، (لم يذكره له في غاية النِّهَاية اسماً(٢/ ١٩٢)، واسمه في (السلاسل الذهبية/ ٩٢) كالذي في النشر ، وجعله في (معجم مصنفات القرآن الكريم ٤/ ١٧٠)، هو وكتاب المفتاح في العشر كتاباً واحداً.

(٤) (النشر / ٩٧)،وقال عنها : ((ومن جملته النونية له في التجويد)،ولم يذكر لها في (غاية النِّهَاية١/ ٥٦٨)اسما. قلت: قد سبق الحديث عن كتاب جمال القراء للسخاوي في ترجمة (٢٢) من هذا البحث.

٦٧- **الهَادِي** لأبي عبد الله، القَيْرَوَانِي، محمّد بن سفيان[١] (ت ٤١٥هـ) [٢].

- حقّقه، يحيى غوثاني (رسالة دكتوراه كلّية القرآن الكريم، جامعة أم درمان، السودان)، (١٤١٧هـ)[٣]، (ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

٦٨- **الهِدَايَة** لأبي العبّاس، المَهْدَوِي، أحمد بن عمّار بن أبي العبّاس (٤٤٠هـ) [٤].

- في حكم المفقود [٥].

٦٩- **الوَجِيز** لأبي علي، الأَهْوَازِي، الحسن بن علي بن إبراهيم (ت٤٤٦ هـ)[٦].

- طُبِع بتحقيق وتعليق دريد حسن أحمد،وقدم له وراجعه بشّار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (٢٠٠٢م).
- درسه وحقّقه سمير معبر ،رسالة دكتوراه بريطانيا [٧]،(ولم يُطْبَع تحقيقه فيما أعلم).

---

(١) لايوجد في (كتاب غاية النهاية) غير اسمه، واسم أبيه .

(٢)(النشر١/ ٦٦)، (غاية النِّهَاية٢/ ١٤٧) وفي (السلاسل الذهبية/ ٩٣) اسمه: كتاب الهادي في القراءات السبع.

(٣) (السلاسل الذهبية/ ٩٣)، (موقع ملتقى أهل التفسير).

(٤)(النشر١/ ٦٩)، (غاية النِّهَاية١/ ٩٢)، وفي (السلاسل الذهبية / ٩٤) اسمه: كتاب الهداية إلى مذاهب القراء السبعة. (شرح الهداية للمهدوي ١/ ٨٦).

(٥) في (معجم الدراسات القرآنية/ ٣٣٤) أنّه ذكره رياضي زادة في متمم كشف الظنون.

وهناك معلومة تفيد أنه أي: (الهداية) له نسخة في المكتبات التركية ،لكن يحتمل أنّها ليست الهداية للمهدوي، وإنّما هي شرح للشاطبية لأحد تلاميذ السخاوي، معلومة مستقاة من (موقع أهل التفسير).

(٦) (النشر١/ ٨٠)، (غاية النِّهَاية ١/ ٢٢٠) ،واسمه في (السلاسل الذهبية/ ٩٥) كتاب الوجيز في شرح وأداء القراء الثمانية أئمة الأمصار.

(٧) (السلاسل الذهبية / ٩٥).

فهرس مصادر البحث

١. الاختيار في القراءات العشر، لأبي محمد عبد الله بن علي ، سبط الخياط، (ت٥٤١هـ) دراسة وتحقيق عبد العزيز بن ناصر السبر، دون مكان طبع، ١٤١٧هـ.

٢. الاختيار في القراءات القرآنية وموقف الهذلي منه لنصر سعيد، نشر دار الصحابة للتراث بطنطا.

٣. أعلام الدراسات القرآنية في خمسة عشر قرنا لمصطفى الصاوي، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حري، وشركاه .د.ت.

٤. الإمام أبو القاسم الشاطبي، دراسة عن قصيدته حرز الأماني في القراءات، لعبد الهادي عبد الله حميتو، دار أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٥. الجمع بالقراءات المتواترة، لفتحي العبيدي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.

٦. تقريب الطيبة، لإيهاب فكري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٧هـ.

٧. دليل الرسائل العلمية بالجامعة الإسلامية، إعداد قاعدة المعلومات، ١٤٢٠هـ.

٨. دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ، لفؤاد بن عبده أبو الغيث، مجلة معهد الإمام الشاطبي، عدد (٢).

٩. الرسائل العلمية في قسم الكتاب والسنة ،في جامعة أم القرى إلى عام ١٤٢٩هـ، توجد منه مصورة ألكترونية في موقع أهل التفسير، من إعداد نايف الزهراني.

١٠. السلاسل الذهبية بالأسانيد النّشرية من شيوخي إلى الحضرة النّبوية ، لأيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، جدة، ط١، ١٤٢٨هـ.

١١. شرح الهداية لأحمد بن عمار المهدوي (ت٤٤٠هـ) تحقيق ودراسة حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ ،١٤١٦هـ.

١٢. عوامل تحصين الأمة، لأحمد محمد الخراط، نشر علي محمد العمير، مكتبة التوعية، جدة ، ١٤٢٤هـ.

١٣. غاية النهاية في طبقات القراء ، لمحمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣)هـ ، نشره ج براجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط١، ١٣٥١هـ.

١٤. فهرست ابن خير الإشبيلي، لمحمد بن خير بن عمر (ت٥٧٥هـ)،وضع حواشيه محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

١٥. الفهرس الشامل للتراث العربي، والإسلامي المخطوط، مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الأردن ، عمان، ١٩٨٧م.

١٦. فهرس دار الكتب المصرية، صورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٧. فهرس علوم القرآن، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي، وإحياء التراث، كلية الشريعة، إعداد قسم الفهرسة بالمركز، ١٤٠٦هـ.

١٨. فهرس كتب القراءات القرآنية في مكتبة المصورات الفلمية في قسم المخطوطات، عمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية، إعداد عمادة شؤون المكتبات، ١٤١٥هـ.

١٩. فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، وضعه صلاح محمد الخيمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، ١٤٠٤هـ.

٢٠. فهرس المصورات بمركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة -أم القرى حاليا- طبع مركز البحث العلمي، إعداد فراج عطا سالم.

٢١. معجم الدراسات القرآنية، لابتسام الصفار، ساعدت جامعة بغداد على نشره، رقم تسلسل التعضيد،٤، لسنة ١٩٨٤م.

٢٢. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٣. معجم مصنفات القرآن الكريم لعلي شواخ إسحاق، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب، والفنون، لمصطفى بن عبد الله،المعروف بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان.
٢٥. مفردة يعقوب للإمام أبي عمرو الداني(ت٤٤٤هـ)،دراسة وتحقيق حاتم الضامن، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.
٢٦. موقع إدارة شؤون القرآن والشؤون الإسلامية، دولة الكويت على (الإنترنت).
٢٧. موقع جامعة أم القرى مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية، الرسائل الجامعية على (الإنترنت).
٢٨. موقع ملتقى أهل التفسير،شبكة التفسير والدراسات القرآنية، على (الإنترنت).
٢٩. موقع منتديات القراءات العشر،على (الإنترنت).
٣٠. منهج ابن الجزري في كتاب النشر لابن الجزري، وتحقيق قسم الأصول، للسّالم محمّد محمود المولود، رسالة دكتوراه، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢١هـ.
٣١. النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد بن الجزري ت(٨٣٣)هـ بتصحيح علي محمد الضباع ،دار الكتب العلمية ،بيروت.
٣٢. هدية العارفين أسماء المؤلفين، وآثار المصنفين من كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ.